
الخيار
شمشون
تأليف
سيمور هيرش
ترجمة
محمد رجب
صالح وحيد
مكتبة مدبولي الصغير
Bibliotheca Alexandrina
0112281

الخيار شهشون

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ — ١٩٩٢م

مكتبة مدبولي الصغير





EL — SAGHIR

ميدان سفنكس — المهندسين

٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز: ٣٤٧٧٤١٠

ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥

الخيار شمشون

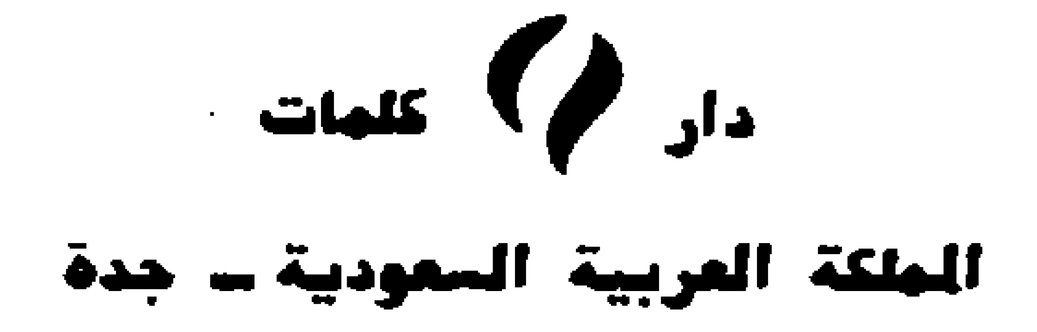
تأليف

سيمور هيرش

ترجمة

محمد رجب





قبل أن تقرأ هذا الكتاب

●● الضجة التى آثارها كتاب خيار شمشون لم تنته حتى الآن !

ربما لن تنتهى ــ أيضاً ــ قبل سنوات طويلة .. فما زالت للعديد من فصوله بقية .. وأسرار .. ومفاجآت ! .. هذا ما يؤكده مؤلفه الصحفى الأمريكى سيمور هرش .. الحائز على العديد من جوائز الصحافة العالمية .. والذى حقق فى مؤلفاته ــ الوثائقية ــ مصداقية قفزت بها إلى الأرقام الفلكية فى عالم توزيع الكتب .. حتى ان كتابه المثير « خيار شمشون » قد جاوز المليون نسخة فى زمن قياسى فى أمريكا وعواصم أوربا ! .. فالمؤلف الذى لم يجرؤ هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية « الأسبق » على تكذيبه حين تناوله هرش فى أحد مؤلفاته .. عاد إلى قرائه فى جميع عواصم العالم بمفاجآت هذا الكتاب الذى يكشف النقاب لأول مرة عن الملامح النووية فى الوجه الإسرائيلى المفزع !

فى هذا الكتاب يقدم سيمور هرش الوثائق الدامغة على التورط الإسرائيلى النووى من خلال قصة الجاسوس الإسرائيلى بولارد .. الذى زرعته الموساد فى قلب واشنطن يلتقط لها أخطر أسرار الولايات المتحدة الامريكية التى تهم إسرائيل .

هذا المؤلف الجدير بجوائز الصحافة العالمية ينير ــ دون أن يدرى ــ كل الأضواء الحمراء .. ويدق كل نواقيس الخطر أمام العالم العربى ! .. فإسرائيل من خلال الوثائق الدامغة .. والأدلة التى لا يرقى إليها شك تمتلك أكثر من ثلثمائة رأس نووى، بمقدورها أن تهلك العالم العربى ومعه إسرائيل فى لحظات خاطفة ؟! .. ففى وقت اللزوم الذى يحدده القادة الاسرائيليون تنفجر المنطقة كلها بأشلاء وبقايا الجثث العربية واليهودية على حد سواء ما بين طرفة عين وانتباهتها ! .. ولن يهم الاسرائيليون ــ حينئذ ــ أن يموت منهم الملايين .. وهم الذين تنخلع قلوبهم حزنا

على فقد طفل يهودى، عمره أيام أو أسابيع أو سنوات.. ما دام العرب سيموتون معهم جميعا.. ولن يبقى من الطرفين حى واحد فوق الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات.. فلا شيء يهم!! وهو نفس الخيار الذى لجأ اليه شمشون فى حكايات التوراة.. عندما صاح بمقولته الشهيرة: «عليَّ وعلى أعدائى»!!

فى هذا الكتاب الخطير ــ أيضاً ــ قصة الصراع الذى لن ينتهى بين الموساد الاسرائيلى وعلماء الذرة سواء من الجانب العربى أم من الجانب اليهودى المنشق!

أما حكاية «ماكسويل» أمبراطور الصحافة العالمية وعلاقته بالمخابرات الاسرائيلية إلى أن مات فى أغرب لغز من الغاز القرن العشرين.. فالمؤلف الأمريكى يصر ويؤكد أنه لم يذع منها غير جزء قليل.. أما باقى الأسرار فمازال يحتفظ بها.. ولعل ماقاله سيمور هرش كان دافعاً قوياً للتخلص من مليارديز الصحافة الغربية «ماكسويل» فى أسرع وقت!

لقد تسبب كتاب «خيار شمشون» فى اصابة العديد من كبار شخصيات العالم بالقلق والتوتر ونفاد الصبر!.. لأن مشكلة مؤلفه أنه دائماً جاهز بالمستندات والوثائق!.. فحينما حاول الصحفى الأمريكى شريك ماكسويل فى الفضيحة أن يدافع عن نفسه.. خرج سيمور هرش عن صمته.. وبهدوء شديد قدم إلى الجريدة التى يعمل بها شريك ماكسويل فى الفضيحة، صورة فوتوغرافية واحدة انهت مستقبل هذا الصحفى.. فاضطرت جريدته إلى فصله ووصفه بالكذب!

الحقائق والأسرار التى اذاعها هرش فى «خيار شمشون» هى أخطر مانشر عن الترسانة النووية الاسرائيلية.. وعن الموساد.. وعن ماكسويل امبراطور الصحافة العالمية الذى كانت حياته لغزاً كبيراً.. وتحول موته إلى «لوغارتيم» قد يطول الوقت لتنكشف رموزه.. مما يجعل العالم كله يترقب الآن التحقيقات الواسعة التى تجرى حول موته الغامض فى جزر الأطلنطى!

هذا الكتاب الخطير يجب ألا تخلو منه مكتبة كل عربى.. لأنه كتاب الأمس.. واليوم.. والغد.. وربما كانت حياة سيمور هرش فى السنوات القليلة القادمة هى الثمن المعقول «جدا» لخبطته الصحفية النادرة.. فالعديد من القوى العالمية وأجهزة المخابرات «المحنكة» قد تستكثر الحياة على كاتب لا تهرب الحقائق والأدلة من بين أصابعه عندما يمسك بالقلم.. مثلما سيمور هرش!

الفصل الأول

شمشون
الخيار المفزع !

•• ما هى حكاية الخيار شمشون؟ .. لماذا فكر الاسرائيليون فى هذا الخيار؟ ومتى؟ .. وماذا يعنى بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى؟ .. وما هى حجج المدافعين عن انشاء الترسانة النووية الإسرائيلية؟ .. ولماذا يرفض فريق آخر من الإسرائيليين هذا الخيار؟ ..

هذه هى البداية .. التى يريد الإسرائيليون ــ أيضا ــ أن تكون النهاية وقت اللزوم !

شمشون

الخيار المفزع !

●● تسلل شبح الموت إلى كل بيت فى إسرائيل !

●● لقد بدأت الصورة واضحة كضوء الشمس منذ غروب يوم السابع من أكتوبر عام ١٩٧٣ .. لم يعد هناك مجال للمجاملة أو الاطمئنان أو خداع النفس.. فالحقيقة المفزعة قد خلعت الأفئدة ، وحطمت الأعصاب ، وقتلت كل الأحلام الوردية التى قامت عليها إسرائيل ! .. خاصة عندما أعلن القائد الإسرائيلى الذى تحول إلى اسطورة فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ .. وهو الجنرال موشى ديان .. ان ما حدث منذ السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ وحتى مساء اليوم التالى يتجه نحو حقيقة مؤلمة .. هى أن كل شىء قد انتهى .. أو أن كل شىء فى سبيله إلى النهاية ! .. كان موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يشير ضمنا إلى هيكل سليمان الذى دمر مرتين .. وها هو ذا يوشك أن يلقى نفس المصير.. ويدمر للمرة الثالثة على أيدى العرب !

يوم أسود فى تاريخ أسرائيل .. ربما كان أيضاً أسود أيامها على الأطلاق .. فالأسد الاسرائيلى ليس جريحا فحسب .. منذ هاجمه على غرة المصريون والسوريون فى السادس من أكتوبر. كان الأسد الاسرائيلى بعد ساعات من المعركة غارقاً فى دمائه .. يبدو كسيحاً .. يائساً .. مرتبكاً .. عاجزاً عن تحديد رد فعله .. هل ينسحب أو يدمر الساحة بمن فيها .. حتى لو كان هو على رأس الهالكين ؟!!

لقد أزهقت حرب السادس من أكتوبر أعداداً هائلة من الأرواح الاسرائيلية ، غير مسبوقة فى التاريخ العسكرى الاسرائيلى .. ضاعت — أيضاً — خمسمائة دبابة فى ساعات.. لقد اخترق الجيش المصرى خط بارليف المنيع ثم فاز بالمواجهة الشرسة التى راح ضحيتها ثلاث فرق اسرائيلية من فرق الدبابات .. بينما تقدمت

القوات السورية بشكل هائل ومنقطع النظير لتصبح مدينة حيفا على بعد ساعات من القوات السورية ! .. وبمرور اللحظات والدقائق والساعات القليلة ترسخ اعتقاد الاسرائيليين فى أن النهاية المؤلمة لكل أحلامهم الجميلة قد أوشكت أن تصبح حقيقة .. وان جيشهم الذى لا يقهر أصبح كلعبة أطفال يلهو بها الجنود العرب بيسر ! .

- كان لا بد من رد فعل اسرائيلى سريع وعاجل !

- إما ان تنهار اسرائيل كلية .. أو أن يكون هناك حل آخر ! .. ولأن الحرب التقليدية أثبت فيها العرب تفوقاً مثيراً .. كان لا بد من البحث عن الحل الآخر، الذى يمكن أن يثير « فرقعة » عالمية .. وتصل اصداؤه إلى العواصم الكبرى .. واشنطن وموسكو على وجه الخصوص .. وواشنطن على وجه أخص ! .. فلم تكن اسرائيل راضية عن الدعم الأمريكى .. وواشنطن — فى نظر الصقور الاسرائيلية — تكاد لا تشعر حتى السابع من أكتوبر بحالة الحزن العام فى المدن الاسرائيلية .. ففى كل بيت شهيد أو مصاب .. واللحظات القادمة قد تشهد موت اسرائيل كلها ، إذا لم تتحرك أمريكا على عجل .. اما إذا لم تتخذ أمريكا هذا الموقف فليس أمام إسرائيل سوى « خيار شمشون » ! .. ولذلك قصة مثيرة !

قبل حرب أكتوبر .. ومنذ الخمسينيات .. ينقسم الاسرائيليون إلى فريقين : فريق يرى أن الترسانة النووية الاسرائيلية هى الرد الأوحد على الخطر العربى والسوفيتى .. والخط الدفاعى الأخير للدولة الاسرائيلية ، وفريق يرى أن الترسانة النووية المزعومة سوف تصيب الاقتصاد الاسرائيلى بالكساح .. وتعوقه عن التقدم .. وتستنزف مليارات اسرائيل فى التنمية والانتاج والتكنولوجيا .

لكن المدافعين عن مشروع « ديمونا » ليس أمامهم حل لاجبار العرب على فرض الأمر الواقع على الدوام سوى ترسانة نووية اسرائيلية ، تشعرهم دائماً انهم فى متناول السيطرة الاسرائيلية التى يمكنها إبادتهم فى لحظات أو بنفس طريقة شمشون التى ترويها التوراة .. لقد طلب شمشون — كما تقول التوراة — من الله أن يصير إليه قوته لآخر مرة .. بعد أن وقع أسيراً لدى الفلسطينيين الذين

تحفظوا عليه فى أحد الهياكل بمدينة غزة.. وعندما عادت اليه قوته، ضرب بيديه أعمدة الهيكل ليسقط سقفه عليه وعلى اعدائه.. يموت الجميع.. تحت شعار شمشون «عليَّ وعلى اعدائى»!.

- انه نفس الخيار الذى يجب ان يلجأ اليه الاسرائيليون وقت اللزوم!.. ولن تكون قيمة ما لهذا الخيار إلا إذا استجابت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لنداء المدافعين عن مشروع «ديمونا» وإقدام اسرائيل على التسلح النووى.. لكن المثقفين الاسرائيليين ودعاة الأخلاق كان يقلقهم هذا الانحياز الصريح نحو الاستعداد الذرى، الذى قد يحقق فى لحظة ما الدمار الشامل للشرق الأوسط.. فى تلك المساحات الشاسعة منه حيث تتواجد الدول العربية والدولة الاسرائيلية معاً.. فالخيار يعنى أن الموت للجميع.. والدمار لن يفرق بين دم عربى ودم اسرائيلى!.. علاوة على ذلك فإن مشروع «ديمونا» لن يحقق لاسرائيل تلك القفزة الحضارية العالمية التى تتوقعها المخابرات الامريكية لاسرائيل لتتبوأ المرتبة الثالثة فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية واليابان خاصة فى تكنولوچيا الكمبيوتر.. فالانفاق على مشروع «ديمونا» سيلتهم كل الأموال اللازمة لتلك القفزة التى تبدو كحلم غير مستبعد المنال!
- كان الصراع بين الفريقين لايتوقف ولا ينقطع.. لكن الغلبة كانت تبدو ــ سرا ــ لانصار التسلح النووى الاسرائيلى.. دون أن يصل الأمر إلى التركيز الكامل.. والولع بإنشاء ترسانة ضخمة تثير ــ وقت اللزوم ــ كل الفزع والهلع المطلوبين لردع العرب.
- وفى يوم السابع من أكتوبر أحس الاسرائيليون أن مؤيدى الترسانة النووية كانوا على حق فى كل ما زعموه.. وان دعاة الأخلاق يجب أن يتواروا خجلا!
- وكانت المفاجأة يوم الثامن من أكتوبر عام ١٩٧٣!
- فى صبيحة هذا اليوم جلس قادة اسرائيل حول مائدة واحدة.. وعلى قلب رجل واحد.. تترقرق الدموع فى أعينهم، وهم يقلبون الأمر من جميع الوجوه.. ثمة حقيقة واحدة فقط كانوا على يقين منها.. هى ان اسرائيل تعيش الآن أخطر محنة منذ انشائها.. بعد ان هزمتها الجيوش المصرية والسورية شر هزيمة!

- ويتحدث القادة الاسرائيليون عن الحرب النووية لأول مرة ! .

- هل تقرر القادة من بينهم ديان ويسرائيل يور وإيجال آلون ومائير وديڤيد اليعازر ــ الأخذ بخيار شمشون إذا ما وصلت الأمور فى الساعات المقبلة لما هو أسوأ من ذلك .. وأخطار أمريكا بهذا العزم النووى على الفور .. وهذا يحقق ضرب عصفورين بحجر واحد .. إما ان تسارع أمريكا لنجدة حليفتها اسرائيل على وجه السرعة ، ومازالت الفرصة مواتية لتلك الاغاثة التى تحفظ للأسد الاسرائيلى ماء وجهه .. واما ان تتباطأ أمريكا فيجد الاسرائيليون مبرراً للموت بشرف .. وتوجيه الرؤوس النووية نحو الدول العربية التى جرحت كبرياءها .. ووقتها لن يكون هناك فائز أو مهزوم فى حرب أكتوبر .. بل سترقد الجثث جنباً إلى جنب .. الجثث الاسرائيلية والعربية التى سيطولها الدمار النووى فى كل أنحاء المنطقة خلال لحظات خاطفة ! .. فإسرائيل حتى حرب أكتوبر كان لديها أكثر من عشرين قنبلة نووية !

وبالفعل قررت اسرائيل تجهيز منصات الصواريخ النووية .. والطائرات المعدة لهذا الغرض .. وعددها سبع طائرات من طراز «ف ــ ع» .. لقد أعلن التأهب بالفعل فى قاعدة نل نون .. أكثر من هذا تم تحديد الأهداف وكان فى المقام الأول القاهرة ودمشق حيث قيادة الجيش ! .. ورغم هذا التأهب .. كان جو آخر من الحذر والافتراضات يقترب بين لحظة وأخرى من ذهن القادة الاسرائيليين ! .

□ □ □

كان أحد الافتراضات الإسرائيلية ان السوفيت الذين سيعلمون بالأمر ــ كما علموا بأسرار أخرى من داخل إسرائيل فى السنوات الأخيرة ــ سيعمدون إلى الطلب من حلفائهم المصريين والسوريين ان يحدوا من نطاق الهجوم وألا يحاولوا ان يعبروا خطوط ماقبل ١٩٦٧ . ويقول محمد حسنين هيكل ــ رئيس تحرير «الأهرام» حينذاك والمقرب من عبدالناصر والسادات ــ أن الانذار السوفيتى صدر فعلا . ويكشف هيكل فى مقابلة ان الاتحاد السوفيتى أبلغ القيادة العليا فى مصر فى وقت مبكر من أيام الحرب ان «الاسرائيليين احضروا ثلاثة رؤوس نووية وجهزوها» . وقد أعطيت المعلومات إلى الجنرال محمد عبدالغنى الجمسى

رئيس أركان الجيش المصرى من قبل ضابط مخابرات سوفيتى كان يتعاون بصورة وثيقة مع الجمسى، عندما كان الأخير رئيساً للاستخبارات العسكرية. ويروى هيكل أيضاً ان الرسالة السوفيتية اشارت أيضاً إلى أن موشى ديان زار الجبهة وعاد إلى تل أبيب «بتقرير ملؤه الخوف» قدمه إلى القيادة العليا التى كانت تضاهيه خوفاً.

كان هناك هدف ثان لايقل أهمية للتسليح بالأسلحة النووية، كما يقول المسئولون الاسرائيليون السابقون. فمثل هذه الخطوة الجذرية سترغم الولايات المتحدة على البدء بعملية امداد عسكرى كثيفة وسريعة للجيش الإسرائيلى. كان ثمة موجة غضب تجتاح الحكومة الإسرائيلية من البيت الأبيض فى عهد نيكسون، إزاء ما اعتبر فى اســرائيل استراتيجية أمريكية لتأخير الامداد العسكرى، فى محاولة لتمكين العرب من استعادة بعض الأراضى، وبعض الاعتزاز بالنفس وللتمهيد بذلك لاحتمال بدء عملية مساومة لمبادلة الأرض بالسلام، وكان هنرى كيسنجر الذى كان قد عين للتو لمنصب وزير الخارجية يعد لادارة المفاوضات، نقل عنه قوله انه «يجب على الإسرائيليين أن يفوزوا ولكن بعد أدمائهم.

وقد رأى العاملون بالبيت الأبيض أنه لم يكن ممكناً أن يكون اليوم الأول لحرب الخليج التى بدأها الرئيس جورج بوش أفضل مما كان، وقد بدت الحرب سهلة بصورة تكاد لاتوصف. إلا أن الفرحة الكبرى اختفت فى اليوم الثانى عندما نفذ الجيش العراقى ماتعهد به الرئيس صدام حسين قبل الحرب، وأطلق ثمانية صواريخ من نوع «سكود» على اسرائيل من منصات كان يفترض أنها دمرت فى الساعة الأولى من الحرب. وقد وقع صاروخان فى تل أبيب وآخر قرب حيفا، واستمع العالم بخوف إلى الأنباء الأولية المغلوطة التى قالت: ان رءوس السكود كانت تحمل غازات سامة. وحشر الإسرائيليون المرعوبون الذين وضعوا أقنعة مضادة للغازات أنفسهم فى غرف مخصصة للحماية من الغازات بانتظار القصف العراقى. وكانت الشوارع كما أظهرت الصور التى نقلها التليفزيون هادئة بصورة مخيفة.

ومما زاد من حدة التوتر ان المخابرات الأمريكية أخطأت فى احتساب عدد الصواريخ ومنصات الأطلاق التى يملكها العراق. فكانت بعض التقديرات قبل

الحرب تضع العدد عند مستوى يقل عن ٢٠، وكان الظن أن العراق سيطلق صواريخ السكود من منصات ثابتة فقط أو من منصات متحركة. ولم يتوقع أحد أن تكون قوات صدام حسين قد نجحت فى تحويل اسطول من الشاحنات اقتنته حديثاً إلى منصات اطلاق. وقد اعترف الجنرال نورمان شوارتزكوف القائد الأمريكى أخيراً بأن العراق قد يملك حوالى خمس عشرة كتيبة من المنصات، كل منها مزود بخمسة عشر صاروخاً ــ أى ان المجموع يبلغ ٢٢٥ صاروخاً.

كان هناك عنصر آخر ظهر فى الساعات الأولى، وهو ليس معروفاً للعموم إلا ان القمر الصناعى الامريكى الذى يدور حول العالم مرة كل ٩٦ دقيقة تمكن من كشفه. فقد أظهر القمر ان شامير رد على القصف بصواريخ سكود باعطاء أوامره بتسليح منصات اطلاق الصواريخ المتحركة فى إسرائيل، بأسلحة نووية ظهرت إلى العلن، وصوبت نحو العراق بانتظار أوامر اطلاقها. والتقطت أجهزة المخابرات الامريكية اشارات أخرى تدل على ان اسرائيل أعلنت حالة تأهب نووى شاملة ستستمر لعدة أسابيع. ولم يكن أحد فى ادارة بوش يعرف ماذا ستفعل اسرائيل إذا أصاب صاروخ سكود مزود بغاز سام مبنى سكنياً يعج بالسكان فيقتل الآلاف. كل ما كان بامكان جورج بوش تقديمه لشامير بالاضافة إلى المال والمزيد من بطاريات صواريخ «باتريوت» كانت الطمأنة الامريكية بأن مواقع منصات الصواريخ العراقية ستجعل على رأس قائمة الأهداف المخصصة للحرب الجوية.

إلا ان هذه الضمانات لن تعنى الشيء الكثير. فمنذ معسكرى الاعتقال فى ترابلينكا واوشفتيز لم يقتل أى يهودى بالغاز السام، واسرائيل صنعت قنبلتها النووية فى الأساس حتى لا تضطر أبداً إلى الاعتماد على حسن نية الآخرين عندما تتعرض حياة اليهود للخطر.

لكن التصعيد لم يحدث، والرءوس التقليدية التى زودت بها صواريخ سكود أحدثت خسائر محدودة، بينما استمرت الالتزامات العسكرية والمالية من ادارة بوش تنفذ. وبالاضافة إلى ذلك فقد تلقت حكومة اسحق شامير عرفانا دولياً بالجميل لممارستها ضبط النفس.

كان المسئولون الأمريكيون تلقوا تأكيدات خاصة لأشهر عدة بعد انتهاء الأزمة

بأن الأمور مضبوطة . وأبلغ إلى رجال الصحافة فى اسرائيل التى تعرف الآثار الهائلة لتوجيه ضربة نووية ما كانت ستطلق صواريخها ضد بغداد ، إلا ان الحقيقة أنه لا أحد فى امريكا ــ ولا حتى الرئيس ــ كان سيتمكن من إعادة شامير ومستشاريه عن غيهم ، ومنعهم من اصدار الأوامر لاتخاذ أى عمل عسكرى إذا رأوا ذلك ضرورياً لحماية إسرائيل . وليس غريباً هذا التمسك بحق السيادة كما انه ليس أمراً جديداً . أما الغريب فهو أن تكون احدى أهم الدول الحليفة للولايات المتحدة قد تمكنت من جمع ترسانة نووية ضخمة بينما كانت واشنطن تغض الطرف عنها !

وقد صار فى حكم المؤكد أن سياسة أمريكا نحو الترسانة الإسرائيلية لم تكن مجرد سياسة إهمال برىء بل سياسة واعية قائمة على تجاهل الحقيقة .

فحتى منتصف الثمانينات تمكن التقنيون فى ديمونا من صنع مئات الرءوس الحربية النيوترونية ذات المفعول المتدنى ، القادرة على تدمير اعداد هائلة من جنود العدو ، مقابل احداث دمار محدود فى الممتلكات . وكان حجم الترسانة الاسرائيلية وتطورها يسمحان لأشخاص مثل اريبل شارون بأن يحلموا باعادة رسم خريطة الشرق الأوسط ، بالاستعانة بالتهديد المبطن بالقوة النووية . كذلك فان اسرائيل كانت من الدول المصدرة للتكنولوجيا النووية ، وقد تعاونت فى مجال الأبحاث الحربية النووية مع بلدان من بينها جنوب افريقيا .

وفى سبتمبر ١٩٨٨ أطلقت إسرائيل قمراً صناعياً لها إلى المدار . فخطت بذلك خطوة واسعة نحو استخدام الصواريخ العابرة للقارات وامتلاك مقدرة على الاستخبار عبر الأقمار الصناعية ــ بعدئذ لن تكون إسرائيل بحاجة إلى جوناثان بولارد لسرقة أسرار أمريكا . وقد استنتج العلماء الامريكيون النوويون ان قاذف الصاروخ الذى أطلق الجرم الصناعى الاسرائيلى ، أصدر قوة دفع كافية لتوجيه رأس نووى صغير إلى هدف يبعد ما يزيد عن ستة آلاف ميل عن اسرائيل ، ولا يزال الفيزيائيون الاسرائيليون يعملون بجد فى مجال تكنولوجيا الأسلحة ويشتركون ، كما هو حال نظرائهم الامريكيين والسوفيت فى الأبحاث المكثفة الخاصة بالقنبلة النووية العاملة بأشعة الليزر ومجال الهيدرود ايناميكس ونقل الاشعاع وهو الجيل الجديد من الأسلحة .

ولم تناقش هذه الأمور فى العلن فى اسرائيل أو فى الكنيست. وفى الوقت نفسه فقد اعتبر القادة الميدانيون الاسرائيليون قذائف المدفعية النووية والألغام الأرضية النووية على أنها من ضرورات العمل الميدانى العسكرى، وانها وسيلة لتحقيق غاية، ولا يزال الهدف الأساسى للترسانة النووية الاسرائيلية ــ وسيبقى ــ جيرانها العرب. وفى حال اندلاع الحرب فى الشرق الأوسط مرة أخرى وتمكن السوريين والمصريين من اختراق الخطوط مرة أخرى كما حدث عام ١٩٧٣، أو فى حالة أطلاق أحدى الدول العربية الصواريخ مرة أخرى على اسرائيل كما فعل العراق، فإن التصعيد النووى الذى كان مرة يعتبر الملجأ الأخير، سيكون هذه المرة احتمالاً قوياً. ان خيار شمشون لم يعد الخيار النووى الوحيد أمام اسرائيل.

الفصل الثانى

•• وكان لفرنسا .. دور !

•• اسرائيل وفرنسا ظروف متشابهة. الحاجيات فى البلدين واحدة.. أنظار الاسرائيليين تتجه نحو باريس.. العلماء النوويون فى البلدين يتبادلون الزيارات فى معامل الأبحاث.. العمل فى المفاعل النووى الاسرائيلى « ديمونا » .. امريكا تَغُضُّ بصرها عن المفاعل النووى الجديد!!

○○ وكان لفرنسا .. دور!

لم يخلف بن جوريون فى منصبه اثر تقاعده عن العمل السياسى .. واعتزاله المناصب .. شخص واحد كما كان متصورا .. لكن بن جوريون سن تقليداً جديداً .. يقتفى اثره خلفاؤه فى المستقبل .. لقد أصدر قانونا يفصل بين منصبى رئيس الوزراء ووزير الدفاع .. ثم أصدر قراراً بتعيين «شاريت» رئيساً للوزراء و«بنجاس لافون» وزيراً للدفاع .. إلا ان الفارق كان رحبا بين الرجلين اللذين يتبوءان أخطر منصبين فى دولة اسرائيل .. فرئيس الوزراء الجديد لم يكن خافياً على أحد انه ممن يتعاطفون مع العرب، ويشعرون بعريض الأمل فى اقامة سلام معهم .. بل لم يرفض «شاريت» فكرة التفاوض مع عبد الناصر تمشيا مع سياسته التى تؤمن بأن السلام أمر ممكن مع الجيران العرب .. وقطع رئيس الوزراء الاسرائيلى شوطاً فى هذا المجال من خلال الاتصالات السرية مع عبد الناصر!

أما «لافون» وزير الدفاع فكان شخصاً آخر .. وفكراً مختلفاً .. وفلسفة مغايرة .. فقد آمن بعداء الاسرائيليين للعرب .. وضرورة الانتقام العسكرى منهم!

لم يكتف بن جوريون بتعيين رئيس الوزراء ووزير الدفاع الجديدين .. لكنه اختار أحد الصقور المتشددين ليرأس أركان حرب الجيش الاسرائيلى هو موشى ديان .. بينما أبقى على «شيمون بيريز» كمدير عام لوزارة الدفاع.

وفى بدايات عام ١٩٥٥ واثر فضيحة التجسس المعروفة باسم «لافون» والتى أعلنت عنها السلطات المصرية، يتقدم وزير الدفاع الاسرائيلى «لافون» باستقالته .. ليقوم شاريت باستدعاء بن جوريون «المعتزل» ليتولى نفس المنصب الذى كان يشغله «لافون» .. ولم يعد خافياً انه أيضاً يدير الحكومة الاسرائيلية من وراء الكواليس!

واثر تعيين بن جوريون « العائد » تتزايد العمليات العسكرية ضد المعسكرات المصرية .. وتصل حرب العصابات إلى مدى أوسع .. ويبلغ التوتر قمته (!) .. الأمر الذى يدفع عبد الناصر إلى التحول تدريجياً نحو المعسكر الشرقى .. ويتم الاعلان عن صفقات هائلة من الأسلحة إلى مصر من بينها مئات القاذفات الروسية وناقلات الجنود والدبابات والمدافع بالاضافة إلى وعود جادة لعبد الناصر بإرسال خبراء سوفيت إلى مصر .. مما أحدث « دربكة » فى اسرائيل يغلفها خوف كبير من الدعم الشرقى للجيران العرب .. بينما الدعم الامريكى لاسرائيل من وجهة نظر قادة اسرائيل أمر غير مرض ولا يتناسب مع حجم مايتلقاه العرب من السوفيت والصين من عتاد وأسلحة وخبرات .

بدأت أنظار الاسرائيليين تتجه نحو باريس !

كانت نقطة التلاقى بين تل أبيب وباريس ، هى تشابه الاحتياجات فى كل من الدولتين .. كلتاهما كانت مشغولة بفكرة السلاح النووى .. كان هناك أيضاً عنصر مشترك هو « بيرين » الفرنسى الاشتراكى الذى نشأت بينه وبين عالم الذرة الاسرائيلى بيرجمان صداقة من نوع خاص .. وان كانت مجهولة البداية على وجه التحديد .. ولم يكن بيرجمان هو الوحيد الذى سمحت له فرنسا من بين العلماء النوويين بدخول مركز الأبحاث النووية الفرنسية .. بل اتيحت نفس الفرصة لعلماء آخرين من اسرائيل .. وبدا واضحاً ان ثمة تعاوناً قد نشأ بين العلماء النوويين فى فرنسا واسرائيل .

وفى عام ١٩٥٥ كانت البداية الحقيقية :

لقد سقطت الحكومة الفرنسية .. ويتولى « موليه » رئاسة الوزارة الفرنسية ، وهو المعروف بتشدده نحو العرب وكراهيته لقادتهم . خاصة هؤلاء القادة الذين ساندوا الثورة من أمثال عبد الناصر . وكانت إسرائيل تشن حرب عصابات عنيفة ضد مصر وتعتبر فرنسا من أكثر حلفائها الموثوق بهم .فوافق « موليه » فى وقت لاحق من العام نفسه على أن يبدأ سراً بيع قاذفات فرنسية عالية الأداء إلى إسرائيل . وكانت الصفقات التى رتبها شمعون بيريز بين وزير دفاع ونظيره ، فلا مجاملات دبلوماسية ولا تدخل من جانب وزارتى الخارجية الفرنسية والاسرائيلية . وطول الأثنتى عشرة سنة التالية بقيت الأسلحة تتدفق من فرنسا إلى اسرائيل .

نتيجة لذلك وافقت إسرائيل على أن تبدأ تقاسم المعلومات السرية حول الشرق الأوسط والولايات المتحدة وأوروبا مع الفرنسيين، وقد نشطت شبكات التجسس الاسرائيلية العاملة فى شمال افريقيا، كما يذكر المسئولون الاسرائيليون السابقون، لأن اليهود هناك كانوا يقيمون ويعملون كتجار ورجال أعمال فى الأحياء العربية. وكان ذا أهمية فائقة دور المائة ألف يهودى فى الجزائر الذين حاصرهم العنف واللامنطق من الجانبين، والذين حثتهم الحكومة الاسرائيلية على جمع المعلومات عن قيادة جبهة التحرير الوطنى والتعاون مع الفرنسيين فى المجالات الأخرى.

وكان من المحتم أن يستنتج بيرجمان وبيريز أنه صار لإسرائيل دلالة على فرنسا لطلب مساعدتها لصنع قنبلة نووية. لقد وعى الاسرائيليون أنه لا يمكن بناء سلاح من البلوتونيوم دون مصنع معالجة كما فهموا أن بناء المصنع مستحيل دون دعم فرنسى. كان من المقرر أن تبدأ لجنة الطاقة النووية الفرنسية فى أواسط ١٩٥٥ بناء مصنع المعالجة الكيماوى فى ماركول، وكان العلماء الاسرائيليون شركاء فى كل خطوة من الخطوات.

تشكلت حكومة اسرائيلية فى أواخر ١٩٥٥ شغل فيها بن جوريون مرة أخرى منصبى رئيس الوزراء ووزير الدفاع. وعلى رغم شكوك موشى شاريت فقد بقى وزيراً للخارجية. وكانت الانتخابات العامة فى صيف ذلك العام قد قضت على الازدواجية فى حزب ماباى فى الكنيست وقدمت مزيداً من الدلائل، على أن الرأى العام الاسرائيلى غير راض عن السياسات السلمية التى انتهجها موشى شاريت. كانت محاولة أمريكية أجازها ايزنهاور للتوسط بشأن تسوية بين عبد الناصر وبن جوريون، قد باءت بالفشل فى أوائل عام ١٩٥٦ عندما رفض الرئيس المصرى التفاوض مباشرة مع القدس، وقدم مطالب اعتقد العديد من الاسرائيليين، أنه كان يعرف أنها غير مقبولة. وبعد أشهر قليلة انهارت أيضاً المفاوضات المباشرة التى دامت طويلاً بين القدس وواشنطن. فقد رفض الأمريكيون عقد اتفاق أمنى مع اسرائيل. وفى ١٠ يونيو فوض بن جوريون الجنرال موشى ديان مباشرة بعقد مفاوضات سرية مع باريس لشن حرب مشتركة على مصر. وفى يوليو أعلن عبد الناصر، كما كان متوقعاً تأميم قناة

السويس، فدخلت الحكومة البريطانية الغاضبة دائرة التخطيط السرى للحرب. كان شمعون بيريز يقوم بجولات مكوكية بين باريس وتل أبيب بتفويض من بن جوريون. فقد كان الخط الفاصل بين السياسة العلنية والدبلوماسية الشخصية يضمحل يوماً بعد يوم من خفوت الاحتجاج داخل الحكومة.

وفى أواسط سبتمبر وقبل ستة أسابيع من نشوب حرب السويس ضد مصر، قرر بن جوريون أنه قد حان الوقت للطلب رسمياً من فرنسا مساعدتها فى صنع القنبلة الاسرائيلية. كان العلماء الاسرائيليون الذين يعملون فى ساكلاى يشاركون منذ عام ١٩٤٩ فى التخطيط للمفاعل النووى الاختيارى الفرنسى المعروف باسم «ال ٢» وبنائه، وهو مفاعل يمون بالطاقة من اليورنيوم الطبيعى ويعدل بالماء الثقيل. وبدا أن بناء مفاعل مماثل فى اسرائيل أمر ممكن فى آخر الأمر. فاليورانيوم متوافر فى إسرائيل، وكانت هناك كميات من الماء الثقيل متوافرة محلياً فيها. وكان يبدو ممكناً المجىء بمزيد من الماء الثقيل، إذا لزم الأمر، من الفرنسيين أو شراء هذا الماء سراً من النرويج أو من الولايات المتحدة التى كانت فى ذلك الوقت أكبر الدول المنتجة له فى العالم. كان بن جوريون قد انتهى من اختيار الموقع للمفاعل الاسرائيلى فى طبقة تحت الأرض فى خمارة عتيقة مهجورة فى ريشون ليزيون على بعد أميال من معهد وايزمان.

وقرر ايفاد شمعون بيريز وارنست بيرجمان إلى باريس. ويتذكر برتراند جولد شمت اللقاء الذى عقد مع لجنة الطاقة النووية الفرنسية: «جاءوا إلىّ يقولون إنهم يرغبون فى شراء مفاعل للأبحاث يعمل بالماء الثقيل يشبه المفاعل الذى كان الكنديون يبنونه للهند. وقالوا إنه عندما يعرف الأمريكيون أنه قد أصبحت لدينا طاقة نووية فسيعطوننا ضمانات البقاء. كل هذا تقرر قبل قضية السويس».

وبعد أربعة أيام، فى ١٧ سبتمبر، حضر بيرجمان وبيريز حفل عشاء حضره أيضاً فرنسيس بيرين وبيير غيبوما فى منزل يعقوب تزور، السفير الاسرائيلى لدى فرنسا. ومرة أخرى طلب من فرنسا أن تقدم مفاعلاً. ويوضح بيرين فيما بعد «لقد اعتقدنا أن القنبلة موجهة ضد الأمريكيين. لا لإطلاقها ضد أمريكا بل ليقولوا لها: إذا لم تشائى أن تساعدينا فى موقفنا الصعب، فإننا سنطلب منك أن تساعدينا وإلا فإننا سنستخدم قنابلنا النووية».

وبقى جولد شميت مقتنعاً لسنوات بعد ذلك بأن القرار الأساسى لمساعدة اسرائيل فى صنع القنبلة، أتخذ خلال هذين اللقاءين اللذين عقدا فى أواسط سبتمبر. وليس هناك وثائق مكتوبة تروى وقائع الاجتماعين، ولذلك فمن المستحيل معرفة ما جرى ومتى، إلا أنه من الواضح أن اسرائيل طلبت مساعدة فرنسا وأجيب طلبها قبل ستة أسابيع على الأقل من اطلاق الرصاصة الأولى فى حرب السويس.

لا يماثل غضب اسرائيل من موقف ايزنهاور أثناء حرب السويس إلا شعور جى موليه بالذنب وخجله من عجز فرنسا عن الوفاء بتعهداتها نحو زملائه الاشتراكيين فى اسرائيل. وقد جرت مقايضة بديهية فوافق بن جوريون على سحب قواته من سيناء وقبول دور قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة مقابل الحصول على مساعدة فرنسا فى بناء مفاعل نووى ومصنع لمعالجة كيماوى. ولم تعد اسرائيل مهتمة باقتناء مفاعل اختيارى، كالذى فى ساكلاى بل أرادت المفاعل الحقيقى على شاكلة المفاعل الذى فى ماركول. وينسب أحد مساعدى موليه قوله له أثناء اجتماعاته مع بيريز ومائير بعد حرب السويس «إننى مدين لهم بالقنبلة. إننى مدين لهم بالقنبلة». وعقدت الصفقة إلا ان اختتام بيريز للمفاوضات النهائية لم يتم إلا بعد حوالى السنة. ولكن الاتفاق الرسمى بين فرنسا وإسرائيل لم يكشف النقاب عنه علنا.

يقول دينوبير جونى الموظف فى وحدة المخابرات الفوتوغرافية التابعة لوكالة المخابرات المركزية الامريكية والعاملة بامرة ارثرل لوندال إنه أول من رأى الدلائل الأولى على ما تحول فيما بعد إلى مفاعل نووى إسرائيلى. ويقول: «كان لإسرائيل حقل مدفعية فى النقب وكنا نراقبه. كانت منطقة تدريب عسكرى، حيث كانوا يقومون بتدريباتهم، كان أول طرف خيط لم يفهم فى حينه تسييج منطقة جرداء كبرى تبلغ مساحتها حوالى ١٢ ميلاً خارج بلدة ديمونا الصحراوية الصغيرة. وافترض بيرجونى ومحللو الصور أن الاسرائيليين كانوا يبنون موقعاً لاختيار الذخيرة. ولوحظ شق طريق جديد من بئر السبع على بعد ٢٥ ميلا إلى الشمال تؤدى مباشرة إلى المنطقة المسيحية. وفجأة ظهر عمال البناء والآلات الثقيلة، فلم يعد الموقع مجرد نقطة استدلال أخرى بين صور «النيجاتيف» التى تمتد آلاف

الأمتار والتى تصل إلى مقر وكالة المخابرات الامريكية من طلعات طائرات «يو ٢» الامريكية الاستطلاعية. وقد بدأ الحفر فى الأرض فى أوائل عام ١٩٥٨ ولم يلبث ان بدأ الاسمنت ينصب فى الأساسيات السميكة.

كان الحفر العميق طرف خيط آخر. ويوضح بيرجونى «بعد حرب ١٩٥٦ كان كل شىء محاطاً بالسرية فى إسرائيل. إلا ان المرء يستدل من الأنماط، فمثلاً بإمكانك ان ترسم دائرة قطرها ٢٥ ميلاً فى معظم مناطق العالم، وتفهم كيف يمضى الانسان حياته يدرس هذه الدائرة، فإذا رأيت قطعاناً من الماشية ترعى ومزارع للخنازير والدجاج امكنك الاستنتاج ان الناس هناك تأكل اللحم، ويمكنك ايضاً ان تلحظ الصناعات والمدارس والكنائس والمنازل وغيرها بما نسميه «تواقيعها». والقضايا العسكرية أكثر نمطية. فعندما تبنى مفاعلاً نووياً تبنى أحجاراً سميكة وتحفر عميقاً. كانوا يصبون كميات هائلة من الأسمنت. وكنا نعلم انهم يحفرون عميقاً».

كانت ادارة ايزنهاور متعاطفة مع موقف إسرائيل الدولى القلق عام ١٩٥٨. ويتذكر بيرجونى «كانت الجمهورية العربية المتحدة تعتبر مصدر تهديد عظيماً. كانت ثمة خشية من ان يتمكن عبدالناصر من ان يتصالح مع العالم العربى وينازل إسرائيل. وسيكون تطوراً خطيراً لو ان عبدالناصر تمكن من الاستيلاء على لبنان عام ٥٨». وكان ايزنهاور قد اجاز سراً للقوة الجوية الامريكية ان تقوم بتدريب الطيارين الاسرائيليين على الطائرات المقاتلة، واعطاء الاسرائيليين دروساً فى المراقبة الجوية وتحليل الصور الفوتوغرافية. وكان بعض الامريكيين يعملون فى الخفاء. يقول بيرجونى «كانت التعليمات: ان ساعدوا إسرائيل ولكن حذار ان ينكشف أمركم!».

لم تنشر أى من المراسلات بين ايزنهاور و بن جوريون بشأن عملية البناء المنذرة بالسوء فى النقب، إلا ان المعروف ان مثل هذه الرسائل كتبت. ففى تموز ١٩٥٨، فى ذروة القلق الإسرائيلى من التوجه العروبى لعبدالناصر، سعى بن جوريون سراً إلى طلب مساعدة «سياسية ومالية ومعنوية» لكون إسرائيل تواجه تحدى عبدالناصر و«التوسع السوفيتى». وعلى حد ما ذكره كاتب سيرة بن جوريون المجازة مايكل بارزوهار، فان رد ايزنهاور جاء فى رسالة فاترة اللهجة قال

بن جوريون فيها يمكنكم ان تكونوا على ثقة باهتمام الولايات المتحدة بوحدة أراضى إسرائيل واستقلالها ». كان بن جوريون يأمل بأن يدعى لزيارة واشنطن لعقد محادثات مباشرة مع الرئيس ويكشف مسئول حكومى إسرائيلى سابق جرت مقابلته لاغراض هذا الكتاب، ان ايزنهاور اثار قضية ديمونا سرا مرة واحدة على الأقل فى هذه الفترة «مما دفع بن جوريون إلى الطلب من الولايات المتحدة ان «تمد مظلتها النووية إلى فوق إسرائيل». ويقول المسئول السابق ان إسرائيل لم تتلق من ايزنهاور رداً على الطلب.

وظل بيرجونى مسحوراً بأعمال البناء الجارية فى ديمونا. وقد أكد «أننا تابعنا المراقبة. إلا أن البيت الأبيض لم يشجعنا ابدا على المضى فى تقديم التقارير. كان رده دائما «شكراً» و«لن تسربوا هذه الأنباء، أليس كذلك؟» كان هذا هو الموقف.

كان بيرجونى يعد مواد التقارير التى سترسل للرئيس للوندال، وكان يعرف ان المعلومات السرية عن إسرائيل كانت ترفع إلى فوق، وهو يقول: «المسألة هى اننى لم أفهم ما إذا كان البيت الأبيض يريد لاسرائيل ان تحصل على القنبلة أم لا».

وجاء أفضل الأدلة على نية اسرائيل من تحليل الشبه الغريب فى التصميم، كما أظهرته الصور الجوية، بين ديمونا والمفاعل النووى الفرنسى فى ماركول. كانت طائرات النقل المدنية فى أواخر الخمسينيات تطير بانتظام فوق المشروع الفرنسى مزودة بكاميرات خفية باشراف ديبلوماسيين امريكيين وضباط عسكريين امريكيين منتدبين، للعمل فى السفارة الامريكية فى باريس. وبحلول عام ١٩٥٩ بات معروفاً ان المفاعل ومصنع المعالجة الكيماوية فى ماركول قد أصبحا فى وضع التشغيل الكامل.

وبانتهاء العمل فى بناء المفاعل فى ديمونا قلت قيمة المعلومات التى توفرها طلعات «يو٢». فصور «يو٢» لم تكن تستطيع ان تنقل إلا ما يجرى على سطح الأرض. وقد أمضت أجهزة المخابرات سنوات وهى تحاول ان تتأكد مما إذا كانت اسرائيل قد خطت الخطوة التالية وهى بناء مصنع معالجة كيماوى. فكلف

الملحقون العسكريون الامريكيون ايجاد أسباب داعية للسفر إلى الصحراء، وعرض مكتب وكالة المخابرات الامريكية حتى شراء النبيذ لأى مجموعة من الراغبين بالقيام بنزهة إلى الصحراء لأخذ صور. وقد طورت وكالة المخابرات الامريكية آلات تصوير اوتوماتيكية خاصة ذات عدسات مبرمجة سلفا لتزويدها الملحقين. ويقول لوندال: «كل ما كان عليهم ان يفعلوه كان الضغط على الزر» ويضيف فى السنوات الأولى تمكن بعض الملحقين من «التسلل وأخذ بعض اللقطات الجيدة». وبعد ذلك فى اطار محاولة لمعرفة ما إذا كان مصنع المعالجة الكيماوى قد بدأ فيه العمل، بدأت وكالة المخابرات الامريكية تحث الملحقين على انتزاع العشب والشجيرات لاخضاعها للتحليل.

ورد الاسرائيليون على مثل هذه الأساليب بزرع أشجار ضخمة لحجب الرؤية عن أى مصور فوتوغرافى سرى وزيادة نطاق عمل دورياتهم حول ديمونا. وفى إحدى المرات كان ملحق عسكرى امريكى سيردى قتيلاً على ايدى الحرس الاسرائيلى، بعدما تجاوز التعليمات الخاصة بالتجول والتى وضعتها السفارة الامريكية فى تل أبيب. واستمرت لعبة القط والفأر عشر سنوات أخرى، كان الاسرائيليون خلالها يحمون أعمال البناء المواسعة فى ديمونا بينما ظلت الولايات المتحدة غير قادرة على التأكد يقيناً من أن الاسرائيليين يشغلون مصنع المعالجة الكيماوى ويقول بيرجونى: «كنا نعرف انهم يحاولون خداعنا. وكانوا هم يعرفون ذلك. كان الاسرائيليون خبراء بشئون المراقبة فمعظمهم تدرب فى القوات الجوية الامريكية، كان الأمر يشبه مشهداً مسرحياً هزلياً».

ويظن بيرجونى ان كثيراً من المعلومات السرية لم تحول إلى المحللين. ويضيف: «كان الن دالاس يسألنى بين الحين والآخر، عما إذا كنت اطلعت على «المعلومات اليهودية» ــ كما كان يسمى تقارير عملاء وكالة المخابرات المركزية عن القنبلة الاسرائيلية ــ فأقول لا. وكان مكتبه يتصل بى فيما بعد ويقول لى: انس الموضوع». وفى نهاية ١٩٥٩ لم يبق لدى لوندال وبيرجونى شك بأن اسرائيل كانت تحضر لصنع قنبلة. ولم يكن ثمة شك أيضاً بأن الرئيس ايزنهاور ومستشاريه كانوا مصممين على تحويل أنظارهم عما يجرى.

الفصل الثالث

شامير .. مفاجأة لموسكو !

•• سياسة شامير مفاجأة للسوفيت.. شامير يبحث عن «عربون» صداقة مع السوفيت.. «بولارد» الجاسوس الأمريكى يقرب بين تل أبيب وموسكو.. خسائر أمريكية بسبب «بولارد».. جائزة سوفيتية لإسرائيل بعد وصول المعلومات السرية عن الجيش الأمريكى إلى موسكو.

شامير .. مفاجأة لموسكو !

● ● كانت السياسة التى انتهجها اسحق شامير عندما تولى رئاسة الوزارة فى اسرائيل مثار دهشة المراقبين والمحللين السياسيين فى العالم كله . كانت سياسة فريدة وغريبة الاطوار!

● ● كان قلب شامير يهفو دائماً نحو موسكو !

لم يكن السوفيت فى نظر شامير هم الأعداء الحقيقيين لاسرائيل كما دأب قادة السياسة الاسرائيلية دوما على نهج هذه السياسة .. بل كان شامير يتحسس الطريق فى دأب نحو عواطف السوفيت .. ويسعى حثيثا إلى خطب ودهم واثبات حسن نوايا اسرائيل تجاههم .. لكن السياسة لاتعرف العواطف المجردة .. والاحاسيس الرومانسية .. السياسة تحتاج دائماً إلى مواقف واضحة .. وأدلة حاسمة .. وحب يقوم على دعامتين « خد وهات » .. من هذا المنطلق كان على شامير أن يقدم « عربون » جيداً لصداقة موسكو .. وبرهاناً محسوسا للانفتاح الاسرائيلى على السوفيت .. فأين يجد شامير ضالته التى يبحث عنها حتى يأمن له الروس ؟!

● ● ●

● ● هل يجد شامير « حاجته » الملحة عند صديقه الحميم « بن مناش » اليهودى ــ العراقى ؟ .. ثمة روابط عائلية ــ وشخصية تدعم صداقة الرجلين منذ سنوات .. ويمكن أن تلعب دوراً كبيراً فى هذا المجال .. الذى يحلم به رئيس الوزراء، خاصة ان بن مناش كان قريباً من قصة تجنيد الجاسوس الامريكى « بولارد » لصالح اسرائيلى (!) وهى القصة التى سترد تفصيلاً فى فصل لاحق .. فبولارد يمكنه أن يأتى بأدق أسرار الولايات المتحدة

الأمريكية السرية إلى اسرائيل .. وفى اسرائيل يمكن القيام بعملية تنقية وتعقيم لهذه الاسرار الدقيقة ثم تقديمها على طبق من ذهب إلى السوفيت .. لعلها أعظم هدية وأكبر عربون يمكن أن يقدمه الاسرائيليون إلى الروس لاثبات حسن نواياهم .. وكسب السوفيت إلى جانب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بدلاً من أن يظلوا مصدراً دائماً للخطر والفزع للدولة الاسرائيلية .. هكذا كان يفكر اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلى !

□ □ □

● لم يرفض السوفيت مشاعر الود الاسرائيلية !

بل ذهبوا لما هو أبعد من ذلك .. دعوا اسرائيل إلى المشاركة فى مؤتمر للمخابرات أقيم فى الهند ويتعلق ببحث بعض الأمور .. وعلى رأسها مصنع للأسلحة النووية اقامته باكستان .. أكثر من هذا .. سمح شامير بأن يتم الاتفاق بين اسرائيل وموسكو على تبادل المعلومات والأسرار حول انظمة الجيش الأمريكى ونظم تسليحه وادائه وتشكيلاته .. مما ساهم بدرجة فعالة فى إزالة التوتر بين البلدين .. بل وسمحت السلطات الروسية لأول مرة بهجرة اليهود السوفيت إلى اسرائيل . وهو الحلم الذى كان بالأمس بعيد المنال فى خاطر كل قادة اسرائيل من قبل .. لقد نجحت سياسة شامير التى خطط لها جيداً .. وبأقل الخسائر التى يمكن أن تصيب الامريكان من جراء تسرب أسرارهم العسكرية إلى السوفيت عبر تل أبيب بعد تنقيتها وباشراف دقيق من الحكومة الاسرائيلية . بل ان اسرائيليا يصعب الكشف عن اسمه أو التنبؤ به يقرر أن المعلومات التى كان يحصل عليها الجاسوس «بولارد» كانت تمنح إلى «بريماكوف» خبير الشرق الأوسط فى الخارجية السوفيتة بعد أن تملى على سكرتير خاص فى اسرائيل ؟ ..

ويضيف الإسرائيلى أنه بالنسبة لشامير فإن تحويل المعلومات الواردة من بولارد إلى السوفيت، كان طريقته فى التدليل على ان بالإمكان الاعتماد على إسرائيل، والتعاون معها فى الشرق الأوسط أكثر مما يمكن الاعتماد على العرب «المتقلبين» . ولسان حاله «مَنْ مِن العرب يمكنه أن يقدم لكم هذا ؟ » .

وقرار شامير المتفرد بتحويل المعلومات السرية إلى السوفيت معروف بصورة

واسعة في الدوائر السياسية القيادية في إسرائيل على حد مايذكره المصدر الإسرائيلي نفسه. فرابين الذى كانت تربطه علاقة وثيقة بالولايات المتحدة، كاد يصاب بصدمة عندما اطلع على الامر إلا أنه لزم الصمت. فقد فهم رابين وبيريز ومستشاروهما السياسيون ان افتضاح أمر عمل شامير سيعنى نهاية تحالف الليكود الذى يزداد وهنا يوما بعد يوم. إلا أنهما كان يعيان أيضاً، كما يقول المصدر الاسرائيلي نفسه، ان العلاقات الإسرائيلية الامريكية كلها «ستكون في خطر». ولذلك لم يحركا ساكنا. كذلك فقد علم بعض المسئولين فى جناح المابام اليسارى فى حزب العمل والذى تربطه علاقات وثيقة بالكتلة السوفيتية، بتصرف شامير، وفكروا فى تسريب المعلومات إلى الصحافة. إلا أن زعماء المابام «قرروا أن للامر طبيعة متفجرة لا يمكن احتمالها».

أما من جهته فإن شامير وكبار مساعديه كانوا يفسرون الخطوة لزملائهم بالإشارة إلى أن الهدف كان إنهاء العداوة القديمة العهد بين اسرائيل والاتحاد السوفيتى، والمبادرة باقامة نوع ما من التعاون الاستراتيجى. كما زعم شامير على حد قول المصدر الإسرائيلي «أنه لم يكن يسىء إلى العلاقة مع الولايات المتحدة، لأنه كان يقول للسوفيت الآن لا منجاة لكم. فالامريكيون يستطيعون أن يروا ويسمعوا كل شىء».

وقد أكد أحد المسئولين الكبار فى المخابرات الأمريكية، أن خسائر كبيرة وقعت فى الأرواح، وفى المقدرة على جمع المعلومات السرية التقنية داخل الاتحاد السوفيتى، وذلك كما دلت التحليلات الواسعة بسبب تسريبات بولارد، ويقول مسئول سابق فى وكالة المخابرات المركزية «ان غرض الإسرائيليين (من تجنيد بولارد) كان جمع ما أمكنهم من معلومات وإبلاغ السوفيت بأن لديهم قدرة استراتيجية من أجل ضمان بقائهم ولإخراج جماعتهم (من الاتحاد السوفيت). ما يوجعنا هو ان عملاءنا يقبض عليهم وقدرتنا على جمع المعلومات السرية التقنية تتضاءل. عندما يعرف السوفيت المعلومات التى سربت (فى الوثائق التى قدمها بولارد إلى الإسرائيليين) فإنهم يسكنون الصدر».

الـورطـــــة!

الشيء الوحيد في قضية بولارد لم يرد أحد أن يكشفه يدور، حول افيعام سيلاع. كان سيلاع أهم خبير إسرائيلي في القوات الجوية بشئون التصويب النووي وإطلاق الأسلحة النووية: كانت مهمته العمل على تمكين الطائرات الإسرائيلية من طراز «اف ١٦» المزودة بسلاح نووي على خرق الدفاعات الجوية السوفيتية. وفي وقت مبكر من عمله المهني تولى الخدمة كطيار على طائرة «اف ٤» في تل نوف انضمت إلى اسراب الطائرات الإسرائيلية ذات القدرة النووية. وقد ادت نظرة اربيل شارون الموسعة إلى أمن إسرائيل القومي وللتهديد السوفيتي إلى حدوث فورة دراماتيكية في التخطيط والتصويب النوويين. كانت القوة الجوية أيضاً مسئولة عن نظام الصواريخ المتطورة «اريحا» ومداها المتزايد بثبات. كانت أهداف الصواريخ الجديدة داخل الاتحاد السوفيتي تحتاج لاصابتها إلى مزيد من المعلومات السرية، ولذلك فقد كانت مهمة سيلاع مساعدة بولارد في جمع المعلومات الاساسية ثم تقييمها. كانت إسرائيل تحتاج إلى المعلومات الأمريكية الأكثر تقدماً بشأن أوضاع الطقس وبروتوكولات الاتصالات، بالإضافة إلى المعلومات عن إجراءات الطوارىء وحالات الانذار. كذلك فإن أي معلومات امريكية عن الحقول الكهرمغناطيسية التي تقع بين إسرائيل وأهدافها الرئيسية في الاتحاد السوفيتي، ضرورية أيضاً لاغراض التصويب في نظام «اريحا».

ولكن مهارة سيلاع المدهشة وعلمه في التصويب النووي، أعميا ايتان وأجهزة المخابرات الإسرائيلية عن حقيقة ان سيلاع كان طياراً لا علم له بادارة العلميات السرية. فعندما وقع بولارد في ورطة في أواخر ١٩٨٥ لم يكن لدى سيلاع ما يقدمه إليه ـــ كان همه الرئيسي الهرب من الولايات المتحدة بأسرع ما يمكن قبل أن يعتقل هو أيضاً وتوجه إليه اسئلة لم يكن لا هو ولا الحكومة الإسرائيلية يريدان أن يجيبا عنها.

ويعتقد الإسرائيليون الذين كانوا على علم بمهمة سيلاع والأسباب الكامنة وراءها، أنه كان على جوناثان بولارد أن يفهم مغزى ما يقوم به. ويقول أحد أصدقاء سيلاع «بولارد» كان يعلم ذلك. بالطبع كان يعلم. فنحن ما كنا نريد من بولارد أن يأتينا بصور فوتوغرافية عن مقر منظمة التحرير الفلسطينية في

تونس ». (كان المصدر الإسرائيلى يشير إلى زعم بولارد أن المعلومات السرية التى سلمها ساعدت إسرائيل فى التخطيط لتدمير مكاتب المنظمة فى تونس عام ١٩٨٥).

ومع كل ذلك فقد أجرت إسرائيل محاولة مباشرة واحدة للتوصل إلى إسقاط التهم ضد الكولونيل الشاب. ففى يونيو ١٩٨٦ بعد وقت قصير من كشف بولارد عن اسم سيلاع، كلفت إسرائيل لينارد جارمنت الدفاع عن الكولونيل. كان جارمنت وهو مساعد سابق للرئيس ريتشارد نيكسون محاميا بارزاً فى واشنطن، ومستشاراً خاصاً لشخصيات مثل المدعى العام السابق ادوين ميس. كان أيضاً مؤيداً قوياً لإسرائيل وأثناء ولاية نيكسون قام بين الحين والآخر بمهام دبلوماسية على مستوى رفيع.

وفى أواخر يونيو سافر جارمنت إلى تل أبيب لمقابلة سيلاع، والتحدث إلى المسئولين الإسرائيليين. كانت غايته ايجاد بعض نقاط الالتقاء بين واشنطن وحكومة إسرائيل وتسوية القضية قبل أن تنتقل إلى مرحلة نشر التقارير الصحفية المؤذية. كان بين مستشارى سيلاع حاييم جوزيف تسادوك وهو وزير سابق للعدل وعضو محترم فى حزب العمل، بالاضافة إلى مسئولين حكوميين. ولقد اقترح هؤلاء أن يقدم عرض وقائعى إلى وزارة العدل الامريكية يحدد علاقة سيلاع أو بالاحرى عدم وجود علاقة له. وزعمت الوثيقة المقترحة ان سيلاع لم يكن له علاقة ببولارد سوى لقائه فى مناسبات اجتماعية. وقال سيلاع إنه لدى علمه أثناء حفل عشاء بان بولارد مهتم بنقل وقائع إلى إسرائيل، كان رده الوحيد أن اقترح «أن يتعامل بولارد مباشرة مع الوكالة المختصة». ووفقا للتلخيص الذى قدم إلى جارمنت فإن الموقف الإسرائيلى كان أنه ليس للولايات المتحدة ما تؤاخذ عليه الكولونيل قضائيا. ولم تكن هناك أية إشارة ولو بسيطة إلى قيامه باعمال تجسس. واجتمع جارمنت بعدد من زعماء الدولة اثناء زيارته إسرائيل كما تناول العشاء فى منزل شمعون بيريز. وقد أكد له جميع هؤلاء أن لا علم لهم بقضية بولارد.

وبعد لقاء طويل مع سيلاع وشقيقه فى تل أبيب بدأ جارمنت يماطل. فقد رفض أن يقدم العرض قائلاً إنه يحتاج إلى تعديل. وعاد جارمنت إلى واشنطن

ليحاول مرة أخرى أن يفاوض على حل دبلوماسي أو لايجاد طريقة ما للعثور على وثيقة يمكن أن تخلص موكله من الورطة من دون إعاقة سبيل العدالة. وبعد اتصالات عديدة ذهابا وايابا وصل وفد اسرائيلي من ستة أشخاص إلى واشنطن في أغسطس ١٩٨٦، لعقد اجتماعات مع وزارتي العدل والخارجية لحل المشكلة. لم يكن الفريق الزائر عاديا وهو ما قدم الدليل على ان حماية سيلاع مصلحة تهتم بها أوساط أعلى مستويات الحكومة الإسرائيلية. كان اعضاء الوفد هم حاييم تسادوك وزير العدل السابق ومئير روزان وهو مسئول سابق في الموساد، وكان يعمل في السفارة الإسرائيلية في واشنطن ونائب روزان، الياكيم روبنشتاين وهو أحد ألمع الدبلوماسيين في إسرائيل، وقد أصبح فيما بعد سكرتيرا للحكومة، ورام كاسبي وهو محام بارز من حزب العمل وأحد خلصاء شمعون بيريز واراهام شالوم الرئيس السابق لشن بيت (الذي اجبر على الاستقالة من منصبه في أواخر حزيران من ذلك العام، بعدما وجهت إليه تهم اخفاء الادلة في قضية تتعلق بقتل الشين بيت لخطفه فلسطينيين، بينما كانا في الاسر عام ١٩٨٤)، وهناك بار ـأون نائب المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية. كان كاسبي وشالوم وبار ـاون قد عينوا مباشرة بعد اعتقال بولارد لإجراء تحقيق داخلي في القضية وقد خلصوا بعد أسبوع إلى ان بولارد جزء من وحدة تجميع معلومات سرية شاذة كانت تعمل من دون علم الحكومة.

دعا جارمنت الرجال الستة إلى منزله عشية اجتماعهم مع وزارتي العدل والخارجية. وقد عمل الجميع معا لساعات على تطوير العرض، ووضع جارمنت مسودة مذكرة حول عرقلة عمل العدالة بموجب القانون الامريكي في محاولة لإقناع الإسرائيليين بالتوقف عن الاصرار عليه بأن يقدم العرض في صيغته الأولى. واستمر الاجتماع إلى ما بعد منتصف الليل. وكانت زوجة جارمنت، سوزان، وهي معلقة معروفة في واشنطن تكتب لصحيفة «وول ستريت جورنال» تتولى طبع المسودات للعرض محل الخلاف. وفي رواية لاحد الشهود (وليس جارمنت) ان جارمنت الذي استمر في تذمره تلقى السؤال الحتمي: «من أي اليهود أنت؟». ورد جارمنت متفاخرا «أنني أيضاً مواطن انيركي». ما كانوا يطلبونه أيضاً لم يكن ذا قيمة في معرض حماية موكله. ولذلك فقد قرر جارمنت أن

يطلعهم على ما يعرف. فأخرج الدفتر الذى كتب عليه ملاحظاته بعد لقاء العشاء مع سيلاع وقرأ منه للحاضرين. واصغى الإسرائيليون بهدوء، ثم طلبوا تركهم يجتمعون على انفراد. وعندما عاد جارمنت طلبوا منه أن يسلمهم ملاحظات سيلاع فقال «هذه الملاحظات لى» فأصروا وأصر. فقالوا فى هذه «الحالة انت معفى من الخدمة».

لكن جارمنت لم يفقد. بل ابلغ إلى الرجال أنهم لن يستطيعوا أن ينتزعوا منه الملاحظات وحذرهم قائلاً: «إذا تحرك أى واحد منكم باتجاهى فسألقيكم فى البركة». فهدأ الجميع. واتفق فيما بعد على أن ينسحب جارمنت من القضية ولكن بهدوء.

كانت غريزة الحفاظ على النفس لدى جارمنت على أشدها. ولا ننسى أنه من الذين عايشوا مرحلة نيكسون فى البيت الأبيض. وهو لم يكن يعرف أن افيعام سيلاع كان مصوبا نوويا كبيرا، ولم يعرف أيضاً أن اسرار التصويب النووى الامريكى كانت جزءا من قضية بولارد، كما لم يكن يعرف أن الرجال الستة الذين فاوضوه بشأن العرض الخاص بقضية سيلاع، كانوا يقومون بتحقيق داخلى وعملية تغطية على فضيحة بولارد. إلا أن ما كان جارمنت يعلمه، وهو ما أبلغه سرا إلى المدعى العام الامريكى جوزيف ديجينوفا الذى تولى الادعاء فى قضية بولارد ومارك ريتشارد نائب المدعى العام المساعد، هو أن ينسحب من الدعوى لأنه لم يكن يعلم ما إذا كان موكله هو افيعام سيلاع أو الحكومة الاسرائيلية.

بانسحاب جارمنت انهت الحكومة الإسرائيلية محاولتها حماية سيلاع وبالتالى انهت حياته المهنية. وقد بقى سيلاع الذى تقاعد من القوة الجوية، وهو يحمل مشاعر الخيبة والاستهجان مقيما فى إسرائيل وحتى منتصف ١٩٩١، لا يزال طريد العدالة الامريكية.

الفصل الرابع

كيف دمر الموساد المفاعل النووى العراقى ؟!

●● كارتر يغرى اسرائيل باطلاعها على الصور والمعلومات التى يلتقطها القمر الصناعى «ك ـ ١١» إذا ساعدته فى نجاح كامب ديفيد.. لا شىء يخفى على اسرائيل فى جبهة القتال مع الجيوش العربية.. تدمير المفاعل النووى العراقى.

كيف دمر الموساد
المفاعل النووى العراقى ؟!

•• كانت اسرائيل ترقب سر الأسرار الامريكى فى دهشة .. بينما لعابها يسيل وهى تتابع تتدفق المعلومات والصور التى يلتقطها القمر الأمريكى «ك ــ ١١» ويحولها للمحطات الأرضية بكل ما تحمله الصور من أسرار العالم !

• ولم تكن أمريكا تسمح حتى لأقرب حلفائها واصدقائها بالإطلاع على الصور التى يلتقطها «ك ــ ١١». بل فرضت على تلك الصور والمعلومات سياجاً رهيباً من السرية والقيود .. لكن كارتر يسمح فجأة للاسرائيليين بالاطلاع على بعض الصور التى تهمها عن جيرانها أو اعدائها التقليدين .. لقد قدم كارتر لاسرائيل خدمة عمرها بمنحها هذا الحجم من الصور الاصلية الواضحة غير المنسوخة لتطلع بنفسها على آخر تطورات جبهات القتال التى تشاركها فيها مصر وسوريا والأردن ولبنان .

والمرجح أن التغيير الكبير فى سياسة كارتر ومكافأته لاسرائيل بمنحها تلك الصور؛ إنما هو فى حقيقته يعبر عن جائزة امريكية لائقة يقدمها الرئيس الأمريكى إلى اسرائيل بعد أن ساعدته على نجاح قة كامب ديفيد .

وكما توقع الجميع فإن الاسرائيليين اعتبرءا الاتفاق المتعلق بـ «ك هـ ١١» تأكيدا على احترام ادارة كارتر وتأييدها بعد قرار مدير المخابرات المركزية الاميرال المتقاعد ستانسفيلد تيرنر، وقف التنسيق على صعيد المعلومات السرية مع إسرائيل وبلدان صديقة أخرى كجزء من خطة إعادة هيكلة وكالة المخابرات المركزية . كان الإسرائيليون المعتادون على معاملة أفضل بكثير من الرئيسين ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد يعتبرون المسئولين فى ادارة كارتر سذجاً ومعادين للسامية ، وعلى غير علم ربما بمدى التوأمة التى تجمع بين جهاز المخابرات الخارجية الإسرائيلى ، الموساد ، ووكالة المخابرات الأمريكية خلال الحرب الباردة . فقد كان اتفاق عام

١٩٧٩ بشأن «ك هـ ١١» الاتفاق الثامن والعشرين فى سلسلة مشاريع تعاونية رسمية بين الأمريكيين والاسرائيليين فى التخابر الاستراتيجى منذ الخمسينيات.

لم يكشف النقاب رسميا عن أى من هذه الاتفاقات التى كان العديد منها يمول سرا، أى من صندوق طوارىء خاص يديره شخصياً مدير المخابرات المركزية. فخلال الستينيات مثلا كانت إحدى العمليات الخطيرة فى الوكالة يرمز إليها بـ«ك ك ماونترن» (ك ك هو الرمز الداخلى فى وكالة المخابرات الامريكية للرسائل والوثائق المتعلقة بإسرائيل). وكان الموساد يحصل بموجب هذا الاتفاق على ملايين لا تحصى من الدولارات سنويا. وفى المقابل كان الموساد يكلف عملاءه بالعمل بالنيابة عن الامريكيين فى انحاء شمال افريقيا وفى بلدان كينيا وتنزانيا والكونغو. وكانت هناك اتفاقات مخابراتية أخرى مع الموساد تدور حول النشاطات الأكثر خطورة التى تقوم بها المخابرات الإسرائيلية فى الشرق الأوسط، حيث كانت الدولارات الأمريكية تستخدم لتمويل العمليات فى سورية وداخل الاتحاد السوفيتى، حيث كان رجال وكالة المخابرات المركزية الامريكية ونساؤها يواجهون صعوبة فى التجسس.

وكان قرار إسرائيل على قرار الاميرال تيرنر عام ١٩٧٧ وقف التنسيق ــ وبكلام آخر رفض تمويل العمليات الجارية فى افريقيا وأماكن أخرى ــ باجراء خفض شديد فى تدفق المعلومات السرية التى يجمعها عملاؤها إلى واشنطن. ووجهة النظر الإسرائيلية هى ان اتفاق «ك هـ ١١» فى آذار ١٩٧٩ كان حتميا ليس بفضل نجاح قمة كامب ديفيد، بل بسبب فشل وكالة المخابرات الامريكية فى التنبؤ بتزايد، الضغط السوفيتى على افغانستان عام ١٩٧٨ واستمرار الاضطرابات فى ايران. كانت هناك جاليات يهودية فى كلا البلدين ــ فالكثير من اصحاب الحوانيت فى كابول، عاصمة أفغانستان، كانوا من اليهود ــ ولذلك فإن معلومات الموساد كانت أكثر تفوقاً من معلومات وكالة المخابرات الأمريكية. وكان أكثر ما أثار حنق الرئيس كارتر وكبار مساعديه الضحالة المحرجة فى التقارير التى امدتهم بها وكالة المخابرات الامريكية عن ايران، حيث اطيح بالشاه محمد رضا بهلوى حليف الولايات المتحدة المزمن فى انتفاضة شعبية على رغم تكهنات الوكالة المتفائلة، بأنه سيتمكن من الثبات فى السلطة. كانت وكالة المخابرات

المركزية قد رفضت وجهة النظر الإسرائيلية التى قدمها عام ١٩٧٨ يورى لوبرانى السفير الإسرائيلى السابق فى ايران، وفيها ان حكم الشاه لن يدوم طويلاً، لقد خذلت الوكالة الرئيس واضطرت القيادة الأمريكية إلى طلب مساعدة اسرائيل من جديد فى التكهن بسير الأحداث العالمية. وليس من قبيل الصدفة ان لوبرانى كان عضوا فى الوفد الإسرائيلى الذى أجرى المفاوضات فى آذار ١٩٧٩ بشأن اتفاق «ك هـ ١١» فى واشنطن».

إلا أنه كان هناك بند مهم فى الاتفاق وهو ألا يعطى الاسرائيليون أى معلومات سرية يمكن أن تساعدهم، فى توجيه ضربة اجهاضية لجيرانهم. ويقول مسئول بارز فى المخابرات الامريكية «لقد وضعت القواعد بنفسى. فقد صمم النظام على أساس أن يمد الاسرائيليين بكل ما يمكن أن يستخدموه ضمن مسافة المائة ميل. فإذا كانت المعلومات عن هدف داخل سورية أو مصر أخذوها. إما إذا كانت تتعلق بالعراق وباكستان وليبيا فتمنع عنهم».

وكما توقع البريطانيون الذين لم يرق لهم الاتفاق فقد كانت لإسرائيل خطة سرية فى مناورتها المستمرة للحصول على صور «ك هـ ١١» إلا أن الخطة لم تنضج تماماً لبعض كبار صانعى السياسة فى إدارة ريجان حتى خريف ١٩٨١ وقد بدأ الكشف عن هذه الخطة بالغارة على العراق.

كان ذلك بعد ظهر يوم أحد فى أوائل يونيو ١٩٨١. وكان مستشار الرئيس رونالد ريجان لشئون الامن القومى ريتشارد الن، يستريح وهو يحتسى الشاى المثلج على كرسى للتشمس فى منزله فى ضواحى فيرجينيا، ويقلب حصيلة أسبوع من البرقيات التى لم يطلع عليها وبعضها بالغ السرية.

اتصل أحد المساعدين فى غرفة المتابعة فى البيت الأبيض التى تعمل على مدار الساعة هاتفيا ليقول: «ان الاسرائيليين ابلغوا واشنطن أنهم نجحوا فى تدمير المفاعل النووى العراقى فى أوزيراك، على بعد ١٢ ميلا جنوب شرقى بغداد. وعلى الفور اتصل آلن بريجان الذى كان يمضى نهاية الأسبوع فى المنتجع الرئاسى فى كامب ديفيد فى ماريلاند المجاورة. فقيل له ان الرئيس قد صعد إلى طائرة الهليوكبتر لتوه فى طريق عودته إلى البيت الأبيض.. فأعطى أوامره أن انزلوه.

فقد كانت هذه أول أزمة فى الشرق الأوسط تواجهها الادارة الجديدة. فتلقى الرئيس المكالمة الهاتفية وسط ضجيج مروحة الهليكوبتر.

قال آلن «سيدى الرئيس! إن الاسرائيليين دمروا للتو مفاعلاً نووياً فى العراق مستخدمين طائرات ف ــ١٦»، كان الاسرائيليون قد استفادوا من ائتمان مالية امريكية بفائدة ضئيلة ولمدى طويل بشراء خمس وسبعين طائرة من طراز «ف ــ١٦» عام ١٩٧٥ «لاغراض الدفاع فقط».

ــ ماذا تعرف عن الأمر؟
ــ لا شيء يا سيدى. إننى انتظر وصول تقرير.
ــ ولماذا تعتقد أنهم فعلوا ذلك؟

وترك الرئيس سؤاله الجدلى معلقا للحظة كما يذكر آلن، ثم أضاف: «حسنا. الصبيان يبقون صبيانا».

ويضيف آلن أنه بعد لحظات اتصل وزير الخارجية الكسندر هيج الذى كان منذ أول يوم فى الحكم، يتنافس مع جميع كبار المسئولين لتوسيع نفوذه فى الادارة، وطلب بانفعال معرفة مكان الرئيس الذى كان قد استقل الطائرة. وقال «ياديك، يجب أن اتحدث إلى الرئيس الآن»، فسأل آلن لماذا، فقال «يجب أن اتحدث إليه». فسأل آلن «ابشأن المفاعل؟» فقال هيج نعم. فقال له آلن إنه قد فات الأوان فهو نفسه اطلع ريجان على الأمر. فسأل هيج «ماذا؟ كيف عرفت بالأمر؟». ويضحك آلن وهو يتذكر ويضيف أن هيج ما اهتم بل اندفع ليطلع ريجان بما عنده. ويعقب آلن بالقول «الحقيقة أنك لا تستطيع أن تسجل «علامات جيدة» بهذه، الطريقة. فرونالد ريجان لن يتذكر من كان أول من نقل إليه الخبر».

ويروى آلن أنه فى صباح اليوم التالى عقد اجتماع فى غرفة القيادة العليا لريجان اقترح خلاله وزير الدفاع كاسبار واينبرجر الغاء مبيعات، طائرات «ف ــ١٦» لإسرائيل، ووافق آخرون كان من بينهم نائب الرئيس جورج بوش، ورئيس هيئة الأركان المشتركة جيمس بيكر، على أن من الضرورى فرض بعض العقوبات على اسرائيل. أما ريجان فقد نظر إلى آلن أثناء الحديث، وباشارة منه

أوضح أن لا رغبة لديه لاتخاذ مثل هذه الخطوة. يقول آلن «شقل عينيه وهو ينظر إلى».

ولم ينعكس تأييد الرئيس سرا للغارة على الخطوات العلنية التى اتخذتها الإدارة. فبعد ظهر ذلك اليوم اصدرت وزارة الخارجية بيانا قيل إنه حظى بموافقة الرئيس ووزير الخارجية الكسندر هيج يدين الغارة رسميا، ويقول «انها لا تؤدى إلا إلى تصعيد الموقف المتوتر اصلا فى المنطقة تصعيدا خطيرا». ويقول آلن إنه مع ذلك فقد كان «ريجان مبتهجا.. راضيا تماماً» عن الهجوم على المفاعل النووى فى اوزيراك. وكان لسان حاله ان الغارة «اظهرت أن للاسرائيليين مخالب، واحساسا استراتيجيا وانهم قادرون على أن يعالجوا المشاكل قبل أن تتطور. وعلى كل حال فلن تضرر من عمل إسرائيل». وكان لهيج موقف متسامح مماثل فى جلساته الخاصة.

اثار القصف الإسرائيلى موجة احتجاجات عالمية وبعد أيام اصدر البيت الأبيض قرارا بوقف تزويد إسرائيل بأربع طائرات أخرى من طراز «ف ـــ ١٦» كتتمة لصفقة ١٩٧٥. إلا أنه بعد شهرين من ذلك وبأقل ضجة ممكنة ظهرت السياسة الحقيقية للإدارة، فرفع الحظر وارسلت الطائرات دون وقوع أى حادث.

كان الذين خططوا لتنفيذ العملية حريصين على تجنب الاحتجاجات الدولية، ففعلوا كل ما فى طاقتهم للعتمية على العملية. وكانوا يأملون ان العراق وباقى العالم لن يتمكنا من القاء مسئولية الغارة على الطائرات التابعة للقوة الجوية الاسرائيلية، التى لم تكن تحمل أى اشارة تدل على هويتها. وقد نفذ الهجوم وفق الخطة المرسومة فى غضون دقيقتين، وكان احتمال انكشافه ضئيلاً. إلا أن مناحم بيجن، الذى رفع نجاح العملية معنوياته فاجأ زملاءه فى ٨ حريزان باعلان تنفيذ العملية الاسرائيلية من جانب واحد. وفى اليوم التالى بينما كانت إسرائيل محاصرة بالاحتجاجات، دافع رئيس الوزراء عن العملية، وتعهد بأن تعاود إسرائيل القيام بعملية مماثلة إذا اقتضى الأمر لمنع أى دولة عدوة من تطوير قنبلة نووية. وقال «لو ان المفاعل النووى لم يدمر لحدثت محرقة جديدة.. أبدا! أبداً!».

وبعد يومين، وفى حفل استقبال دبلوماسى بريطانى، صعق بيجن مرة أخرى كبار المسئولين فى حكومته وأجهزة المخابرات أيضاً بالتبجح بأن الطائرات الاسرائيلية دمرة منشأة سرية مدفونة على مسافة أربعين متراً تحت المفاعل ى اوزيراك، والتى كانت مخصصة كمركز تجميع لصنع القنابل النووية العراقية. كان المسئولون الاسرائيليون الذين أثارت تصريحات بيجن سخطهم يعرفون أنه إنما كان يصف منشأة سرية للسلاح غير موجودة فى اوزيراك بل فى إسرائيل.

وقد حاول الناطق الحكومى الاسرائيلى فى اليوم التالى أن يخفف من الضرر الناجم عن تصريحات بيجن بالقول لرجال الصحافة أن بيجن أخطأ، فالمنشأة السرية لم تكن على عمق أربعين مترا، بل أربعة أمتار تحت الأرض. ومهما يكن الأمر، فإن أسوأ مخاوف الحكومة لم يقع علنا فى الأيام والأسابيع القليلة التالية. لقد ظل سر إسرائيل سرا.

ومع حلول عام ١٩٨١ كان العلماء والمهندسون الاسرائيليون قد صنعوا قنابل ذرية على مدى ثلاثة عشر عاما فى موقع قصى يعرف باسم ديمونا، ويقوم فى منطقة النقب الجدباء جنوب القدس. فبنت إسرائيل بمساعدة فرنسية مفاعلا نوويا بالاضافة إلى منشأة منفصلة ــ مخفية تحت الأرض ــ للعملية المعقدة الخاصة بفصل أهم الناتج الثانوى عن عمل المفاعل: البلوتونيوم المستخدم فى صنع الأسلحة النووية. كما أن بيجن ــ كما قال لى مسئولون إسرائيليون ــ قد زار المنشأة السرية فى ديمونا مرة واحدة على الأقل منذ أن أصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٧٧، وزود فى الأيام، القليلة التى سبقت الغارة على اوزيراك بمذكرة منفصلة عنه. ويفترض المسئولون الاسرائيليون أن بيجن فى تصريحاتها العلنية نقل ما كان قد قرأه ورآه فى ديمونا إلى اوزيراك. ويقول أحد الاسرائيليين الذى يعترف فى الوقت نفسه أن تفسيره مترفق «لقد خلط بيجن بين الواحد والآخر».

ربما ظلت أسرار ديمونا خافية عن الصحافة العربية، إلا أن ديمونا نفسها كانت تواجه خطرا محققاً. ويعترف المسئولون الاسرائيليون أن أجهزة الاستخبارات لديهم، حصلت على أدلة فى الأيام التى تلت الغارة على أن العراق الذى يبدو وكأنه كان يطلب الانتقام، قد بدأ يحرك بعض صواريخ السكود التى أمده بها السوفيت إلى الحدود العراقية الأردنية. ولو أن صواريخ السكود اقتربت أكثر داخل

الأردن، لكانت ديمونا فى مرمى الضربة الانتقامية العراقية. وبخلاف المفاعل فى أوزيراك، فان المفاعل فى ديمونا كان يعمل على مدار ثمانية أشهر فى العام لانتاج البلوتونيوم المستخدم فى صنع الأسلحة النووية ومعالجته. وكانت ضربة عراقية ستنشر التلوث النووى على مسافات عشرات الأميال.

ولذلك فقبل قصف «اوزيراك» أمر المسئولون الاسرائيليون بوقف جميع العمليات فى المفاعل ذى القبة وفى مصنع المعالجة السرى فى ديمونا. وقد تعطل العمل فى المنشأتين حتى نهاية تلك السنة.

وفى الوقت نفسه، صدرت التعليمات لقوة الجو الاسرائيلية بتحليق طائرات استخبارات فى الاجواء على مدار الساعة. وليس هناك من دليل على أن واشنطن علمت أو فهمت مغزى الخطوات الدفاعية الإسرائيلية.

وللحال خالج الشك بعض مسئولى المخابرات البريطانية بأن إسرائيل استخدمت الصور الشديدة الوضوح التى يلتقطها «ك هـ ١١» لتحديد أوزيراك، فاتصلوا يشكون لزملائهم الامريكيين مما جرى، ويقول أحد الامريكيين الذين كانت لهم علاقة بالاتصالات أن مغزى كلامهم كان «لقد قلنا لكم ذلك من قبل».

كان البريطانيون على حق، كما اظهرت التحقيقات البالغة السرية التى اجريت فيما بعد. فالاسرائيليون حصلوا على معلومات سرية قيمة كثيرة من «ك هـ ١١»، وكانت هناك دلائل على ان وليام كيسى مدير المخابرات المركزية فى ادارة رونالد ريجان، قام بدور رئيسى دون وعى منه، كان كيسى مؤيداً متحمساً لفكرة مشاركة إسرائيل فى برنامج الاطلاع على الصور التى يلتقطها القمر الصناعى، وذلك منذ لحظة تولية منصبه، فقد أمر بأن يقدم لضباط التنسيق الاسرائيليين مكتبا خاصا بالقرب من مقر وكالة المخابرات المركزية. وكان الغرض على مايبدو تسهيل اتصال الاسرائيليين مباشرة بضباط المخابرات الامريكيين الذين يعالجون صور «ك هـ ١١» لضمان حصولهم على جميع المعلومات السرية المهمة. وكان رأيه ان الاسرائيليين وحدهم يعرفون ما هو مهم لإسرائيل، ويوضح أحد كبار المسئولين الامريكيين ماجرى بالقول «لقد كان كيسى مستعداً أن يعطيهم بعض الأسرار إلا أنه لم يفتح الباب على مصراعيه».

ولكن فى غضون سنتين ونيف ، تمكن الاسرائيليون من توسيع مجال الاتفاق المحدود إلى حد مكنهم من الحصول على أى صورة كانوا يطلبونها وإلى تلقى تغطية كاملة عبر «ك هـ ١١» لغرب روسيا ، ربما فى ذلك موسكو ويروى وليام بادر الذى عمل عام ١٩٧٩ كمساعد نائب وزير الدفاع للشئون السياسية خيبة أمله لدى علمه أن الاسرائيليين كانوا «يتعمقون أكثر مما يجب» من دون أن يعرف كيف يوقفهم . ويقول بادر «لم نكن نعرف لمن نشكو. لقد كنا نعلم أنه كانت لهم (الاسرائيليين) قنوات تلتف حول الكولونيلات ومساعدى نواب الوزراء» . ويقول إنه إذا وصلت إحدى الشكاوى إلى المكتب الخطأ «فقد تجد أنهم ارجعوا إليك رأسك مقطوعاً» .

أدت الغارة الإسرائيلية على اوزيراك أيضاً إلى اشعال غضب باريس واحراج الفرنسيين الذين كانوا المورد الرئيسى للمواد النووية والخبرة النووية للعراق فى مقابل النفط . وظهر عدد من المسئولين فى باريس الذين سعوا للانتقام بالخروج عن صمت مزمن ، وبدأوا يتحدثون عن العلاقات النووية المبكرة لفرنسا فى الشرق الأوسط باعتبارهم شركاء سريين فى صنع القنبلة النووية .

الفصل الخامس

اضافة لا بد منها !

•• **لكن هناك أبعادا أخرى أكثر أهمية وحساسية ذكرها مؤلف كتاب « عن طريق الخداع » وتتعلق بضرب المفاعل النووى العراقى.. وهاهى ذى كما نشرها مؤلف الكتاب، وأتى ذكرها فى العديد من المؤلفات الأكثر انتشاراً عن سياسة الترسانة النووية الاسرائيلية.**

كان الفرنسيون حذرين من نوايا العراق، عندما رفض بصراحة عرضهم باستبدال اليورانيوم المخصب بنوع آخر من الوقود أقل قوة يدعى « كراميل » وهو مادة يمكنها انتاج الطاقة النووية، وليس القنابل النووية.

كان العراق متصلبا فى رأيه، فالصفقة صفقة، وفى مؤتمر صحفى عقده الزعيم العراقى صدام حسين فى يوليو ١٩٨٠م فى بغداد سخر من القلق الإسرائيلى قائلاً: «إن الدوائر الصهيونية فى أوروبا كانت قبل بضعة أعوام تسخر من العرب قائلة إنهم شعب متخلف وغير متمدن ولا يصلح إلا لركوب الجمال فى الصحراء ـ انظروا كيف ان نفس الدوائر تقول الآن، دون ان تنطرف عيونها، بأن العراق على وشك إنتاج قنبلة ذرية».

ان حقيقة اقتراب العراق بسرعة من تلك النقطة فى أواخر السبعينات حفزت وحدة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية على إرسال مذكرة (موسومة بكلمة سوداء ـ أى بالغة السرية) إلى تسفى زامير، الجنرال السابق الطويل، الرفيع والخفيف الشعر الذى كان آنذاك رئيساً للموساد. كانت تلك الوحدة تزيد معلومات داخلية أكثر دقة عن مراحل تطور المشروع العراقى، لهذا استدعى ديفيد بيران، رئيس دائرة الاستوظاف فى الموساد، وهو رجل شديد التألق وسميك ومستدير الوجه من رجال الموساد المحترفين، لمقابلة زامير، وقام بعدها بيران بالاجتماع برؤساء أقسام إدارته وطلب منهم أن يجدوا فوراً وسيلة اتصال عراقية بالمصنع فى فرنسا.

وقد استغرق البحث الدقيق للملفات المنتسبين يومين ولكن لم يؤد إلى أية نتيجة، لهذا اتصل بيران بديفيد اريل رئيس محطة باريس، وهو ضابط أشيب محترف في الموساد يتقن عدة لغات، واعطاه المعلومات الضرورية للمهمة، وكما هو الحال في جميع الحالات المماثلة، فإن محطة باريس واقعة في الطابق المحصن تحصينا ثقيلا، والواقع تحت الأرض في مبنى السفارة الإسرائيلية، وبصفته رئيسا للمحطة فقد كان اريل اعلى رتبة حتى من السفير، إذ أن منتسبي الموساد يفحصون الحقيبة الدبلوماسية، كما ان جميع المراسلات الواردة إلى السفارة والصادرة عنها تمر عن طريقهم، وهم مسئولون كذلك عن الاحتفاظ ببيوت مأمونة تعرف بعبارة «الشقق الجاهزة للعمليات» ومحطة لندن وحدها على سبيل المثال تمتلك أكثر من مئة شقة كهذه وتستأجر خمسين شقة أخرى.

كما أن باريس كانت لها حصتها من «السايانيم»، المساعدين المتطوعين اليهود من جميع طبقات المجتمع، وكان أحدهم، واسمه الحركي جاك مارسيل، يعمل في قسم الموظفين في مصنع مارسيل النووي، ولو أن المشروع كان أقل إلحاحاً لما كان سيطلب منه أن يحصل على وثيقة فعليه، إذ كان في العادة سينقل المعلومات شفهياً أو حتى ينسخها، وأخذ وثيقة ينطوي على مخاطرة اكتشاف امره وتعرضه للخطر، ويعود ذلك أساسا إلى أن الأسماء العربية مربكة في حالات عديدة (إذ يستعملون على ما يبدو اسماء مختلفة في مواقف مختلفة) وهكذا، ومن أجل التأكد، طلب من مارسيل إحضار قائمة بجميع العراقيين العاملين هناك.

وبما انه كان من المقرر أن يأتي مارسيل إلى باريس لحضور اجتماع يعقد في الأسبوع التالي على أي حال، فقد طلب منه أن يضع القائمة في صندوق سيارته مع قوائم أخرى كان سيحضرها للاجتماع بصورة قانونية، وفي الليلة السابقة قابل ضابط جمع من الموساد وحصل على مفتاح الصندوق واعطاه تعليماته، كان على مارسيل أن يمر بشارع جانبي قرب الكلية العسكرية في الوقت المحدد، وهناك سيرى سيارة بيجو حمراء على نافذتها ملصقة معينة، وكانت تلك السيارة ستكون قد استؤجرت وتركت طول الليل أمام أحد المقاهي لضمان موقف، وهذا شيء أساسي في باريس كما طلب من مارسيل أن يدور حول مجمع الأبنية، وعندما

يعود ستكون البيجو على وشك المغادرة مما يسمح له بأن يأخذ مكانها، ثم عليه أن يذهب إلى الاجتماع تاركا ملف الأشخاص العراقيين فى الصندوق.

ولا شك أن العاملين فى الصناعات الحساسة معرضون لتدقيق أمنى عشوائى، لذا قامت الموساد بتعقب مارسيل دون علمه وهو فى طريقه إلى الاجتماع، وبعد التأكد ثانية من عدم وجود مراقبة قام شخصان من الموساد بأخذ الملف من السيارة ودخلا المقهى، وفى حين أوصى احدهما على المشروب دخل الآخر إلى المرحاض، حيث اخرج آلة تصوير بها أربع سيقان صغيرة من الالومنيوم قابلة للطى تدعى «الملزمة» وهذا الجهاز يوفر وقت النصب إذ أن الكاميرا تكون جاهزة للاستعمال وتستعمل أمشاط تصوير خاصة تصنعها ادارة التصوير فى الموساد وتأخذ حوالى ٥٠٠ صورة على الفيلم الواحد، وبمجرد إنزال السيقان، يستطيع المصور أن يدس المستندات تحتها ويسحبها بسرعة مستعملاً قطعة ملحقة، يمسكها بين أسنانه لكى يطبق بها مصراع الكاميرا كل مرة، وبعد تصوير الصفحات الثلاث بهذه الطريقة اعاد الرجلان الملف إلى صندوق السيارة وغادرا المكان.

الموضـــوع:

كان ذلك فى أغسطس من عام ١٩٧٨م، وظهر أن روتينها وروتينه كانا ثابتين، فقد كانت توجد هناك عند وصول حليم لأخذ حافلته، وبعد بضع لحظات كان رجلاً أشقر أزرق العينين، ومنسق وأنيق يسرع بسيارته الفرارى ذات المقعدين، ويقف لالتقاط الشقراء ثم يسرع بها إلى مكان لا يعرفه إلا الله.

كان حليم العراقى الجنسية، والذى كانت، زوجته سميرة قد أصبحت غير قادرة على تحمله أو تحمل حياتها الموحشة فى باريس، يقضى الكثير من وقت رحلته المنفردة إلى العمل وهو يفكر بتلك المرأة، وكان لديه الوقت الكافى لذلك، إذ لم يكن يرغب فى التحدث إلى أى انسان فى الطريق، وكانت سلطات الأمن العراقى قد اصدرت إليه تعليمات بأن يذهب بطريقة دائرية إلى العمل، وان يغيرها مرات كثيرة، وكان الشيئان الثابتان بالنسبة له، هما موقف الباص قرب منزله فى حى اليهود ومحطة سان لازار للمترو، التى كان يأخذ القطار منها إلى سارسيل شمال المدينة تماماً، حيث كان يعمل فى مشروع سرى تماماً يتعلق ببناء مفاعل نووى للعراق.

فى أحد الأيام وصل الباص الثانى قبل سيارة الفرارى ، ألقت المرأة أولاً نظرة سريعة على الشارع ، حيث كانت تتوقع قدوم السيارة باحثة عنها ، ثم هزت كتفيها بلا مبالاة وصعدت إلى الباص ، وكان باص حليم قد تأخر مؤقتاً بسبب « حادث » بسيط على بعض مجمعى بناء عناء وقفت سيارة بيجو أمامه .

بعد لحظات وصلت سيارة الفرارى ، وبحث السائق عن المرأة ، وبما أن حليم كان مدركاً لما كان قد حدث ، فإنه صاح إليه بالفرنسية قائلاً إنها قد أخذت الباص ، ظهر الرجل محتاراً وأجاب بالانجليزية ، وعندها اعاد حليم القصة له بالانجليزية .

أبدى الرجل امتنانه وسأل حليم إلى أين كان متجها ، فأخبره حليم أنه ذاهب إلى محطة مادلين ، على مقربة من محطة سان لازار ، فقال السائق ران اس ــ الذى كان حليم سيعرفه فقط بأنه جاك دونافان البريطانى ــ بأنه ذاهب فى نفس الاتجاه وعرض أن يوصله .

رأى حليم أن لا مانع فى ذلك ، فوثب إلى داخل السيارة ، لقد ابتلعت السمكة الطعم واثبت الحظ فيما بعد أن ذلك سيكون غنيمة ممتازة للموساد .

انتهت « عملية أبو الهول » بصورة مثيرة فى السابع من يونيو ١٩٨١م عندما قامت القاذفات الإسرائيلية المقاتلة الامريكية الصنع بتدمير مجمع السابع عشر من تموز (أو أوزيراك) النووى خارج بغداد بغارة جريئة فوق منطقة معادية ، ولكن ذلك لم يتم إلا بعد أن أخرت سنوات من الدسائس والدبلوماسية الدولية وأعمال التخريب والاغتيال التى نسفتها الموساد انشاء المجمع ، رغم فشلها فى ايقاف الانشاء نهائيا .

كان قلق إسرائيل بشأن المشروع عميقاً منذ أن وقعت فرنسا اتفاقية لتزويد العراق ، الذى كان آنذاك ثانى أكبر مزوديها بالنفط ، بمركز أبحاث نووية فى أعقاب أزمة الطاقة عام ١٩٧٣م ، التى صعدت الاهتمام بالطاقة النووية كمصدر بديل للطاقة ، وكانت الأقطار التى تصنع منظومات توليد الطاقة النووية ، تروج كثيراً عمليات بيعها ، وفى ذلك الوقت كانت فرنسا راغبة فى بيع العراق مفاعلا نووياً تجارياً بقوة ٧٠٠ ميجاواط .

كان العراق يصر دائماً على أن مركز الأبحاث النووية مصمم لاغراض سلمية، ولتزويد الطاقة لبغداد أساسا، أما إسرائيل ولاسباب جديرة بالاعتبار. فقد خشيت ان يستخدم لصنع قنابل نووية تستعمل ضدها.

وافق الفرنسيون على تزويد العراق بعنصر اليورانيوم المخصب بنسبة ٩٣ بالمائة.

أرسلت الأسماء بالكمبيوتر على الفور إلى شعبة باريس فى تل أبيب، باستعمال نظام الموساد للترميز النمطى المزدوج، وكل صوت لفظى له رقم، فإذا كان الاسم من مقطعين لفظيين فقد يخصص للمقطع الأول الرقم ٢١، ولتعقيد الأمور أكثر، فإن لكل رقم رمز منتظم ـــ حرفاً أو رمزاً آخر ـــ هذا الترميز المزدوج يغير مرة كل أسبوع وحتى مع ذلك ان كل رسالة لاتقول إلا نصف القصة وبهذا يحصل الإنسان على رمز لرمز المقطع الأول، بينما يحصل آخر على رمز لرمز المقطع الثانى، وحتى لو اعترض البث فإنه لايعنى شيئاً لمن يحاول فك رموزه، وبهذه الطريقة ارسلت قائمة الافراد جميعاً إلى الرئاسة عن طريق بثّين منفصلين بالكمبيوتر.

وبعد فك رموز الأسماء والمراكز فى تل ابيب ترسل إلى إدارة الأبحاث فى الموساد، وإلى وحدة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، ولكن لأن الموظفين العراقيين فى سارسيل كانوا علماء فإنهم لم يعتبروا خطرين، ولم تكن لدى الموساد إلا معلومات قليلة عنهم.

جاء الرد من رئيس إدارة الاستوظاف بالموساد بأن «يضربوا حسب المصلحة» أى أن يجدوا الهدف الأسهل، وبسرعة وهكذا صدف ان عثروا على بطرس بن حليم، مما كان سيثبت انه ضربة حظ سعيد، لكنه فى الوقت اختير لأنه كان العالم العراقى الوحيد الذى اعطى عنوان مسكنه، كان معنى ذلك ان الآخرين كانوا إما أكثر وعيا من ناحية أمنية، أو أنهم كانوا يقيمون فى ثكنة عسكرية قرب المصنع، كما كان حليم متزوجاً ـــ وكان نصفهم متزوجين كذلك، ولكن لم يكن له أبناء، ووجود عراقى عمره ٤٢ عاماً وليس له أبناء أمر غير اعتيادى ولايشير إلى زواج عادى سعيد.

أما وقد حصلوا على هدفهم، فقد كانت المشكلة التالية هى كيفية

«استخدامه» خاصة أن تل أبيب أرسلت تعليمات بأن هذا الامر يجب أن يعتبر عملية مضمونة النجاح.

ولاتمام هذه المهمة استدعيت مجموعتان:

أولاهما: مجموعة مسئولة عن الأمن الأوروبى، وسيكون عليها أن تتعرف على برنامج حليم وزوجته، وان تجد فيما إذا كان تحت المراقبة العراقية أو الفرنسية، وان تعمل على ايجاد شقة قريبة من شقته عن طريق متطوع «عقارى» (احد المساعدين فى النشاطات العقارية، يعهد إليه ايجاد شقة فى المنطقة المطلوبة ـــ دون أن يوجه أية اسئلة).

أما المجموعة الثانية فهى التى تقوم بعمليات الاقتحام الضرورية وتراقب الشقة مراقبة دقيقة وتركب فيها أجهزة تنصيب ـــ «خشب» ان كانت ستركب فى طاولة أو فى الطوق الخشبى المحيط بالجدران، أو «زجاج» ان كانت ستركب فى الهاتف.

يتكون فرع الأمن الدولى فى إدارة الأمن من ثلاث مجموعات تضم كل منها من سبعة إلى تسعة أشخاص، تعمل مجموعتان فى الخارج والثالثة، تعمل كمجموعة دعم فى إسرائيل، واستدعاء احدى المجموعات لعمليات مايتطلب مماحكة كبيرة إذ إن كل شخص يعتبر عمليته حيوية.

كما أن فرع الاقتحام فى إدارة الأمن يتكون من ثلاث مجموعات من الخبراء المدربين فى فن الحصول على المعلومات من «الأشياء الساكنة» مما يعنى الاقتحام، وتصوير الوثائق ودخول الغرف والأبنية، ومغادرتها لتركيب أجهزة مراقبة دون ترك أى أثر أو الاتصال بأى شخص، وتضم جملة الأشياء التى بحوزة هذه المجموعات مفاتيح عمومية لمعظم الفنادق الرئيسية فى أوروبا، كما تبتكر باستمرار طرقاً جديدة لفتح الأبواب المزودة بأقفال تفتح بمفاتيح بطاقات وبمفاتيح مرمزة أو بوسائل أخرى، كما ان بعض الفنادق مثلاً بها اقفال تفتح باستعمال بصمات نزلاء الغرف.

وبمجرد وضع وسائل التصنت فى شقة حليم وجعلها جاهزة للعمل، يقوم موظف فى إدارة التصنت بالاستماع إلى المحادثات وتسجيلها، وسيرسل شريط

اليوم الأول إلى مقر الرئاسة فى تل أبيب ، حيث تحلل اللهجة الخاصة ويرسل مستمع يفهم تلك اللهجة أفضل من غيره من إسرائيل بأسرع ما يمكن لمتابعة المراقبة الالكترونية ويقدم ترجمة فورية لمحطة باريس.

وحتى هذه النقطة من العمليات كان كل ما لديهم اسم وعنوان فقط ، ولم يكن لديهم صورة حقيقية للعراقى أو حتى اى ضمان بأنه سيكون مفيدا ، بدأت المجموعة بمراقبة مبنى شقته من الشارع وبالتجسس من الشقة المجاورة لمعرفة شكل حليم وزوجته.

جرى أول اتصال بعد ذلك بيومين عندما قامت شابة جذابة قصيرة الشعر ذكرت اسمها جاكلين بقرع باب شقة حليم ، كان اسمها الحقيقى دينا وهى من افراد مجموعة الأمن الأوروبى ، وكانت مهمتها أن تتفحص الزوجة وتصفها للمجموعة بدقة لكى تبدأ المراقبة الجدية. ادعت أنها بائعة عطور، وكانت قد حصلت على كمية كبيرة منها ، كما كانت تحمل حقيبة يدويه للأوراق بها نماذج مطبوعة لطلبات الشراء، وتنقلت من شقة لأخرى لتعرض بضاعتها على سكان جميع الشقق الأخرى فى المنزل الثلاثى الطبقات الذى لم يكن فيه مصعد ، وذلك لتجنب ارتياب العائلة العراقية بها ، وتأكدت من الوصول إلى شقة حليم قبل عودته من العمل.

سرت سميرة كثيراً بعرض العطور، كما فعلت بقية السيدات فى المبنى ، ولا عجب فى ذلك إذ ان الاسعار كانت أقل بكثير مما كانت عليه فى متاجر البيع بالمفرق ، وطلب من الزبونات أن يدفعن نصف الثمن مقدما والنصف الآخر عند تسليم البضاعة ، مع وعد بهدية «مجانية» عند التسليم.

والأفضل من ذلك هو أن سميرة دعت «جاكلين» للدخول وصارحتها بتعاستها وذكرت أن زوجها لم يكن لديه دافع للنجاح ، وانها من عائلة غنية ومضطرة للعيش من أموالها الخاصة ، كما ذكرت أنها ستعود للعراق خلال اسبوعين ، لأن عملية جراحية خطيرة كانت ستجرى لوالدتها ، مما سيترك زوجها وحيداً ــ وبهذا سيكون أقل مناعة.

ادعت «جاكلين» بأنها طالبة من عائلة محترمة من جنوب فرنسا ، وادعت

بأنها تبيع العطور للحصول على نقود إضافية لمصروفها، كما أظهرت عطفها الشديد تجاه مشكلة سميرة، ورغم أن مهمتها الأولية كانت مجرد التعرف على المرأة. إلا أن هذا النجاح بعينه كان رائعاً، ففى عملية المراقبة يرفع لمنزل الأمن تقرير عن كل التفاصيل الدقيقة بعد كل مرحلة، وتقوم المجموعة بهضم المعلومات وتخطيط الخطوة التالية، مما يعنى عادة ساعات من الاستجواب للتدقيق فى كل نقطة من التفاصيل، كما تثور العواطف فى حالات عديدة عندما يقوم عدة أشخاص بمناقشة أهمية تصرف خاص أو عبارة معينة، يدخن الأعضاء ويشربون القهوة باستمرار ويصبح الجو أكثر توتراً بمرور كل ساعة.

وهكذا تقرر بأنه ما دامت دنيا (جاكلين) قد انسجمت مع سميرة، فإن هذه التطورات السعيدة يمكن استغلالها لتعجيل الأمور، لذلك أصبحت مهمة دينا التالية أن تخرج المرأة من الشقة مرتين ــ الأولى لكى تحدد المجموعة أفضل مكان لوضع جهاز التصنت، والثانية لتركيبه. وكان معنى ذلك دخول الشقة وأخذ صور وقياسات ورقائق دهان وكل ما هو ضرورى لضمان إنتاج نسخة دقيقة لأى بند ينزع، وتركيبها فى نفس المكان عد أن يوضع فيها جهاز تصنت، وكما هو الحال فى كل ما تفعله الموساد، فإن المعيار هو تقليل المخاطر دائماً.

أثناء الزيارة الأولى كانت سميرة قد تذمرت بشأن مشاكلها بالعثور على صالون محلى جيد يقوم معالجة لون شعرها، وعندما عادت جاكلين بالبضاعة بعد ذلك بيومين (هذه المرة قبيل الموعد المنتظر لعودة حليم، لكى نتعرف على شكله) اخبرت سميرة عن صالونها الأنيق، قائلة:

«لقد أخبرت اندريه عنك فأجاب يجب أن يعالج شعرك، إن الأمر يحتاج إلى زيارتين إذ أنه متشدد فى إتقان عمله، ولكننى أحب أن آخذك معى».

بادرت سميرة بمنتهى السرور لاغتنام الفرصة، إذ لم يكن لها ولزوجها اصدقاء حقيقيون فى المنطقة، كما أن حياتها الاجتماعية كانت محدودة جداً، ولها رحبت بفرصة الخروج مرتين بعد الظهر لترتاح من عناء حياتها المملة.

وكهدية خاصة لسميرة لشرائها العطور احضرت جاكلين عَلاّقة مفاتيح فاخرة لها مقبض صغير لكل مفتاح وقالت «اعطنى مفتاح شقتك لأريك كيف تعمل هذه العلاّقة».

على ان مالم تره سميرة عندما ناولتها المفتاح هو قيام جاكلين بدسه فى صدوق قياسه بوصتان له مفصلة وملفوف ليبدو، وكأنه هدية أخرى، لكنه ملىء بمادة لدائنيه مرشوشة بمسحوق الطلق لمنعها من الالتصاق بالمفتاح، وعند دس واغلاق الصندوق ترك طبعة كاملة على المادة الدائنية يمكن عمل نسخة منها.

كان بإمكان الجماعة الدخول دون مفتاح ولكن لماذا يعرضون أنفسهم لخطر الانكشاف إذا كان فى الإمكان الدخول من الباب الامامى، كما لو كانوا يعيشون فى الشقة؟ وعندما يكونون فى الداخل يمكنهم دائماً إقفال الباب ثم يضعون قضيباً بين قبضة الباب الداخلية والأرضية، وبهذه الطريقة إذا استطاع شخص ما تجاوز المراقبة الخارجية، وحاول فتح الباب فإن من المرجح أن يعتقد بأن القفل مكسور ويذهب لطلب المساعدة على فتح الباب، مما يعطى من فى الداخل وقتاً أطول للمغادرة دون أن يلاحظهم أحد.

بمجرد أن تم التعرف على حليم بدأت المجموعة تتعقبه سرا ودون أن يشعر وهى طريقة لتحديد برنامج الشخص، مع تجنب أية فرصة لانكشاف أمر المتعقبين، ومعناها مراقبته على مراحل وليس تتبعه بالفعل، ويتم ذلك بوضع شخص فى مكان قريب ليراقب مكان ذهابه، وبعد بضعة أيام يقوم رجل آخر متمركز عند مجمع الابنية التالى بمراقبته، وهكذا، وفى حالة حليم كان الامر سهلاً للغاية لأنه كان يذهب لنفس موقف الباصات يوميا.

وقد عرف أفراد المجموعة جهاز التصنت موعد عودة سميرة إلى العراق بالضبط، كما سمعوه يقول لها إن عليه أن يذهب إلى السفارة العراقية لتدقيق امنى، مما نبه الموساد لأن يكونوا أكثر حرصا، لكنهم لم يتوصلوا إلى قرار بشأن كيفية استخدامه، ونظراً للأولوية القصوى لهذه القضية، لم يكن لديهم الوقت الكافى لتقرير ما إذا كان حليم سيتعاون معهم أم لا.

رفضت إدارة الأمن التشغيلى فكرة استخدام عربى للاتصال بعرب آخرين قائلة: إن ذلك أمر فيه الكثير من المجازفة فى هذه القضية البالغة الأهمية، ولم يريدوا أن يعبثوا بها، وسرعان ما تم نبذ الآمال بأن تستطيع دنيا بصفتها جاكلين ان تصل إلى حليم عن طريق زوجته. فبعد الزيارة الثانية للصالون لم تعد سميرة

تريد أية علاقة بجاكلين وقالت لحليم مرة أثناء احدى جلسات تسقط العيوب، «ولقد رأيت كيف تنظر إلى تلك الفتاة، لا تكن لك أفكار لمجرد إننى مسافرة، إننى مسافرة، إننى أعرفك جيداً».

وهذا ما دعاهم إلى تبنى فكرة الفتاة التى على موقف الباصات، بحيث يدعى رآن اس. بأنه الانجليزى جاك دونوفان، وسيسمحون لسيارة «الفرارى» التى توهم بالثروة بأن تقوم بالباقى.

فى المرة الأولى التى ركب فيها «الفرارى» لم يبح حليم بأى شىء عن عمله مدعيا انه طالب ـ قال ران لنفسه بأن رفيقه طالب كبير فى السن إلى حد ما ـ وذكر أن زوجته مسافرة، وانه يريد أن يأكل جيدا، لكنه لا يستطيع الشرب.

أبقى دونوفان مهنته غامضة للسماح بأكبر قدر من المرونة، وقال إنه يتعاطى التجارة الدولية وأومأ إلى ان حليم قد يرغب فى زيارته فى داره فى الريف أو ينضم إليه فى عشاء أثناء غياب زوجته، على ان حليم لم يلزم نفسه بأى شىء عن ذلك الحد.

فى صباح اليوم التالى عادت الشقراء والتقطها دونوفان، وبعد ذلك بيوم حضر دونوفان لكن الفتاة لم تحضر، ومرة ثانية عرض على حليم أن يرافقه إلى مركز المدينة التجارى مقترحاً أن يتوقفا أولاً لتناول القهوة فى أحد المقاهى، أما بشأن الرفيقة الجميلة فقد قال دونوفان: «آه،... إنها ليست إلا امرأة لعوبة، وقد أخذت تزيد من طلباتها لذلك قطعت صلتى بها، إنه لأمر مؤسف نوعاً ما ـ لقد كانت جيدة جداً»، إذ فهمت ما أقول ولكن لا توجد قلة فى هذا النوع، يا شيخ».

لم يذكر حليم شيئاً عن صديقه الجديد لسميرة، إذ كان هذا امرأ أراد أن يبقيه لنفسه.

سافرت سميرة إلى العراق بعدها قال دونوفان، الذى كان يصطحب حليم بانتظام ويصبح أكثر مودة، بأنه مضطر للذهاب إلى هولندا فى رحلة عمل لمدة حوالى عشرة أيام، وأعطى حليم بطاقته الشخصية، التى لم تكن إلا واجهة

خداعة، لكنها فعل كامل بلافتة سكرتيره لئلا يكتشف حليم الامر إذا ما حضر أو اتصل هاتفيا، فى موقع مهيب بمبنى مجدد قرب شارع الشانزليزيه.

طوال هذه المدة كان ران (دونوفان) مقيما بالفعل فى منزل الأمن، حيث كان يجتمع بعد كل مقابلة مع حليم برئيس المحطة أو بالمسئول الثانى فيها لتخطيط التحرك التالى، ويكتب التقارير ويقرأ نسخ تسجيلاً أجهزة التصنت ويراجع كل سيناريو ممكن.

كان ران يستكشف الطرق الموصلة إلى منزل الأمن للتأكد من أن لا أحد يتعقبه، وفى المنزل كان يبادل وثائقه تاركا فيه جواز سفره البريطانى، ومن التقريرين اللذين كان يكتبهما كل مرة، كان الأول تقرير معلومات يضم تفاصيل محددة عما قيل فى الاجتماع.

أما التقرير الثانى، وهو تقرير العمليات، فكان يحتوى على تفاصيل تجيب على أسئلة تبدأ بالكلمات التالية: من، ماذا، متى؟ أين ولماذا؟ ويذكر كل ما كان قد جرى فى الاجتماع، ثم يوضع فى ملف ويسلم لرسول ينقل الرسائل بين المنازل الأمنية والسفارة.

يرسل كل من تقارير المعلومات وتقارير العمليات إلى إسرائيل على حدة، إما عن طريق الكمبيوتر أو بالطرق الدبلوماسية، كما أن تقارير العمليات يقسم إلى مدى أبعد لتجنب انكشاف محتوياته، وقد يقول احد الاقسام: «قابلت المذكور فى (انظر المعلومات المذكورة على انفصال) كما ان قسما آخر قد يحتوى على اسم الموقع، وهكذا، ولكل شخص اسمان رمزيان، رغم أنه لا يعرفهما: احدهما للمعلومات والآخر للعمليات.

يهتم رجال الموساد دائما بالاتصالات أكثر من اهتمامهم بأى شىء آخر، ولأنهم يعرفون ما يستطيعون عمله، فإنهم يعتبرون أن استخبارات الاقطار الأخرى يمكنها عمله كذلك.

بعد سفر سميرة غير حليم رؤيته فأخذ يتوقف فى الحى التجارى بعد العمل ليتناول طعامه وحيدا فى مطعم أو ليحضر فيلما سينمائيا، وفى أحد الأيام اتصل هاتفيا بمكتب دونوفان وترك رسالة، وبعد ثلاثة أيام اتصل دونوفان به، كان حليم

يود الخروج، فأخذه دونوفان إلى ملهى غال حضرا استعراضا مسرحياً، واصر على دفع جميع التكاليف.

كان حليم يشرب الآن واثناء ذلك المساء الطويل، تكلم دونوفان باختصار عن صفقة، كان يحاول عقدها لبيع حاويات شحن قديمة لاقطار افريقية لتستعمل كوحدات سكنية.

قال دونوفان: «انهم شديدو الحاجة للحاويات فى بعض هذه الأماكن، فيفتحون فيها فتحات لتكون بمثابة ابواب ونوافذ، ويعيشون فيها. لدى رسالة عن بعضها فى طولون استطيع أن اشتريها بأبخس الاثمان، وإننى ذاهب إلى هناك فى عطلة نهاية الأسبوع، لماذا لا تأتى معى».

وكان جواب حليم: «من المؤكد أننى سأكون عبئاً عليك وأعطل أمورك، فإننى لا أعرف شيئاً عن التجارة» ــ«كلام فارغ، إنها رحلة طويلة للذهاب والرجوع واحب أن يكون معى رفيق، سنبيت هناك ونعود يوم الأحد، وعلى أى حال، ما الذى سنفعله فى نهاية هذا الأسبوع.

كادت خطة المتطوع المحلى أن تفشل، لولا أن أحد ضباط الموساد أخذ دور «رجل الأعمال الذى يبيع الحاويات لدونوفان».

بينما كان الرجلان يتماطلان بشأن السعر، لاحظ حليم أن احدى الحاويات، التى كانت قد رفعت، على رافعة، صدئة فى اسفلها (كانت جميع الحاويات صدئة، وكانا يرغبان بأن يلاحظ حليم ذلك) فهزَّ دونوفان جانبا مما مكنه من التفاوض على خصم حوالى ١٢٠٠ حاوية.

فى تلك الليلة على العشاء قام دونوفان باعطاء حليم ١٠٠٠ دولار امريكى نقدا قائلاً: «خذ هذه النقود إذ إنك وفرت علينا أكثر من هذا المبلغ بملاحظة الصدأ، إن هذا لا يهم الطرف الآخر بالطبع، ولكن بائعها لم يكن يعرف أنها صدئة».

لأول مرة بدأ حليم يدرك أن صداقته الجديدة، يمكنها أن تكون مربحة بالإضافة إلى توفيرها الوقت الممتع له وبالنسبة للموساد التى تعرف أن المال والجنس وشيئاً من الحفز النفسى ــعلى انفراد أو مع بعضها البعضــ يمكن أن تشترى أى شىء

تقريباً، فإن رجلهم قد وقع فى الشرك، وبهذا فقد حان الوقت للبدء بعمل حقيقى مع حليم.

والآن بعد أن عرف دونوفان ان حليم يثق تماماً بالقصة التى يتستر وراءها، دعا العراقى لشقته الفاخرة فى فندق سوفيتل بوربون فى ٣٢ شارع سان دومينيك، كما دعا «صيادة» شابه اسمها مارى كلود ماغال، وبعد التوصية على العشاء واخبر ضيفه بأنه مضطر للخروج لمهمة مستعجلة، وترك رسالة تلكسية مزورة على طاولة ليقرأها حليم كتأكيد لقول. قال له: «استمع إلى، إننى آسف لذلك ولكن تمتع بوقتك، وسأكون على اتصال بك».

وهكذا تمتع حليم «والصيادة» فعلا بوقتها، وتم تصويرهما ليس بالضرورة لأغراض الابتزاز ولكن لمجرد رؤية ما كان يجرى وما سيقوله حليم ويفعله، وكان عالم نفسى إسرائيلى يدقق باستمرار فى كل نقطة تفصيلية من التقارير التى تكتب عن حليم للعثور على دلالة على أكثر الطرق فعالية للتعامل معه، كما كان عالم نووى إسرائيلى جاهزا فيما لو استدعت الضرورة أن يقدم خدماته، وقبل وقت ليس طويلاً كانت تلك الضرورة ستستدعيها.

بعد يومين عاد دونوفان واتصل بحليم، وفيما كانا يتناولان القهوة، لاحظ حليم بوضوح أن صديقه منزعج من شىء ما.

قال دونوفان: «لدى فرصة لصفقة رائعة من شركة ألمانية بخصوص بعض الانابيب الخاصة، التى تعمل بالهواء المضغوط وتستعمل لشحن مواد مشعة لأغراض طبية، ان الامر كله تقنى جدا، ويتعلق بمبالغ كبيرة من المال، لكننى لا أعرف شيئاً عنه، لقد ارسلونى، إلى عالم انجليزى وافق على فحص الانابيب، والمشكلة أنه يريد مبلغا كبيراً جداً، ولست متأكداً من إننى اثق به على أى حال، اذ اعتقد أنه متواطىء مع الالمان».

قال حليم: «ربما استطيع أن اساعدك».

ــ «شكرا ولكننى بحاجة إلى عالم لفحص هذه الأنابيب».

ــ «واننى عالم».

تظاهر دونوفان بالدهشة وقال: «ماذا تقصد؟ اعتقد انك طالب».

ـــ «كنت مضطرا لأن أخبرك ذلك فى أول الأمر، لكننى عالم وقد ارسلتنى العراق لمشروع خاص، وانا متأكد من ان بإمكانى المساعدة».

كان ران سيقول فيما بعد إنه عندما اقر حليم نهائيا بمهنته، شعر كما لو كان شخصاً ما قد نزح جميع الدم من جسمه وضخ جليداً مكانه ثم نزح الجليد وضخ ماء يغلى، فقد اصطادوه، لكن ران لم يستطع أن يسمح لانفعاله بأن يظهر، وكان عليه أن يظل هادئا، وقال:

«استمع إلى، من المفروض أن أقابل الجماعة فى امستردام فى عطلة نهاية الأسبوع، وعلى أن اذهب قبل الموعد بيوم أو يومين، فما رأيك فى أن أرسل لك طائرتى النفاثة صباح السبت؟».

وافق حليم على ذلك.

تابع ران كلامه قائلاً: «لن تأسف على ذلك وستكسب مبلغاً كبيراً إذا كانت هذه الأشياء قانونية».

كانت الطائرة النفاثة، التى دهنت مؤقتاً بشعار شركة ران، قد أرسلت من إسرائيل للمناسبة، كما كان مكتب امستردام مملوكاً لمتعهد يهودى غنى، لم يرد ران ان يقطع الحدود مع حليم إذ لن يستعمل جواز سفره الزائد بل أوراقه الحقيقية، وهى الطريقة المفضلة لتجنب انكشاف الأمر على الحدود.

عندما وصل حليم إلى مكتب امستردام بسيارة الركاب الفاخرة التى استقبلته فى المطار، كان الآخرون قد سبقوه إلى المكتب وكان «رجلا الاعمال» هما، اسحق ني، وهو ضابط فى الموساد، وبنيامين جولد شتاين وهو عالم نووى إسرائيلى يحمل جواز سفر ألمانياً، وكان قد احضر احدى الأنابيب كعينة ليقوم حليم بمعاينتها.

بعد بعض المباحثات الأولية غادر ران واسحق الغرفة بحجة بحث التفاصيل المالية، تاركين العالمين ليبحثا الأمور الفنية، ونظراً لاهتمامهما وخبرتهما المشتركة شعرا بزمالة فورية وسأل جولد شتاين حليم، كيف كان يعرف مايعرفه عن الصناعة النووية. كان هذا الاستفسار كطلقة فى الظلام، لكن حليم بعد أن سقطت دفاعاته كليا، اخبره عن مهمته.

فيما بعد، عندما قام جولد شتاين بابلاغ اسحق باعتراف حليم، قررا أن يأخذا العراقى غير المرتاب إلى العشاء، وكان على دان ان ينتحل عذراً لعدم استطاعته مرافقتهما.

أثناء العشاء تكلم الرجلان باختصار عن خطة: قالا انهما يعملان على تنفيذها: محاولة بيع محطات طاقة نووية لاقطار العالم الثالث ـ لاغراض سلمية بالطبع.

قال اسحق: «ان مشروعكم الخاص بالمحطة سيكون نموذجا مثاليا لنا لبيعه للآخرين، وإذا استطعت أن تحصل لنا على بعض التفاصيل والمخططات وما شابه ذلك، فإننا جميعاً سنكسب ثروة طائلة، ولكننا نود أن نبقى الامر سرا بيننا، ولا نرغب فى أن يعلم، به دونوفان إذ سيريد قسطا من الارباح، لدينا الا تصالات ولديك الخبرة، ولسنا بحاجة إليه.

قال حليم: «حسنا، ولكننى لست متأكداً تماماً، لقد كان دونوفان طيباً معى، ومع ذلك ألا تعتقد أن الأمر محفوف المخاطر؟».

رد اسحق قائلاً: «كلا، لا يوجد خطر، لابد أنك تصل إلى هذه الأشياء ولا نريدها إلا لصنع نموذج، وهذا كل ما فى الأمر، سندفع لك جيدا ولن يعلم أى إنسان بالأمر على الاطلاق، إذ كيف لهم أن يعرفوا؟ ان هذا النوع من الأشياء يحدث طول الوقت».

قال حليم، وكان لايزال متردداً لكن توقع حصوله على المال استهواه: «ولكن ماذا بشأن دونوفان؟ إننى أكره ان اعمل ذلك دون علمه».

ـ وهل تعتقد أنه يطلعك على جميع صفقاته؟ إنه لن يعرف عن عملنا شيئاً؟ يمكنك أن تظل صديقاً له وتقوم بنشاط تجارى معه، ومن المؤكد اننا لن نخبره، لأنه ستزيد حصته فى الأرباح.

الآن أصبح تحت سيطرتهم بالفعل، فالوعد بثروة طائلة كان فعالا للغاية، وعلى أى حال، كان شعوره تجاه جولد شتاين جيدا، ولم يكن الأمر كما لو كان يساعد فى تصميم قنبلة، وليس من الضرورى أن يعرف دونوفان على الإطلاق، لهذا فكر لنفسه قائلاً: «ولماذا لا أوافق؟».

لقد تم انخراطه رسميا فى الخدمة، دون أن يدرى بذلك ــ كما هو الحال بالنسبة للعديدين غيره.

دفع دونوفان لحليم مبلغ ٨٠٠٠ دولار أمريكى لمساعدته فى قضية الأنابيب، وبعد الاحتفال بفطور ــ غذاء مكلف ووجود فتاة لعوب فى غرفته، اعيد العراقى السعيد إلى باريس بالطائرة النفاثة الخاصة.

عند هذا الحد كان من المفروض أن يخرج دونوفان من الصورة كليا، ليربح حليم من الوضع المحرج الذى يضطره لأن يخفى الأمور عنه، ولبعض الوقت اختفى بعد أن ترك مع حليم رقم هاتف فى لندن، ليتصل به، إذا أراد مدعيا ان لديه صفقة تجارية هناك، وانه ليس متأكداً من المدة التى سيبقاها.

بعد ذلك بيومين التقى حليم برفيقى اعماله فى باريس، كان اسحق اكثر طموحاً من دونوفان واراد مخططا للمحطة العراقية مع تفاصيل عن موقعها وطاقتها والبرنامج الدقيق لانشائها.

استجاب حليم فى أول الامر دون أية مشاكل، علمه الإسرائيليان كيف ينسخ باستعمال «ورق الورق» وهو نوع خاص من الورق يوضع على الوثيقة التى يراد نسخها، ويترك فوقه كتابا أو شيئاً آخر لعدة ساعات، فتنقل الصورة للورقة، التى تظل تبدو عادية، ولكن عند تحميضها يتم الحصول على صورة مقلوبة للوثيقة المنسوخة.

مع تزايد مطالبة اسحق بمعلومات أكثر من حليم، ودفعة مبالغ كبيرة فى كل مرحلة، بدأ العراقى يظهر دلائل على مايعرف بعبارة «رد فعل الجاسوس»: ومضات حارة وباردة، ارتفاع فى درجة الحرارة، عدم المقدرة على النوم أو الاستقرار ــ واعراض بدنية حقيقية ناتجة عن الخوف من افتضاح الامر، وكلما توغل المرء فى اعمال كهذه ازداد خوفه من عواقب عمله.

ما العمل؟ ان الشيء الوحيد الذى خطر ببال حليم هو الاتصال بصديقه دونوفان، الذى يعرف اشخاصاً فى مراكز عالية وغامضة، عندما رد دونوفان المكالمة توسل إليه حليم قائلاً: «عليك أن تساعدنى، إننى واقع فى مشكلة ولكننى لاأستطيع التحدث عنها فى الهاتف، إننى فى ورطة وبحاجة لمساعدتك».

طمأنه دونوفان قائلاً: «هذا واجب الاصدقاء» واخبره بأنه سيعود من لندن خلال يومين ويقابله فى جناح فندق سوفتيل.

بكى حليم قائلاً: «لقد خدعت» واعترف بجميع الصفقة «السرية» التى عقدها مع الشركة الألمانية فى امستردام، «إننى آسف» لقد كنت صديقا طيبا لى، لكن المال خدعنى، ان زوجتى تريدنى دائماً أن اجنى أموالا أكثر، وان احسن نفسى، لقد كنت انانيا جداً وغبياً جداً، أرجو أن تساعدنى، إذ إننى بحاجة لمساعدتك».

أبدى دونوفان شهامة وقال لحليم: «هكذا هى الأعمال التجارية» لكنه لمح إلى ان الالمانيين ربما كانا فى الحقيقة من رجال وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية، فذهل حليم، وقال: لقد أعطيتهم كل ما عندى (مما أبهج ران كثيرا) ومع ذلك يضغطون على للمزيد».

قال دونوفان: «دعنى افكر فى الموضوع، إننى أعرف بعض الناس، وعلى اى حال لست أول شخص يخدعه المال فلنسترح ونتمتع بوقتنا، إن هذه الأشياء قلما تكون رديئة كما تبدو عندما تنصرف إليها».

فى تلك الليلة خرج دونوفان وحليم للعشاء والمشروب، ثم احضر له دونوفان غانية أخرى وقال ضاحكا: «إنها ستهدىء أعصابك».

حقاً إنها ستقوم بذلك، لم تمر إلا خمسة شهور منذ بدء العملية، وهى خطى سريعة لهذا النوع من الأعمال، ولكن بوجود مخاطرة كبيرة كهذه. فقد كانت السرعة تعتبر ضرورية، ومع ذلك فإن الحذر كان كلمة السر فى هذه المرحلة ونظراً لأن حليم كان مذعوراً ومتوتر الأعصاب فقد كان من الضرورى ان يعامل بلطف.

بعد جلسة طويلة حامية أخرى فى منزل الأمن تقرر أن يعود ران إلى حليم ويخبره بأن العملية كانت عملية وكالة الاستخبارات المركزية.

بكى حليم قائلاً: «سوف يشنقوننى، سوف يشنقوننى».

رد دونوفان قائلاً: «كلا لن يقوموا بذلك، ليس الأمر كما لو كنت تعمل

للإسرائيليين، ليس الأمر بهذه الرداءة، وعلى أي حال، من سيعرف بالأمر؟ لقد عقدت صفقة معهم، انهم بحاجة إلى معلومة أخرى ثم يتركونك وشأنك».

ماذا؟ «ما الذى استطيع أن اعطيهم إياه زيادة على ما أعطيتهم؟».

«حسنا، إن الأمر لايعنى شيئاً لى، لكننى افترض انك تعرف عنه» قال دونوفان مخرجا ورقة من جيبه، إنهم يودون أن يعرفوا كيف سترد العراق عندما تعرض عليه فرنسا استبدال المادة المخصبة بـ ـ ما اسمه ـ الكراميل؟ اخبرهم ذلك ولن يضايقوك ثانية، ليست لهم رغبة فى، ايذائك، بل يريدون المعلومة فقط.

أخبره حليم أن العراق يريد اليورانيوم المخصب، ولكن على أى حال فإن يحيى المشد، وهو عالم فيزيائى مصرى المولد، سيصل خلال بضعة أيام ليتفقد المشروع، ويقرر هذه الأمور نيابة عن العراق.

ـ «نعم، نعم، سيقابل جميع العاملين بالمشروع».
ـ «حسنا، ربما استطعت الحصول على هذه المعلومة، وعندها ستنتهى مشاكل».

بدا حليم مرتاحا إلى حد ما، وفجأة كان مستعجلاً للمغادرة، وبما أنه كان يملك النقود الآن، فإنه كان يجتمع بغانية، صديقة لمارى كلورد ماغال، كانت تعتقد أنها توصل المعلومات للشرطة المحلية ـ لكنها فى الواقع كانت تعطيها للموساد مقابل دفعات سخية، والحقيقة إنه عندما قام حليم بابلاغ ما قال: إنه يود ان يكون زبونا منتظما، اعطته اسم صديقتها، بناء على اقتراح دونوفان.

اصر دونوفان الآن على أن يرتب حليم جلسة عشاء مع المشد فى مطعم صغير، حيث يأتى دونوفان «بالصدفة».

فى المساء المحدد، تظاهر حليم بالدهشة لقدوم دونوفان وقدمه إلى المشد، الذى كان حذرا بطبعه ولم يرد، إلا بعبارة ترحيب مؤدبة، واقترح أن يعود حليم إلى المائدة عندما ينهى الحديث مع صديقه، كان حليم متوتر الأعصاب إلى حد منعه حتى من فتح موضوع الكراميل مع المشد، ولم يبد العالم أى اهتمام على الاطلاق، بقول حليم بأن صديقه دونوفان يستطيع شراء أى شىء تقريباً، وإنه قد يفيدهم فى يوم من الأيام.

وبعد تلك الليلة اتصل حليم بدونوفان واخبره، بأنه قد فشل فى الحصول على أى شىء من المشد، وفى الليلة التالية واثناء اجتماعهما فى جناح الفندق، تمكن دونوفان من اقناع حليم بأنه إذا حصل على برنامج الشحنات من محطة سارسيل إلى العراق فإن ذلك سيرضى وكالة الاستخبارات المركزية ويبعدها عن قضيته.

وبحلول هذا التوقف كانت الموساد قد علمت من عميل «أبيض» يعمل فى وزارة المالية الفرنسية أن العراق لم يقبل أبداً ابدال اليورانيوم المخصب بالكراميل، ومع ذلك فإن المشد، المسئول عن كامل المشروع العراقى، قد يكون «مجندا» فيما لو وجدت طريقة لذلك.

عادت سميرة من العراق لتجد زوجها قد تغير، ادعى بأنه قد حصل على ترقية وزيادة فى الراتب، واصبح أكثر رومانسية وبدأ يأخذها إلى المطاعم، بل إنهما فكرا فى شراء سيارة.

رغم أن حليم كان عالما ذكيا إلا أنه لم يكن حكيما فى الأمور الدنيوية، وفى إحدى الليالى بعد عودة زوجته بوقت قصير، أخبرها عن صديقه دونوفان وعن مشاكله مع وكالة الاستخبارات المركزية، فاستشاطت غضبا وقالت مرتين أثناء تعنيفها له إنهم ربما كانوا من رجال الأمن الإسرائيليين لا من وكالة الاستخبارات المركزية.

صرحت قائلة: «ولماذا يهتم الامريكيون؟ ومن غير الإسرائيليين وزوجتك الحمقاء تهتم بالتحدث معك؟».

ومع كل ذلك لم تكن حمقاء.

.. كانت سيارتا شحن تنقلان من مصنع «دوسوبريكيه» محركات لطائرات الميراج المقاتلة إلى حظيرة فى بلدة لاسين سورمير الواقعة قرب طولون فى الرفييرا فى الخامس من ابريل ١٩٧٩م، ولم يفكر سائقاهما بشىء فيما يتعلق بشاحنة ثالثة انضمت إليهما فى الطريق.

فى تحريف عصرى لحادثة حصان طروادة كان الإسرائيليون قد اخفوا فريقا من خمسة مخربين وعالما نوويا وجميعهم مرتدون ملابس شارع اعتيادية، داخل حاوية معدنية ضخمية ليندسوا إلى منطقة الأمن «كجزء» من رتل الشاحنات

الثلاث بناء على معلومات تم الحصول عليها من حليم، كانوا يعرفون ان الحراس يهتمون بالبضائع الخارجة من العنابر أكثر من اهتمامهم بالبضائع الداخلة إليها، ومن المحتمل ألا يفعلوا شيئاً أكثر من الإشارة لنقل السيارات بالدخول، وعلى الأمل كان الإسرائيليون يعتمدون على ذلك، وكان الفيزيائى النووى الذى معهم قد ارسل من إسرائيل لكى يحدد بالضبط مكان زرع الشاحنات المتفجرة فى قلوب المفاعل النووى المخزون، الذى تطلب صنعه ثلاثة أعوام، للتوصل إلى أقصى حد من الدمار.

كان احد الحراس المناوبين موظفاً جديداً لم يمض على وجوده فى مركزه إلا بضعة أيام، لكنه كان قد احضر أوراق اعتماد لا غبار عليها، بحيث لم يخطر ببال أحد بأنه اخذ مفتاح قاعة التخزين، حيث كانت المعدات المتوجهة إلى العراق تنتظر الشحن خلال بضعة أيام.

بناء على نصيحة العالم الفيزيائى الحاذقة، وضع الفريق الإسرائيلى خمس شحنات بلاستيكية متفجرة فى مواضع استراتيجية على قلوب المفاعل.

وبينما كان الحراس واقفين على بوابات المصنع لفت انتباههم فجأة صخب فى الشارع أمامهم، حيث ظهر ان فتاة جذابة قد مستها سيارة عابرة، لم يظهر أنها تضررت كثيراً، ومن المؤكد أن أوتارها الصوتية لم تصب بأذى إذ إنها أخذت تصرخ ببذاءة على السائق المرتبك.

وبهذا الوقت كان قد تجمع لمشاهدتها جمهور صغير، يشتمل على المخربين الذين كانوا قد تسلقوا سياجا خلفيا ثم داروا حوله إلى الامام، وبعد أن قام احد المخربين بتفحص الجمهور للتأكد من أن جميع الحراس الفرنسيين بعيدون عن الخطر، قام بهدوء بتفجير فتيل اشعال معقد بجهاز محمول باليد، مدمراً ستين بالمائة من مكونات المفاعل، ومسببا خسائر تبلغ ٢٣ مليون دولار ومؤخراً خطط العراق لعدة شهور، ولكن مما أدى إلى العجب أنه لم يلحق اضرارا بالمعدات الأخرى المخزونة فى الحظيرة.

عندما سمع الحراس الانفجار خلفهم، اندفعوا فورا نحو الحظيرة المعينة، وعندما قاموا بذلك ابتعدت سيارة، «الحادث» بينما قام المخربون والفتاة «المصابة»

والذين كانوا مدربين على هذا النوع من الحوادث، بالاحتفاء بهدوء فى عدد من الشوارع الجانبية.

احرزت المهمة نجاحا تاما، إذا اخرت خطط العراق تأخيراً خطيراً واربكت الزعيم صدام حسين.

ادعت منظمة بيئية لم يسمع بها من قبل دعت نفسها «مجموعة انصار البيئة الفرنسيين» مسئوليتها عن الحادث رغم أن الشرطة الفرنسية نفت الادعاء، لكن تكتم الشرطة بشأن اخبار التحقيقات فى ذلك الحادث التخريبى، جعل الصحف تنشر قصصا ظنية عمن كان المسئول عنه، فقالت صحيفة «فرانس سوار» مثلاً أن الشرطة تشتبه بأن «يساريين متطرفين» قاموا به بينما قالت «الماتان» أن الفلسطينيين الموالين لليسارهم المسئولون عنه، أما «لوبوان» الأسبوعية فقالت ان مكتب التحقيقات الفدرالية (الامريكية) مسئول عنه.

أما آخرون فقد اتهموا الموساد، لكن مسئولاً إسرائيليا حكوميا كذب الاتهام «لا سامى».

عاد حليم وسميرة بعد منتصف الليل بوقت طويل، بعد أن تناول عشاء متمهلاً فى مطعم صغير، فتح حليم الراديو، آملا أن يسمع بعض الموسيقى المهدئة قبل النوم، ولكن ما سمعه فى الواقع كان خبر الانفجار، فذعر.

بدأ يتراكض فى الشقة ويلقى بالأشياء عشوائيا، ويصرخ بالكثير من الكلام السخيف، صرخت سميرة فوق الضجيج: «ما الذى جرى لك؟ هل جننت؟».

صاح قائلاً: «لقد نسفوا المفاعل، لقد نسفوه، والآن سوف ينسفوننى كذلك» فلن يستطيع أحد أن يجد علاقة بينك وبين الحادث، قابلنى فى الجناح ليلة الغد.

كان حليم لا يزال يرتجف عندما يصل لاجتماعهما، ولم يكن قد نام أو حلق، فظهر مرعبا.

قال بأنين: «والان ينوى العراقيون ان يشنقونى، وسيسلمونى للفرنسيين، الذين سيقطعون رأسى بالمقصلة».

رد عليه دونوفان : «لا علاقة لك بالأمر، فكر فيه ، لا أحد لديه أى سبب لأن يلومك» .

ــ «ان هذا أمر رهيب ، رهيب ، هل من الممكن أن يكون الإسرائيليون وراء الحادث؟ أن سميرة تعتقد ذلك ، هل من المحتمل ان يكون الأمر كذلك ؟» .

ــ «تمالك اعصابك يا رجل ، ما الذى تتحدث عنه ؟ إن الناس الذين اتعامل معهم لا يعملون شيئاً كهذا. من المحتمل أن يكون الأمر نوعاً من التجسس الصناعى ، إذ توجد منافسة كبيرة فى هذا الميدان ، لقد أخبرتنى هذا بنفسك» .

قال حليم إنه سيعود إلى العراق ، وان زوجته تريد أن تذهب ، على أى حال فقد قضى وقتا كافيا فى باريس ويريد أن يبتعد عن أولئك الناس ، الذين لن يلحقوا به إلى هناك .

أراد دونوفان أن يبعد فكرة التورط الإسرائيلى عن ذهن حليم فتابع نظرية التخريب الصناعى ، واخبر حليم أنه إذا أراد حياة جديدة بالفعل ، يمكنه الاتصال بالإسرائيليين ، وذلك لسببين :

الابتعاد عمن يشتبه فيهم ، ومحاولة الالتحاق وجاهيا بخدمة الإسرائليين ، وقال : «إنهم سيدفعون سيعطونك هوية جديدة وسيحمونك ، وسيحبون أن يعرفوا ، ما تعرفه عن المحطة» .

ــ كلا ، لا أستطيع ذلك ، لن أتعاون معهم ، وسأعود إلى وطنى» .

كان المشد لا يزال مشكلة ، وبصفته واحداً من العلماء العرب القليلين ، وذا نفوذ يبعث على الاحترام فى المجال النووى ، ومقربا من السلطات العسكرية والمدنية العراقية العليا ، فقد كانت الموساد لا تزال تأمل فى تجنيده ، ولكن رغم مساعدة حليم غير المعتمدة ، إلا أن عدة اسئلة رئيسية ظلت بدون اجابة» .

فى السابع من يونيو ١٩٨٠م قام المشد بواحدة من رحلاته المتكررة لباريس ، هذه المرة ليعلن بعض القرارات النهائية بشأن الصفقة. وخلال زيارة لمصنع سارسيل قال العلماء الفرنسيون : «إننا نسجل صفحة جديدة فى تاريخ العالم

العربى»، وهذا بالضبط ما كان يقلق إسرائيل. كان الإسرائيليون قد اعترضوا تلكسات تذكر بالتفصيل برنامج سفر المشد، والمكان الذى سينزل فيه (الغرفة ٩٠٤١ فى فندق مريديان) مما سهل عليهم وضع أجهزة التصنت فى غرفته قبل وصوله.

ولد المشد فى بنها بمصر فى الحادى عشر من يناير ١٩٣٢م، وكان عالماً جدياً لامعاً، كما كان شعره الكثيف الأسود يتراجع بصورة ملحوظة، وذكر جواز سفره أنه محاضر فى قسم الهندسة الذرية فى جامعة الاسكندرية».

فى مقابلات صحفية مع جريدة مصرية فيما بعد قالت زوجته زينب إنها وزوجها واطفالها الثلاثة (بنتان وصبى) كانوا على وشك المغادرة لقضاء أجازة فى القاهرة وان زوجها كان بالفعل قد اشترى تذاكر الطائرة عندما حدثه تليفونياً مسئول من مصنع سارسيل، وانها سمعت زوجها يقول: «ولماذا أنا يمكننى أن أرسل خبيراً». واضافت انه منذ تلك اللحظة أصبح غاضبا وعصبى المزاج، وكانت تعتقد أن عميلاً إسرائيلياً فى الحكومة الفرنسية قد نصب له فخاً، «كان هناك خطر بالطبع، لكنه كان يقول لى إنه سيتم مهمته بايجاد القنبلة، حتى ولو اضطر لأن يضحى بحياته فى سبيل ذلك».

أما القصة الاخبارية الرسمية التى اصدرتها السلطات الفرنسية لوسائل الإعلام فهى أن غانية بادرته بالكلام فى المصعد وهو صاعد إلى غرفته فى الطابق التاسع حوالى الساعة السابعة مساء يوم الثالث عشر من يونيو ١٩٨٠م، وكان ذلك اليوم عاصفا، كانت الموساد تعرف أنه متورط فى نزوات جنسية، وان غانية لقبها مارس اكسبريس كانت تسليه بانتظام، وكان عليها أن تحضر حوالى الساعة السابعة والنصف، كان اسمها الحقيقى مارى كلود ماغال وهى التى كان قد ارسلها أولاً لحليم، ورغم أنها عملت الكثير للموساد إلا أن أحداً لم يخبرها من كان مستخدموها، وما داموا يدفعون، فإنها لم تهتم.

كما كانت الموساد تعلم أنه عنيد وليس سهل الانخداع كحليم، وبما أنه كان سيبقى بضعة أيام أخرى فقط فقد تقرر الاتصال به مباشرة، وقال اريل:

«إذا وافق، استخدمناه، وإذا لم يوافق، فإنه سيموت».

لم يوافق .

أرسل يهودا غل وهو ضابط يتكلم العربية ، إلى باب المشد قبيل وصول ماغال ، فتح المشد الباب فتحة ضيقة مكنته من إلقاء نظرة خاطفة ، لكنه ابقاه مربوطا بالسلسلة وقال بحده من أنت ؟ «ماذا تريد ؟» .

ــ «إننى من سلطة تدفع نقوداً كثيرة للحصول على أجوبة» .
ــ «إذهب عنى أيها الكلب ، وإلا اتصلت بالشرطة» .

وهكذا ذهب غل ، والحقيقة إنه طار فورا إلى اسرائيل ، لئلا يرتبط بمصير المشد. أما بالنسبة للمشد فقد لاقى مصيرا مختلفا .

انتظرت استخبارات إسرائيل إلى أن اتمت ماغال زيارتها للمشد ، وبعد ساعتين ، وبينما كان المشد نائماً ، تسلل رجلان بهدوء إلى شقته بمفتاح خاص وذبحاه» وفى صباح اليوم التالى وجدت احدى خادمات الفندق جثته منتقعة بالدماء ، كانت قد جاءت عدة مرات لكن لافتة «الرجاء عدم الازعاج» ثبطت عزمها ، واخيرا اقرعت الباب ولما لم تسمع جواباً ، دخلت الغرفة .

قالت الشرطة الفرنسية فى ذلك الوقت إن محترفين قد اقترفوا الجريمة ، وإذا لم يؤخذ شيء لانقود ولا وثائق. لكن منشفة عليها آثار احمر الشفاه وجدت على ارضية الحمام .

صعقت ماغال عندما سمعت خبر الجريمة ، وعلى أى حال ، كان المشد حيا عندما تركته ، من ناحية لكى تحمى نفسها ، ومن ناحية أخرى لأنها كانت مشبوهة ، فقد ذهبت للشركة وذكرت بأن المشد كان غاضباً عندما وصلت يتكلم بصخب عن رجل اتصل به قبل ذلك بقليل واراد أن يشترى معلومات .

أسرت ماغال بتصرفاتها لصديقتها ، «صديقة» حليم السابقة ، والتى بدورها ، ودون قصد ، نقلت المعلومات لأحد وسطاء الاتصالات بالموساد .

فى ساعة متأخرة من ليلة الثانى عشر من يوليو ١٩٨٠م كانت ماغال تسير فى شارع سان جيرمان ، عندما قام رجل فى سيارة مرسيدس سوداء بايقافها ، وطلب من ماغال أن تجلس قرب السائق .

لم يكن شيء غير اعتيادى فى الأمر، ولكن عندما بدأت ماغال تتحدث مع «زبونها» المحتمل، انطلقت سيارة مرسيدس سوداء، أخرى من عند الرصيف بسرعة فائقة، وفى اللحظة المناسبة، قام سائق السيارة المتوقفة بدفع ماغال بقوة، مما أوقعها فى طريق السيارة القادمة، فقتلت على الفور، وعندها انطلقت السيارتان فى ليل باريس.

فى حين تم اغتيال ماغال والمشد من قبل الموساد، إلا أن المكائد الداخلية التى أدت إلى موتها كانت بالطبع مختلفة اختلافا دراميا.

أولا ماغال: كان القلق بشأنها يتزايد فى الرئاسة بتل أبيب وصول التقارير المختلفة من الميدان، وفك رموزها وتحليلها، وقد اتضح انها ذهبت للشرطة وقد تخلق صعوبات خطيرة.

كان من المفروض أن يمر هذا القلق بالسلم الإرادى ويصل فى نهاية الأمر إلى مكتب رئيس الموساد حيث يتخذ القرار النهائى بـ«شطبها».

اما اغتيالها فكان من فئة الضرورات الخاصة بالعمليات، من نوع الموقف الذى ينشأ أثناء العمليات حيث يجب أن تتخذ القرارات بسرعة، نسبيا، بناء على ظروف القضية الدقيقة.

أما قرار إعدام المشد فقد صدر عن نظام داخلى شديد السرية ينطوى على «قائمة إعدام» ويتطلب موافقة شخصية من رئيس وزراء إسرائيل.

أن عدد الأسماء فى تلك القائمة يختلف اختلافا كبيراً، من واحد أو اثنين فقط إلى مائة أو مايقارب ذلك بناء على نطاق النشاطات الإرهابية المعادية لإسرائيل.

يقدم رئيس الموساد لمكتب رئيس الوزراء طلبا لوضع اسم شخص فى قائمة المحكوم عليهم بالموت، لنفرض مثلاً أن هجوماً إرهابياً وقع على هدف إسرائيلى ـــ وبالمناسبة نذكر أن ذلك لايعنى بالضرورة ان الهدف يجب أن يكون يهوديا. قد يكون هجوما على مكتب العال فى روما مثلا، يقتل فيه عدد من المواطنين الايطاليين، لكنه يشكل هجوما على إسرائيل، إذ كان القصد منه تثبيط عزيمة الناس على استعمال طائرات العال، وهى شركة خطوط جوية إسرائيلية.

لنفرض أن الموساد تأكدت من أن أحمد جبريل كان المذنب الذى أمر بالهجوم أو نظمه، عندها نوصى مكتب رئيس الوزراء بوضع أسمه فى القائمة، فيقوم رئيس الوزراء بدوره بارسال التوصية إلى لجنة قضائية خاصة، وهى سرية جدا بحيث لاتدرى حتى المحكمة العليا بوجودها.

تقوم اللجنة، التى تشكل محكمة عسكرية، بمحاكمة المتهم غيابيا، وتتكون من موظفى استخبارات وعسكريين وموظفين من وزارة العدل، وتعقد جلساتها فى مواقع مختلفة ـــأحياناً فى منزل شخصى، وكل قضية يتم تغيير الأشخاص ومكان المحاكمة.

يعين محاميان للقضية، يمثل احدهما الدولة أو الادعاء العام كما يمثل الآخر الدفاع رغم أن المتهم لايعلم شيئاً عن العملية برمتها، ثم تقرر المحكمة على أساس البيانات المقدمة فيما إذا كان الرجل ـــجبريل فى هذه الحالةـــ مذنبا بما نسب إليه أم لا. وإذا وجد مذنبا ـــ وفى هذه الحالة يوجد المتهمون عادة مذنبين ـــ تستطيع المحكمة أن تأمر بشيئين: إما إحضاره إلى اسرائيل لمحاكمته فى محكمة نظامه، أو، إذا كان ذلك بالغ الخطورة أو مستحيلاً، إعدامه فى أول فرصة ممكنة.

لكن رئيس الوزراء يجب أن يوقع على قرار الإعدام قبل تنفيذه، ويتغير العرف بناء على من يكون رئيساً للوزراء، إذ أن بعضهم يوقع الوثيقة مسبقا، بينما أصر الآخرون على أن يتقرر سلفا فيما إذا كان التقيد سيخلق اية صعوبات سياسية فى وقت معين أم لا.

وعلى أى حال، فإن من أولى مهام أى رئيس جديد لوزراء إسرائيل هى أن يقرأ «قائمة الإعدام» ويقرر فيما إذا كان سيوقع بالحروف الأولى كل اسم فيها.

فى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد السابع من ١٩٨١م وكان يوما مشمسا صافيا انطلقت ٢٤ طائرة امريكية الصنع من طراز اف ١٣ واف ١٥ من بئر السبع (وليس من إيلات، كما ذكر على نطاق واسع، إذ إنها مجاورة للرادار الأردنى) فى رحلة غادرة مدتها تسعون دقيقة ومسافتها ٦٥٠٥ أميال عبر أقطار معافية، إلى التوبثة، خارج بغداد، معتزمة نسف المحطة النووية العراقية وإرسالها للدنيا الآخرة.

كان يوافقها ما بدأ وكأنه طائرة تجارية ايرلندية (يؤجر الايرلنديون طائراتهم لأقطار عربية) وبهذا ما كانت لتبدو فى غير محلها، لكنها كانت بالحقيقة طائرة إسرائيلية من طراز بوينج ٧٠٧ تستعمل للتزويد بالوقود فى الجو، طلت الطائرات المقاتلة فى تشكيله متقاربة تطير اليوينج تحتها لكى تظهر جميعها وكأنها طائرة واحدة ـ طائرة مدنية فى مسار مدنى. كانت الطائرات المقاتلة تطير «صامتة» أى دون أن ترسل أية رسائل، لكنها كانت تتلقاها من طائرة اتصالات حربية الكترونية مساندة، كانت تستخدم أيضاً للتشويش على إشارات أخرى، ومنها أجهزة الرادار المعلق بها.

فى منتصف الطريق تقريبا، وفوق المنطقة، قامت البوينج بتزويد الطائرات المقاتلة بالوقود (كانت رحلة الذهاب والعودة طويلة جداً ولا يمكن اتمامها دون التزود بالوقود، ولم يستطع الإسرائيليون المخاطرة بذلك بعد الهجوم إذ قد تلاحقهم الطائرات المعادية، وبذلك تم التزويد الوقح بالوقود فوق العراق مباشرة) وبعد ذلك انفصلت البوينج عن التشكيلة، ورافقتها مقاتلتان للحماية، وعبرت سوريا إلى الشمال الغربى وهبطت فى قبرص، كما لو كانت فى رحلة تجارية منتظمة، ظلت المقاتلتان مع البوينج إلى أن غادرت المنطقة المعادية، ثم عادتا إلى قاعدتيهما فى بئر السبع.

وفى أثناء ذلك تابعت بقية المقاتلات رحلتها، مسلحة بصواريخ سايدوايندر (الأفقية ذات الأجراس) وقنابل حديد «والقنابل راكبة الليزر» التى تزن الواحدة منها ٢٠٠٠ رطل وتركب الأشعة مباشرة نحو الهدف.

بفضل المعلومات التى كان قد تم الحصل عليها من حليم، فقد كان الإسرائيليون يعرفون بالضبط أين يضربون ليوقعوا أكبر ضرر ممكن، وكان مفتاح ذلك انزال القبة على قلب المحطة، كما كان هناك مقاتل إسرائيلى يحمل مرشداً لاسلكياً يرسل إشارات قوية متكررة على ذبذبة محددة مسبقا لارشاد المقاتلات إلى هدفها.

توجد أساساً طريقتان للعثور على هدف ما، أولاهما مقدرتك على رؤيته بعينيك ولكن لا تستطيع ذلك بسرعة تتجاوز ٩٠٠ ميل فى الساعة، يجب أن

تعرف المنطقة جيداً خاصة لهدف صغير نسبيا، انك تسترشد بالمناظر الطبيعية لكنك يجب أن تعرف الأرض وتتعرف على معالم محدجة، ومن الواضح أن الإسرائيليين لم تتح لهم الفرصة للتمرن على مناوراتهم فوق بغداد، على أنهم كانوا قد تدربوا فوق أراضيهم على نموذج للمحطة، قبل التوجه لمهاجمة الهدف الحقيقى.

والطريقة الأخرى للعثور على هدف هي وجود جهازى إرشاد لاسلكى، أداة توجيه آلية، كان لديهم جهاز خارج المحطة، ولكن من أجل التأكد التام فقد طلب من دميان شازييه، وهو فنى فرنسى كانت الموساد قد جندته، ان يضع حقيبة يدوية تحتوى على إرشاد لاسلكى داخلى المبنى.. ولأسباب مجهولة تسكع فى الداخل وأصبح الضحية البشرية الوحيدة للهجوم الاستثنائى.

فى الساعة السادسة والنصف بعد الظهر حسب توقيت العراق ارتفعت الطائرات من المستوى المنخفض الذى كانت تطير عليه (لتجنب الرادار بحيث كان باستطاعة من فيها مشاهدة الفلاحين فى الحقول المجاورة إلى علو ٢٠٠٠ قدم قبل الوصول إلى الهدف تماماً.

جرى ارتفاعها بسرعة فائقة اعيت رادار المدافعين كما أن الشمس التى كانت تغيب خلف المغيرين اعمت العراقيين الذين كانوا خلف حلقة من المدافع المقاومة للطائرات، ثم انقضت الطائرات بسرعة فائقة الواحدة تلو الأخرى، بحيث كان كل ما لدى العراقيين الوقت لعمله هو إطلاق مدافعهم المقاومة للطائرات دون أن يحدثوا اية اضرار، لكن لم تطلق صواريخ «سام» ولم ترسل طائرات عراقية لتطارد الطائرات المغيرة التى استدارت وتوجهت إلى إسرائيل على ارتفاع اعلى، فطريق اقصر فوق الأردن بعد ان فرقت احلام صدام حسين فى تحويل العراق إلى قوة نووية.

أما بالنسبة للمحطة فقد دمرت، فالقبة الضخمة التى كانت تغطى المفاعل ازيلت من اساساتها، كما ان جدران المبنى المسلحة تسليحا قويا تناثرت، أما المبنيان الرئيسيان الاخران، الحيويان للمحطة، فقد اتلفا كثيراً، كما أن شريط الفيديو الذى سجله الطيارون الإسرائيليون وأروه فيما بعد للجنة برلمانية إسرائيلية اظهر قلب المفاعل وهو يتفسخ ويقع فى بركة التبريد.

كان بيجن قد عين موعد الضربة بحيث تتم فى أواخر ابريل بناء على معلومات من الموساد تقول إن المفاعل سيكون شغالا بحلول يوليو لكنه أجلها بعد أن نشرت الصحف قصصا اخبارية تقول إن وزير الدفاع السابق عيزرا وايزمان أخبر أصدقاءه بأن بيجن كان بعد عملية محفوفة بالمخاطر قبل الانتخابات.

كما أن تاريخا آخر للقيام بالعملية، وهو العاشر من مايو، اى قبل سبعة أسابيع تماما من موعد الانتخابات الإسرائيلية فى ٣٠ يونيو تم التخلى عنه كذلك عندما ارسل زعيم حزب العمل حزب العمال شيمون بيريز إلى بيجن رسالة «شخصية» و«سرية للغاية» يقول فيها أنه يجب أن «يتخلى» عن الهجوم لأن استخبارات الموساد «ليست واقعية» كما تنبأ بيريز أن الهجوم قد يعزل إسرائيل «مثل شجرة فى الصحراء».

وبعد ثلاث ساعات تماما من انطلاق المقاتلات وصلت بأمان عائدة إلى إسرائيل، وكان بيجن ينتظر أخباراً منذ ساعتين فى منزله بشارع سمو لنسكن بحضور جميع اعضاء وزراته.

قبل الساعة السابعة مساء اتصل الجنرال روفائيل ايتان، القائد العام للجيش الإسرائيلى، بيجن وأخبره أن المهمة قد انجزت (كانت الرحلة النهائية تدعى «بال») وان جميع الأشخاص قد عادوا بسلام.

يقال أن بيجن قال بالعبرية ما معناه.. «تبارك الله» على أ ـد صدام حسين المباشر يسجل علنا. (ترجمة وتلخيص من كتاب: عن طر ـداع).

الفصل السادس

أول جاسوس
نووى فى العالم؟

- اسمه جوناثان بولارد .
- يقضى الآن عقوبة السجن مدى الحياة فى سجون الولايات المتحدة الأمريكية .. بعد إدانته بتهمة التجسس لصالح اسرائيل داخل أمريكا !
- لم يكن بولارد بحاجة إلى مال يدفعه إلى المجازفة بمستقبله وحريته .. لكن «بولارد» اليهودى المتعصب ، والذى يحمل الجنسية الامريكية فى نفس الوقت .. كان يبحث عن أى فرصة لمساعدة أمن اسرائيل فى الوصول إلى غايته .. كان «بولارد» الذى جندته المخابرات الإسرائيلية عام ١٩٨١ بناء على رغبته يعمل فى المخابرات البحرية الامريكية منذ عام ١٩٧٩ .. وإنْ كان بولارد قد أصـر فى محاضرات التحقيق على أن تجسسه لصالح اسرائيل قد بدأ فقط عام ١٩٨٤ .. وان مديره أو رئيسه المباشر فى عمله التجسس كان الكولونيل «سيداع» أحد كبار خبراء اسرائيل فى التصويب النووى والطيران .. وأحد المشاركين فى تدمير المفاعل النووى العراقى .

كانت مهمة أساسية لبولارد أن يوفر المعلومات الخاصة جداً عن التصويب النووى .. وأن يزود اسرائيل بمعلومات امريكا السرية عن الأهداف العسكرية السوفيتية والوسائل التى يعتمدها الروس فى حماية هذه المواقع والأهداف .. كذلك كان مطلوبا من بولارد أن يقدم للاسرائيليين معلومات سرية من أمريكا عن الدفاع الجوى السوفيتى .. ونظام صواريخ «سام ــ ٥» .. كانت هذه الصواريخ قد اثبتت قدرة هائلة فى مواجهة القازفات الامريكية «بى ــ ٥٢» فى الحرب الأمريكية الفيتنامية .. كما قدم بولارد لاسرائيل نسخا من التقارير السنوية التى تعدها المخابرات الامريكية عن نظام الأسلحة السوفيتية «آى ــ ٣٨» وهى أخطر الوثائق الامريكية التى تتعلق بالتصوير عن طريق الأقمار الصناعية .

لقد ثبت من التحقيقات أن بولارد قدم لإسرائيل حوالى نصف مليون صفحة من المعلومات ١٨٠٠ وثيقة (!!) كما أن المخابرات الإسرائيلية استطاعت الاطلاع على البرقيات والرسائل الخاصة التى كانت تصل إلى السفير الامريكى فى اسرائيل من خلال قنوات خلفية!

تشير التحقيقات مع بولارد ــ أيضاً ــ إلى أنه لم يكن حراً فى اختيار المعلومات التى يرسلها إلى اسرائيل.. بل كانت اسرائيل هى التى تحدد له نوعية الوثائق الامريكية والمعلومات ــ التى تريدها.. فيقوم «بولارد» بتجهيزها وارسالها إلى اسرائيل.. مما يشير إل أن هناك ــ فى نفس الوقت ــ مصادر رفيعة المستوى كانت داخل الحكومة الامريكية والبيت الأبيض تتعامل مع اسرائيل.. وتخبرها بما يجب الحصول عليه فتقوم الموساد بطلبه من «بولارد»!

- لكن كيف بدأت قصة بولارد؟
- البداية كانت داخل البيت الأبيض.. بالتحديد عام ١٩٨١.. قبل مضى ثلاثة شهور على ضرب المفاعل النووى العراقى.. لقد وصل بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى البيت الأبيض وبصحبته وزير دفاعه شارون الذى عينه بيجين «حديثا».. كان موضوع الزيارة الذى عرض على الرئيس الامريكى ريجان وكبار رجال الدولة الامريكيين، هو اقتراح اسرائيل بأن تلعب دور الذراع العسكرية لامريكا فى الشرق الأوسط.. وبالتالى تكون شريكها العسكرى أيضاً ومخزنا لاسلحتها.

كان الاجتماع مثيرا بين الكبار الامريكيين والكبار الاسرائيليين!

لقد ظل وزير الدفاع الاسرائيلى يتحدث نصف ساعة كاملة عن سب تحقيق الفكرة التى أتى مع رئيس الوزراء من أجل طرحها على الامريكيين.. ثم عرض «شارتن» فى خطته أن يكون هناك استخدام مشترك للموانىء البحرية والقوات الجوية.. وان تتبادل الدولتان المعلومات.. ويصبح من حق الإسرائيليين الاطلاع على اسرار القمر الصناعى «كى ــ ١١».

- لم يفهم الامريكيون ما يرمى إليه الاسرائيليون!!
- كانت اسرائيل تهدف من حق الاطلاع هذا أن تحدد فى نفس الوقت

الاهداف التى يمكن أن تصوب إليها اسلحتها النووية فى الاتحاد السوفيتى!.. لكن الامريكيين فعلوا شيئاً آخر... لقد خففوا صيغة التحالف التى اتت بها اسرائيل إلى واشنطن.. ويقبل شارون هذه الصياغة ويدافع عنها أمام الكنيست الاسرائيلى.

ويتمكن شارون فى الأشهر التالية من العثور على طريقة لتنفيذ أغراضه الاستراتيجية دون مساعدة واشنطن. قاد إسرائيل بتأيد من بيجن فى غزو لبنان فى عملية استهدفت تدمير منظمة التحرير باستخدام الهيمنة العسكرية الاسرائيلية لتغيير البنيان السياسى فى الشرق الأوسط، ووفقا لخطة شارون فإن اسرائيل ستتابع القتال حتى تصل إلى مشارف بيروت، هناك تقوم بقطع الطريق على السوريين، ويتولى حلفاؤها المسيحيون اللبنانيون، تنظيف المدينة من اتباع المنظمة. إلا أن الكتائب لم يتحركوا فأعطيت الأوامر للقوات الجوية الاسرائيلية للبدء بقصف بيروت، وبدلا من بلوغ النصر وصلت الخطة إلى طريق مسدود بعد قتل خمسمائة جندى إسرائيلى بالإضافة إلى اكثر من عشرة آلاف فلسطينى ولبنانى، بعضهم فى المجزرة الفظيعة التى وقعت فى مخيمى اللاجئين الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا.

قبل تنفيذ الخطة، كان شارون بحاجة إلى إحكام قبضته على أجهزة المخابرات الاسرائيلية وترسانة اسرائيل النووية. فجاء بأشخاص مخلصين له ولأهدافه الاستراتيجية إلى المراكز الرئيسية. وكان من بينهم أحد الحرس القديم «بنيامين بلومبرج» الذى عمل منذ الخمسينات كرئيس لمكتب المهام الخاصة، الذى عرف فى أوائل الثمانينات بالأحرف الأولى من تسميته العبرية «لاكام» أما الرئيس الجديد لـ«لاكام» فكان أحد أصدقاء شارون الحميمين وأحد العاملين سراً فى المخابرات منذ وقت طويل وهو رفائيل (رافى) ايتان الذى كان يتولى فى ذلك الوقت منصب المساعد الخاص لبيجن لشئون مكافحة الارهاب. وقد بقى يحتفظ بمنصبيه معا. كان ايتان الطموح الذى يعرف فى انحاء اسرائيل باسم «رافى النتن» (بسبب عادته رفض تغيير جواربه اثناء حرب عام ١٩٤٨) قد اشترك فى الستينات بخطف ادولف ايخمان فى بيونس ايريس، كما شارك فى عدد من العمليات داخل العالم العربى. إلا أنه كان قد أجبر على الاستقالة من الموساد

قبل سنوات، وكان حاقدا بسبب تعطيل نشاطة المهنى وامتناع الموساد ووكالات المخابرات الاسرائيلية الأخرى عن التعاون مع مكتبه فى شئون مكافحة الارهاب.

لقد أعلن شارون خطته السياسية فى مناسبات كثيرة قبل أن يترك الجيش الإسرائيلى عام ١٩٧٣. ومن أهدافه الرئيسية اطاحة الملك حسين «ملك الأردن».

وبعد أسابيع قليلة من عودته من واشنطن فى أوائل خريف ١٩٨١ دعا شارون كبار الضباط فى الجيش الاسرائيلى، وكشف لهم للمرة الأولى تفاصيل خططه لتنفيذ مشروعه السياسى. ان اسرائيل تعتزم غزو لبنان. ويذكر أحد الضباط الذين حضروا الاجتماع أنه وزملاءه اصيبوار بالذعر لدى سماع شارون يتحدث عن الحاجة للدخول إلى لبنان وتدمير «عاصمة الارهاب» هناك. فقد تحدث عن ذراع الجيش الاسرائيلى الطويلة والحاجة «ليس بهذه الكلمات بالضبط ـ يستدرك الضابط ـ لتغيير الأنظمة فى العالم العربى»، ويتذكر الضابط الاسرائيلى، كلام شارون أيضاً عن «الحاجة لتغيير بنية المخابرات الاسرائيلية». ويضيف «كنت أجلس مع شلة من الجنرالات وقلت «إنه يريد أن يقودنا إلى الحرب فى الشرق الأوسط» فأطلق الجميع ضحكات عصبية!

عنصر بارز آخر كان فى كلمة شارون «لقد عاد (من واشنطن) وهو معاد للامريكيين بصورة لم أعهدها من قبل وقدم إلينا انطباعه عن واشنطن، وقال «ان الامريكيين يعاملوننا كما لو أننا احدى حاملات الطائرات ـ قاعدة عائمة على الماء ـ لا يفهمون قيمتنا الحقيقية وإننا لسنا حاملة طائرات، إننا أهم بكثير مما يظنون. فإمكاننا أن ننهى الشرق الأوسط معنا إذا انتهينا». ويقول الضابط أن تصرف شارون كان غريباً وغير متوازن، وشهد حديثه تهديدات بتحويل أى شخص ينشر كلامه إلى المحكمة العسكرية!

بولارد .... يثير المشاكل!

ولد بولارد طفلاً بائساً فى «ساوث بند» والده استاذاً فى جامعة «نوتردام» وكان هو قد عذب وضرب فى المدرسة الابتدائية لكونه يهودياً. لقد ذكر بولارد أن «نقطة التحول» فى حياته كانت نتيجة لحرب ١٩٦٧، عندما كان فى الثالثة

عشرة من عمره.. كان النصر «مصدر نشوة عاطفية» وحرك ولعه طوال حياته بأمن إسرائيل، فصارت أحلامه الخيالية جزءاً من هذا الأمن.. يقول لزملائه فى مرحلة ما قبل التخرج فى جامعة ستانفورد إنه يحمل جنسيتين ورتبة كولونيل فى الجيش الاسرائيلى، كان تفاخره ومزاعمه الخيالية المعلم الأساسى فى السنوات التى امضاها فى مدرسة فلتشر للقانون والدبلوماسية فى بوسطن التى انتسب إليها عام ١٩٧٧. لكنه فشل فى مسعاه للحصول على درجة جامعية كما فشل فى الانضمام إلى وكالة المخابرات المركزية الامريكية. وفى أوائل عام ١٩٨١ سعى للحصول على وظيفة كمحلل عسكرى فى لجنة الشئون العامة الاسرائيلية الامريكية (الابياك)، وهى احدى اوسع مجموعات الضغط نفوذا فى واشنطن. فقد وجد مسؤولو «ابياك» أن مفاخرته بالوقوف على معلومات بالغة السرية أمر غير مناسب «وغريب» يقول أحد مسئولى «ايباك» ان مزاعم بولارد بدت «غير قابلة للتصديق وغير حقيقية»، فتخلصنا منه لأنه ثمة شعور بأن بولارد جزء من خطة استدراج يحاول أصحابها نصب فخ لـ«ايباك» والاساءة إليها. كان بولارد مثيراً للمشاكل التى لا تحتمل.

عرض بولارد أيضاً خدماته على اسرائيل عامى ١٩٨١ و١٩٨٢، إلا أن أحداً من مسئولى المخابرات الاسرائيلية ما كان يمكن له القيام بتجنيد امريكى يهودى يجاهر بولائه لاسرائيل يعمل فى مجال المخابرات الامريكية. كما أن قانونا غير مكتوب كان يمنع تجنيد أى يهودى أمريكى سواء أكان مواليا لاسرائيل أم لا.

أثارت عروض بولارد المتكررة للتجسس لاسرائيل غضب العاملين فى حقل المخابرات الاسرائيلية. يؤكد أحد الأعضاء السابقين فى الموساد «لقد رفض طلبه عام ١٩٨٠ كان مجنوناً. أنه يهودى. لا تستعن به أنك كمن يجند شيوعيا ليتجسس (فى الولايات المتحدة) لمصلحة المخابرات السوفيتية. أنه سيكون محل شبهة على الفور».

لكن رافى ايتان المدير الجديد لـ«لاكام» يقرر تغيير القواعد المعمول بها بعد الاجتماعات غير المفيدة مع الرئيس الامريكى، وكبار مساعديه فى واشنطن. فقد أيد شارون فى رأيه بأن الولايات المتحدة تحجب معلومات سرية ضرورية عن اسرائيل ـ كالصور الفوتوغرافية لـ«ك هـ ١١». ويتذكر أحد الاسرائيليين الذين عملوا فى الموساد مع ايتان «كان هناك شعور عميق بالشك»!

لقد استاء بن مناشى وزملاؤه فى قسم العلاقات الخارجية عندما جند بولارد فى أكتوبر ١٩٨١، كان بولارد عضوا فى فريق سلاح البحرية الذى زار اسرائيل، للتنسيق فى تبادل المعلومات السرية مع البحرية الاسرائيلية وكانت هذه الزيارات روتينية والاسرائيليون أعدوا طريقة جديدة ليشعر امثالهم بأنهم ينزلون على الرحب والسعة: فكل عضو فى الوفد الامريكى تلقى دعوة لتناول العشاء فى منزل أحد الضباط الاسرائيليين! ويقول بن مناشى «رافى» جنده فى ليلة واحدة. لم يهتم بأن يدفع له مبالغ كبيرة. فقط طلب إليه أن يمده بالمعلومات الخطيرة. كان ايتان بحاجة إلى بولارد على حد قول بن مناشى «ليحصل على وثائق».

فى عام ١٩٨٢ رقى (رودى) يردور إلى رتبة عميد وكلف بأن ـــرأس الوحدة ٨٢٠٠ وهى خدمة استخبارات الاتصالات الاسرائيلية. كان يردور محللاً عظيم المستوى. اقام علاقة عمل وثيقة مع نظرائه فى الأمن القومى الامريكى، وكل ٣شهور فى واشنطن لحضور اجتماعات التنسيق.. يلقب يردور بنائب رئيس الأركان للاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى كان رئيسه المباشر الجنرال يهوشوا ساغى رئيس جهاز «امان» واحد نواب شارون الذى أبعد مثله عن منصبه بعد مجزرة صابرا وشاتيلا فى لبنان. يعلم كل الضباط الكبار أن سابى بصفته رئيساً للاستخبارات العسكرية كان مسئولاً مباشراً بموجب القوانين العسكرية عن رفع تقاريره لرئيس الوزراء، لكن سابى كان يشتهر ايضا فى صفوف الادارات العليا للجيش الاسرائيلى باستنكافه عن مواجهة شارون! والسماح له بأنه يكون هو صلة الوصل بين المخابرات العسكرية والحكومة الاسرائيلية وبيجن.

وفى أثناء عطلة العام الجديد ١٩٨١ ــ١٩٨٢ يقوم ساجى باستدعاء يردور ويسلمه الوثائق لتقييمها قائلاً «قل لى رأيك». كانت الرزمة الأولى تتعلق بمعلومات سرية أمريكية ذات تقنية عالية، تصف جهازاً عسكرياً سوفيتياً تلقاه العرب. أما الوثائق الأخرى وكانت أقل أهمية عند يردور، فكانت نسخا عن الملخصات اليومية والأسبوعية لعمليات الاعتراض التى قامت بها وكالة الأمن.

ويروى مسئول اسرائيلى «أخبره رودى ان المادة التقنية مذهلة، ولكننا

لا نحصل عليها عادة بهذا الشكل من الولايات المتحدة، أما بالنسبة للاعتراضات فهى «أقل فائدة». وكما أوضح يردور فيما بعد لأحد زملائه، فقد افترض أن أجهزة مخابرات حكومته قد جندت شخصين داخل الولايات المتحدة. وهى خطوة اعتبرها غير مقبولة ويستطرد يردور قوله لأحد اصدقائه إن المادة بدأت تتدفق «بكميات هائلة»!

ثم علمت اسرائيل أن السوفيت قرروا أن يرفعوا مستوى قيادة الدفاع الجوى السورى، ويمدوها بثلاث كتائب من صواريخ «سام ٥» وهى الصواريخ السوفيتية المضادة للطائرات، وهى الأكثر تطوراً وذات ارتفاع شاهق. وكان هذا أول ظهور للنظام فى الشرق الأوسط. وقد بقيت الصواريخ السورية تحت السيطرة السوفيتية، إلا أنها كلفت حماية الصواريخ السورية المتوسطة المدى «اس اس ٢١» القادرة على ضرب اسرائيل، كما كانت الصواريخ تشكل خطراً على الطائرات الاسرائيلية المقاتلة القاذفه «اف ـ١٥» و«اف ـ١٦». وتقدمت اسرائيل رسميا إلى الولايات المتحدة بطلب معلومات سرية عن قدرات صواريخ «سام ٥» ولكن أبلغ إلى يردور، كما كان هو نفسه يتوقع، أن المعلومات السرية المتوافرة عن النظام قليلة جداً، فهو شديد الحساسية. ويقول صديق اسرائيلى ليردور أنه «بعد يومين حصل رودى عن المعلومات السرية (الأمريكية) الكاملة عن الصواريخ (سام ٥ «فاتضح له أن تلك الصواريخ لم تكن بالجودة التى كان يخشى أن تكون عليها»!

وفى مايو ١٩٨٢، قبل ثلاثة أسابيع من غزو لبنان يتلقى مكتب يردور تشكيلة مدهشة من المعلومات الامريكية القيمة عن أجهزة الدفاع الجوى السورية. كانت هذه تتضمن مواد لم تمد أجهزة المخابرات الامريكية بها اسرائيل. معلومات مفصلة عن جهاز رادار يراقب الجوانب وخرائط الكترونية، بالاضافة إلى الترددات الدقيقة لعمل «صواريخ سام ٦» و«سام ٨»، السورية وعمل أنظمة صواريخ سطح ـ جو «سام ٣» وذات مرة أخرى اثار يردور السؤال مع الجنرال ساغى «أننا لا نحصل على هذه المواد واذا طلبناها لم نجب إلى طلبنا». وكان من نتيجة ذلك ان سلاح الجو الإسرائيلى استخدم التدابير المضادة الالكترونية لتدمير سلاح الجو السورى، وتحطيم أكثر من سبعين منصة اطلاق صواريخ سورية خلال حرب لبنان!

ويظل بلن مناشي مثل يردور، مقتنعا ــحتى بعد اعتقال بولارد، ــان ايتان كان يعمل مع غير امريكي واحد، ففي الأحوال العادية كانت الحركة نشطة جداً في مكتب العلاقات الخارجية بإدارة بن مناشي! كما أن «لاكام» بادارة ايتان في الولايات المتحدة انتجت سيلاع دائماً من الوثائق العلمية والتقنية المنقولة بصورة روتينية كما أن مواد امريكية شديدة السرية تصل إلى المكتب منذ اقامته في أواخر الخمسينيات. إلا أنه مع المعلومات السرية التي كانت تصل بطريقة ملتوية وباحجام ضخمة من «لاكام» إلى المخابرات الاسرائيلية.

كان لابد من وضع «كود» خاص هو «جامبو» للإشارات التي تحملها الوثائق الخاصة بالأمن. ويروى بن مناشي أنه كانت هناك أوامر مشددة بأن «أي شيء يحمل علامة «جامبو» يفترض ألا يناقش مع الامريكان!

وبعد هذه الفوضى في أعقاب مجازر صبرا وشاتيلا واستقالة بيجن يبقى رافي ايتان في منصبه وكذلك جوناثان بولارد، كان قد اعتمد اسلوباً لنقل التقارير، فالمعلومات السرية التي يرسلها بولارد تلخص من قبل ايتان، وتقدم دون تحليل أو تقييم في مذكرة إلى رئيس الوزراء ثم إلى وزير الدفاع.

كانت المواد التي يرسلها بولارد تتضمن صورا من «ك هـ ١١»، بالإضافة إلى التقارير والتقييمات التي كانت تصل من سفارات الولايات المتحدة وعملاء المخابرات الامريكية كانت هذه المواد معروفة في الدوائر الدبلوماسية بأنها معلومات «الفريق الثالث».

ويروى أحد المسئولين السابقين في المخابرات الاسرائيلية أن بيريز ورابين، وهما من ذوي الخبرة العالية في التعاطي مع تقارير المخابرات، سارعا إلى تساؤل: «من أين تأتينا هذه المواد؟» وقد قيل لهما ــكما يروى المسئول الإسرائيلي إن المخابرات الإسرائيلية «اخترقت اجهزة المخابرات الامريكية». واختار الرجلان ألا يثيرا مشكلة. لم يقل أحد «اوقفوا العملية على الفور». أما موشى أرينز (وزير الدفاع الجديد) والذي يعتبر أقل خبرة من بيريز ورابين بهموم المخابرات، فلم يسأل أي سؤال بل يقول الإسرائيلي نفسه «إنه أكثر غباء من أن يسأل»!

الفصل السابع

بولارد أخطر جواسيس العالم !
القصة من البداية .. إلى النهاية ؟

«●● من هو بولارد ؟ . كيف نشأ ؟ . ماذا تعلم ؟ . كيف لعب دوره الجاسوسى الخطير ؟ .. موقف الرؤساء .. فى أمريكا وإسرائيل من قضية بولارد ؟ .. نهايته .. السجن مدى الحياة .. كيف تم القبض عليه قبل أن يهرب إلى إسرائيل ؟!» .

□ كان جيران «بولارد» يرونه منذ الصغر لغزاً غامضاً .. ذات مرة غضب من بعض الاسرائيليين ظناً منه انهم يدبرون لقتله .. فتعمد ان يراه اصدقاؤه حاملاً مسدساً فى غرفته ! ثم راح يحكى لهم عن مغامرة له قتل خلالها أحد العرب .

على الدوام كان بولارد مغرماً بأن يقص عن نفسه حكايات تتعلق باسرائيل .. يتعمد أن يترك للناس احساساً قوياً بأن الموساد يرعاه .. ويسدد له مصروفاته الدراسية .. والغريب ان بولارد كان يروى تلك القصص ، وهو يصدقها تماماً رغم عدم قابليتها للتصديق من جانب مستمعيه .. كانت بالغة الاثارة ، واضحة الكذب ، تثير أحياناً الضحك .. لكن بولارد كان يؤكدها بإصرار مدهش !

بعد سنوات حصل بولارد على البكالوريوس من ستانفورد عام ١٩٧٦ ثم توجه لدراسة الحقوق فى كلية فليتشر فى جامعة توفتس ، قرب بوسطن .

ثم وظفته البحرية الامريكية كمحلل مدنى للمعلومات ، فى خريف عام ١٩٧٩ ، وكانت وظائفه مع البحرية فى منطقة واشنطن فى وكالات تحمل أسماء مثل مركزى الاستخبارات والاستطلاع العلميين البحريين ، مركز المساندة الاستخبارية البحرى ، وجهاز التحقيقات البحرية . (ان آى اس) .

كان بولارد ممن اختيروا لمركز مكافحة الأرهاب الجديد فى مقر ان آى اسم فى سويتلاند ، ميرلاند ، عندما وسعت كل القوات الامريكية المسلحة . جهودها لكشف إشارات مبكرة لتهديد ارهابى . وكان ذلك فى حزيران ١٩٨٤ ، رداً

ـعلى الشاحنة الانتحارية الملغومة التى قتلت ٢٤١ جندياً امريكياً فى بيروت فى تشرين الأول السابق وقد جرت محاولة جادة لتجميع كل الحقائق والمفاتيح والشائعات فى هذا المجال الغامض، وتشمل الوصول إلى عدد كبير من المصادر والتقارير: عن أهداف محتملة ومهاجين محتملين وهوية الجماعات والأفراد الذين يساعدون الأرهابيين، وما تفعله الأقطار الأخرى حول الإرهاب.

فى هذا الزمن الحافل بالإرهاب كانت كل الأجهزة نشطة، وكان بولارد يتمتع بالوصول إلى كل شىء تقريباً. فقد كان لديه جهاز كمبيوتر يستطيع الوصول إلى بنوك المعلومات فى كل انحاء نظام الاستخبارات الفيدرالى، وكان له تصريح بالاطلاع على الأوراق البالغة السرية، كما كان يملك مستوى عالياً من التصريح يعرف باسم اس سى آى (المعلومات المهمة المقسمة). كما كان يحمل أهم بطاقة مكتبية فى العاصمة ــ «بطاقة رسول» تسمح له بزيارة الملفات البالغة الأمنية وحمل الوثائق إلى مكتبة للتحليل.

ظل ضباط الأمن فى واشنطن مذهولين لسنوات ازاء الكابوس المتمثل فى ان رؤساءه الأمريكيين اخفقوا فى كشف صفاته الشخصية المثيرة فى المدرسة، وتبجحاته المبالغ فيها وكذاباته الصريحة، فقد تقدم بولارد للعمل مع السى آى ايه عام ١٩٧٧ لكن طلبه رفض، وعندما قام جهاز التحقيقات الدفاعية التابع للبنتاجون (دى آى اس) بدراسة الخلفية المعمول بها حول بولارد كمتقدم لوظيفة مخابرات بحرية بعد سنتين وقابلوا والد بولارد وعدداً من زملائه فى جامعة فليتشر، لكن السى آى أيه لم تعط (دى آى اس) تقييم الوكالة لبولارد «ككاذب خيالى» وجاسوس نظرى ومتعصب صهيونى ومتعاطى مخدرات.

فى عام ١٩٨١ قامت البحرية بتجريد بولارد من تصريحه الأمنى لفترة قصيرة، بسبب مشكلات عاطفية غير محددة وصفت «بالسلوك الغريب» بل إن بولارد زعم أنه صديق حميم لرجل مخابرات كبير من جنوب افريقيا، لكن عندما قام ذلك الرجل بزيارة الولايات المتحدة، اكتشف رؤساء بولارد ان مزاعمه كاذبة. فاقترحوا عليه ان يذهب إلى طبيب نفسى، لكن بولارد كافح عبر البيروقراطية حوالى ستة شهور، وقدم شكوى رسمية وكسب نقض القرار لأن الجيش الأمريكى لم يستطع أن يثبت وجود شىء ضد موظفه المدنى الغريب!.

شرع جاى بولارد، محلل المخابرات الأمريكى الذى حلم بالتجسس لإسرائيل، فى ممارسة خيالاته، وخطا أول خطوة له فى عالم الخيانة فى آيار ١٩٨٤، عندما التقى مع الرجل الذى جعله جاسوساً. فمن خلال رجل أعمال نيويوركى كان يعرفه، تم تعريفه على كولونيل من سلاح الجو الاسرائيلى اسمه أفيم سيلا.

كانت مؤامرة منذ البداية، فقد اخبر بولارد ذلك الكولونيل، بأن لديه دليلاً إيجابياً على أن الولايات المتحدة لا تطلع اسرائيل على كل المعلومات الاستخبارية، التى يجب أن تشركها فيها، وقال بولارد غاضباً من ذلك. وكان سيلا يصغى باهتمام، وهو الذى كان واحداً من أمهر طيارى اسرائيل، وشارك فى الغارة على المفاعل الذرى العراقى عام ١٩٨١.

نقل سيلا المعلومات بالطرق الرسمية، إلى قيادة سلاح الجو فى تل أبيب، وهناك تم نقل تقريره عن رجل مخابرات أمريكى محبط راغب فى مساعدة إسرائيل إلى رافى ايتان رجل المخابرات الإسرائيلية المحبط الذى يرتبط بوزارة الدفاع كرئيس لوكالة التجسس التكنولوچى، لاكام.

كانت إسرائيل تحصل على التكنولوچيا القيمة من أهم الأنواع، من مصدر أمريكى واحد على الأقل، ومن بين الوسطاء، كان هناك مقاول إسرائيلى فى هوليوود، قام بتقديم مسئولى بلاده العسكريين إلى مؤسسة ميلكو كاليفورنيا، ويملكها ريتشارد سميث، وهو يهودى، اتهمته هيئة محلفين فدرالية فى آيار ١٩٨٥ بتهريب ٨١٠ أجهزة ألكترونية لإسرائيل، وهى أجهزة يمكن استخدامها كعوامل تفجير فى القنابل الذرية. وكان تصديرها يستدعى الحصول على تصريح خاص، لكن سميث قدم طلباً لتصريح سترفضه الحكومة الأمريكية، لأن إسرائيل لم توقع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية.

اكتشف محققو الاف بى اى أن ٨٠ بالمائة من عمل شركة ميلكو الذى يعود إلى عام ١٩٧٣. كان مع إسرائيل، وقد أفرج عن سميث بكفالة بقيمة مئة ألف دولار. لكن بعد ثلاثة شهور لم يمثل أمام المحكمة، حيث اختفى لكن سميث شوهد فى بريطانيا وإسرائيل.

اعتذرت إسرائيل للولايات المتحدة بعد أن احتلت القضية العناوين الرئيسية

قائلاً إن الأجهزة الألكترونية هى للأغراض الطبية، ولم يتم استخدامها فى برنامجها الذرى، وكلما طالب الأمريكيون، اعيدت كل المتفجرات «غير المستعملة».

ذكر عدد من الحوادث الأخرى فى عام ١٩٨٥، والتى كانت المؤسسات الحكومية الإسرائيلية، مثل الصناعات العسكرية الإسرائيلية لها علاقة فى صفقات غامضة مع الشركات الأمريكية، وقد قدم بعض الأمريكيين للمحاكمة، ولم يخف المسئولون الحكوميون، خاصة فى جهاز الجمارك والاف بى آى، غضبهم من تصرفات إسرائيل.

لكن أعلى وأوضح رسالة من واشنطن، خاصة بعد أن أصبح رونالد ريجان رئيساً فى عام ١٩٨١، تتمثل فى أنه لاينبغى لاسرائيل أن تعانى طويلاً بسبب أى شىء فعلته. فالعصر الذهبى للتحالف الأمريكى الإسرائيلى القوى وغير المعلن أخذ يؤتى ثماره.

لم يكن هنالك أى تعهد رسمى، كما هو الحال فى الناتو والأحلاف العسكرية الأخرى وبأن الولايات المتحدة من الحلفاء الغربيين الرسميين مثل بريطانيا.

لقد ذهب ريجان أبعد مما ذهب إليه أى رئيس أمريكى فى جعل الإسرائيليين يشعرون بالأمن، فلم يكن هنالك أى احتجاج حقيقى من الحكومة الامريكية على غزو لبنان فى عام ١٩٨٢، وقد غضبت وزارة الخارجية ضد انشاء المستوطنات اليهودية فى الأراضي المحتلة، لكنها لم تفعل شيئاً. والأهم من ذلك أن البيت الأبيض قدم دعماً كبيراً لمذكرة رسمية حول التعاون الاستراتيجى مع إسرائيل.

ظل معظم المذكرة سراً، لكن الآثار المرئية شملت زيادة فى زيادات الأسطول السادس الأمريكى لميناء حيفا. وكانت القوات المسلحة الامريكية تخزن المعدات العسكرية والإمدادات الطبية فى إسرائيل، كما كانت المناورات التدريبية المشتركة قائمة أكثر من أى وقت مضى. وشملت الآثار غير المرئية تعاوناً كبيراً بين جهازى المخابرات، بما فى ذلك محاربة الأرهاب، حيث كانت الولايات المتحدة تعتمد بشكل شبه كامل على الإسرائيليين ازاء المعلومات عن الجماعات الإرهابية العربية.

أدرك مخضرمو السىء آى ايه، ذوو الخبرة الطويلة فى الشرق الأوسط، ان

الإسرائيليين يستطيعون ان يأخذوا أى شيء، وكانوا يعرفون ذلك. حتى ان جاسوساً امريكياً قال لعميل موساد، شبه مازح ان إسرائيل محظوظة لأنها لم تصبح الولاية الحادية والخمسين. وقد تساءل رجل المخابرات الإسرائيلى، لماذا نحن محظوظون؟ فرد عميل السى آى ايه: لأنه عندئذ لن يكون لكم إلا سناتوران. أما الآن فإن لكم ما لا يقل عن ستين سناتوراً.

كانت حكومة ريجان، تعطى الدولة اليهودية حوالى ثلاثة بلايين دولار كمساعدات سنوية، ثلثها كدعم عسكرى. وبدا بئر الكرم بلا قاع، كما ان نافورة الإعفاء لم تكن لتجف أبدا.

ومع هذا كانت مجتمعات المخابرات فى البلدين يشك بعضها فى الآخر. فقد كانت الاف بى أى قلقة من المدى الواسع للنشاطات الإسرائيلية فى الولايات المتحدة. وكانت مقتنعة بأن كثيراً من هذه النشاطات يصل إلى التجسس، وكانت دائماً فى حالة ترقب لانتهاكات القانون من خلال حصول إسرائيل العدوانى على التكنولوچيا.

إن ندرة عمليات المقاضاة وكثرة المعلومات المسربة إلى الصحافة من قبل مسئولين امريكيين غاضبين قد عملت كتحذير لايتان وباقى المؤسسة الصناعية العسكرية فى إسرائيل، بأن التصرفات السرية تحمل مخاطر الاكتشاف، فعندما قرأ تقرير الكولونيل سيلا من نيويورك، احتار ايتان وتشكك ازاء ظهور بولارد «كمتطوع» فقد تكون فخاً، نصبته السلطات الأمريكية.

فى الوقت ذاته، كان ايتان يعرف ان الأمريكى الشاب يمكن أن يكون ثميناً جداً، فرغم اتفاقيات التبادل الرسمية، كان مجتمع المخابرات الإسرائيلية يفترض دائماً ان الولايات المتحدة لا تشارك فى كل شيء. ويمكن لبولارد ان يملأ الفجوة. وبوجود جاسوس فى الداخل يستطيع الإسرائيليون ان يعرفوا ما ينقصهم.

وقد استطاع بولارد أن يشكل فرصة لايتان ليتفوق على الموساد بطريقة الموساد، فى جزء من محاولاته الرامية إلى امتداد لاكام إلى مجال جديد ـــ ليظهر أنه يستطيع أن يحصل على معلومات من واشنطن أكثر مما تقدم السى آى أيه والبنتاجون.

رفض رئيس الموساد ــ ادموني، ان يكون لوكالته جاسوس رسمي في قلب مجتمع المخابرات الأمريكية، في ضوء اتفاقية التعاون لعام ١٩٥١ مع السي آي أيه وما تبعها من تحديثات، كانت هنالك اتصالات يومية، بما فيها علاقات كمبيوتر، بالإضافة إلى اجتمعات رسمية مرتين في السنة للنظر في خطط جديدة للتعاون، واستعراض العالم بالنظر إلى فرص مشتركة، وقد يكون ضاراً وحتى مدمراً العلاقة أن تزرع الموساد عميلاً بين اصدقائها، والأسوأ من ذلك، أن يتم ضبط العميل.

إذا كان العميل يعرف لمن يعمل ويصر، عسى انه لا يريد إلا خدمة الولايات المتحدة فإنه لا ينبغي أن يدار من خلال محطة السي آي أيه المحلية في تل أبيب. ينبغي ألا يكون هنالك أية آثار للتدخل الأمريكي، ويجب عقد الاجتماعات في بلد ثالث، ويجب توجيه العملية من محطة أخرى للسي آي أيه. والأفضل من ذلك، يجب استخدام وكالات بديلة، فلا يجب أن تتدخل السي آي أيه رسمياً في ادارة الجواسيس داخل إسرائيل، وعليها ان تسلم مثل هذه المسئولية لجزء آخر من مجتمع المخابرات الأمريكية. ومثلا لذلك، عندما توجه الموساد فرصة تجسسية في الولايات المتحدة، فإن عليها ان تعتمد إلى ترك المهمة لوكالة أخرى ــ مثل لاكام.

والحقيقة إنه لا يوجد أي مؤشر على ان المخابرات الأمريكية، قد تسللت إلى الأجهزة السرية في إسرائيل، مع ان الولايات المتحدة أرسلت جواسيس إلى إسرائيل في مهمات محددة، ليعرفوا عن المشاريع العسكرية والاقتصادية والعلمية ــ بما فيها البرنامج الذري، وقد علق وزير الدفاع اسحق رابين بعد اعتقال بولارد ان إسرائيل اكتشفت خمسة جواسيس امريكيين في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات في المرافق الذرية والصناعية الحساسة. وكان ــ أحدهم يجمع المعلومات في شركة تطوير الأسلحة التابعة للدولة، وهي شركة رافائيل في حيفا ــ وكان هنالك جاسوس آخر وهو عالم أمريكي يعمل في مشروع تبادل في مفاعل البحوث الذرية، ناجال سوريك، الذي قدمته حكومة ايزنهاور لإسرائيل، وتم استجواب الجواسيس الأمريكيين، وطردوا دون محاكمة تجنباً لمضايقة الولايات المتحدة.

عندما ظهرت قضية بولارد أشاع عضو لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ،

دافيد دورنبرغران المخابرات الأمريكية كان لها عملاء في الجيش الاسرائيلي، خلال غزو لبنان عام ١٩٨٢.

كان موظفو السي آى أيه في مقرها لانغلي يشعرون بالاغراء للبحث عن عملاء محتملين بين الآلاف من الأمريكيين الذين رحلوا إلى إسرائيل... لأن معظمهم كانوا يهوداً وهاجروا ـ من دافع ديني أو صهيوني، فقد شعرت السي آى أيه ان ولاءهم لإسرائيل وليس للولايات المتحدة ـ وبينما كانت المخابرات الإسرائيلية تؤمن ان وكالات التجسس، الكتلة الشرقية كانت تزرع الجواسيس بين المهاجرين اليهود المتوجهين إلى إسرائيل، فإن الإسرائيليين لم يشكوا في ان السي آى أيه أنها تفعل ذلك.

من ناحية أخرى كانت المخابرات الأمريكية واثقة من وجود جواسيس بين الإسرائيليين الذين يرحلون إلى الولايات المتحدة أو الذين يزورونها للدراسة أو الزيارة.

وفي الحقيقة كانت النشاطات السرية الإسرائيلية في الولايات المتحدة واسعة النطاق، فقد كان يطلب من الإسرائيليين الذين يسافرون للخارج، حتى إلى أمريكا، ان يبقوا عيونهم مفتوحة ـ خاصة إذا كانوا علماء يشاركون في مشاريع تهم الدفاع الإسرائيلي. لكن لم يكونوا مستأجرين من قبل الموساد أو امان، فالمعلومات التي يمكن ان تساعد إسرائيل ينبغي إرسالها بدافع وطني، حسبما شعر كثير من المسافرين.

بغض النظر عن النشاطات السرية في الولايات المتحدة فان الموساد تجنب ـ استعمال محطتها المحلية في واشنطن ـ مثلما فعل الامريكيون في إسرائيل. فعندما كان يتم إرسال جاسوس إسرائيلي إلى أمريكا في مهمة معينة، لم يكن يتم إخبار رجال الموساد في واشنطن بذلك.

كان جوناثان بولارد حالة غير مألوفة، فقد كان متطوعاً، وكان يعمل في مخابرات بحرية، قادراً على الوصول إلى الوثائق، وكان يهودياً، عرض العمل خدمة لإسرائيل فقط، وكان ايتان يعرف مخاطر استغلال يهود محليين كعملاء سريين في وطنهم ـ تمشياً مع النموذج الذى اتبع في مصر والعراق في الخمسينيات. لكن المعلومات التي استطاع بولارد ان يحصل عليها لا تقاوم.

وبعد موافقة رئيس هيئة الأركان وقائد سلاح الجو، سمح لايتان بأن يستخدم ــ الكولونيل فى تلك المهمة الفريدة. ولم يتم إعلام موشى واموز لا يبدوت بالتفاصيل المحددة لما سيفعله سيلا الذى يدرس علم الكمبيوتر فى خدمة نيويورك.

أمر ايتان سيلا بأن يعلم بولارد ان إسرائيل مستعدة لتجربة، وأجرى الكولونيل عدة محادثات مع محلل المخابرات الأمريكية، مستخدماً اكشاك التليفون العامة فى نيويورك وواشنطن لتقليل فرص تصنت الاف بى آى.

ذهب سيلا إلى واشنطن من نيويورك فى رحلات جوية مكوكية عدة مرات فى صيف ١٩٨٤ للاجتماع مع بولارد وأخذ الوثائق. وكان سيلا يتلقى مساعدة من ملحقى لاكام برئاسة ايتان، فى المدينتين الامريكيتين، لكن على عكس ما يتمتعون به من حصانة دبلوماسية، لم يكن سيلا يتمتع بها، فلو اعتقل وحكم على استلام أوراق سرية فإن سيلا نفسه، وسلاح الجو وإسرائيل، سيتضايقون جداً وربما يواجهون ما أسوأ. لكن الكولونيل الشاب كان راغباً فى الاقدام على المجازفة.

كانت أولى الوثائق التى أعطيت لسيلا من جهاز الاستخبارات البحرية، أوراق كمبيوتر من جهاز بولارد. وأرسلت إلى تل أبيب بالحقيبة الدبلوماسية وكانت مذهلة تفوق توقعات ايتان.

كان بولارد قد انضم عندئذ إلى مركز البرت لمكافحة الأرهاب فى سويتلاند، ميريلاند، وبدأ على الفور اعطاء المعلومات لسيلا حول مواضيع تتجاوز عمله فى المركز (آتاك). وكانت هناك تفاصيل مذهلة عن تطوير سوريا للترسانة الكيماوية، وعن جهود العراق لاحياء برنامجها الذرى.

كانت هناك معلومات عن بعض أحدث أنظمة التسليح لدى جيران إسرائيل العرب. وكانت هنالك قوائم وأوصاف للأسلحة التى اشترتها مصر والسعودية والأردن، ولأن الولايات المتحدة كانت تعتبر تلك الأقطار العربية الثلاثة موالية لها، فقد كانت دائماً ترفض مشاركة إسرائيل فى مخابراتها. وأدرك ايتان ان الوقت مناسب ليكون لإسرائيل نافذة إلى تلك الأقطار.

كان حماس بولارد شديداً، خاصة بعد ترقيته فى مركز «آتاك» فى تشرين

الأول ١٩٨٤. وقد أخبر الإسرائيليين أن تصريحه الأمنى، أصبح يخول له الوصول إلى أية وثيقة فى شبكة المخابرات الأمريكية. بل يستطيع ان يستعير صور التجسس التى تلتقطها أقمار التجسس الأمريكية، ولأنه لم يكن يستطيع إصدار نسخ بواسطة جهازه، فقد كان عليه ان يقترض الصور ليوم أو يومين.

صعق سيلا، حين عرف الأهمية الكبيرة لهذا الجاسوس، فقبل ثلاث سنوات فقط قبل ان يقود سرية القاذفات المقاتلة فى الغارة على مفاعل بغداد، كان سيلا قد درس صور الأقمار الصناعية الامريكية التى حددت الهدف، وكان مثل هذا الوصول إلى الوثائق نادراً، حيث كان مدير السى آى أيه بين إسرائيل فى مثل هذه الأمور المهمة كجزء من اتفاقيات التعاون الاستراتيجى، وفى الوقت ذاته اكمل سيلا دورات الكمبيوتر فى نيويورك وعاد إلى إسرائيل. وكان بولارد ينتظر ضباط حالات جديدة.

وضح ان ايتان سعيد بالنتائج حتى انه قرر البدء بمرحلة جديدة، فطار بولارد، وآن هندرسون، ـــوكانت خطيبته فى ذلك الوقتـــ إلى باريس على حساب لاكام فى تشرين الثانى ١٩٨٤، وكان بانتظارهما مفاجأة حين ظهر سيلا ودعاهما إلى مشروب فى مدينة الأضواء، واحتار بولارد حول سبب احضارهما إلى فرنسا، وذهب الغموض عندما قدمهما سيلا إلى يوسى ياغور ضابط حالته.

كان ياجور القنصل للاكام فى القنصلية الإسرائيلية فى نيويورك، ويتحدث تاريخ حياته الرسمى ـــلكن الغامضـــ عن عدة وظائف غير محددة تولاها سابقاً فى وزارة الدفاع. وكان ياجور يحظى بالحصانة الدبلوماسية.

كقنصل منذ عام ١٩٨٠، اعتاد ياجور على حضور المؤتمرات الاكاديمية، وعقد الصداقات مع العلماء الامريكيين فى الصناعات العسكرية والأخرى، وارسال ملفات ضخمة من قصاصات الصحف والمجلات الورقية المحترقة إلى محلى لاكام فى تل أبيب.

وفى مفاجأة أخرى، اجتمع بولارد مع رافى ايتان الأسطورى، وتم تقديمه كمدير للعملية بأسرها، وجلس هو وياجور مع بولارد لمناقشة تحركاتهم المقبلة، بما فيها وثائق محددة يحتاج إليها دفاع إسرائيل.

وفى لحظات أكثر استرخاء، قام سيلا بتشجيع جاى وآن على التفرج على نوافذ أفخم محلات الجواهر فى العاصمة الفرنسية، وعندما أحبت آن خاتماً ماسياً كبيراً قال سيلا: «اشتريه»، وقال انه سيدفع ثمنه شريطة أن يكون خاتم خطوبتها.

وقد كلفه حوالى عشرة آلاف دولار، وكان العلامة الواضحة لإسرائيل فى خطبة، آل بولارد. بل ان سيلا اعطاهما مذكرة مكتوبة بخط اليد، تقول ان الخاتم هدية من «العم جو» فيما لو سألهم أحد فى واشنطن كيف استطاعا شراء مثل هذا الشيء الثمين. وتزوج جاى وآن فى آب التالى فى البندقية، وقضيا شهر عسلهما لمدة ثلاثة أسابيع هناك، على حساب إسرائيل بالإضافة إلى رحلة إلى تل أبيب للاجتماع مع ايتان مرة أخرى.

كان هذا تعويضاً عن النفقات الضرورية وكرمز للتقدير، قال الإسرائيليون لبولارد أنه سيتقاضى ١٥٠٠ دولار شهرياً، وبالاضافة إلى خاتم آن، أعطى بولارد مبلغ عشرة آلاف دولار نقداً وأخبره ايتان أنه تم فتح حساب بنكى فى سويسرا، وسيتم ايداع أمواله مباشرة، لستخدمها بولارد خلال عشر سنوات. وأجاب بولارد عندها يأمل فى العيش فى إسرائيل، ورد ياجور عليه، حينما اطلعه على جواز سفر إسرائيل معد لبولارد، وعليه صورته واسمه الزائف «دانى كوهين» إن فريق لاكام لم يختبر فقط اسمها يهودياً قديماً، بل إن العمل الامريكى أعرب من إعجابه الشديد بالجاسوس الإسرائيلى الذى شنق فى دمشق، ايلى كوهين، لذلك، ومن أجل تشجيع بولارد، أعطاه ايتان وياغور نفس اسم العائلة على الجواز، وسوف يلقى الترحيب فى إسرائيل فى أى وقت، كبطل لم يره أو يسمع به أحد.

لم يقل ايتان لبولارد إن الخاتم الماسى والأموال النقدية، كانت أسلوباً كلاسكياً لايقاع عميل سرى فى الشرك والابقاء عليه. فالجاسوس الذى يقول انه يتصرف طواعية وانطلاقاً من إعجاب ايديولوچى بالبلد الذى يخدمه ــ أو بسبب كراهيته للبلد الذى يخونه ــ يمكن بسببه ان يتغير، فهو يشعر أنه يستطيع ان يتراجع فى أى وقت لأنه متطوع.

لكن العميل المدفوع الأجر لايستطيع، فهو يشعر بأنه مضطر للعمل، حيث

يخشى من الابتزاز. لكن دافع بولارد كان مزيجاً من الصهيونية والإثارة، وتعززت لكونه جاسوساً مغرماً بالرحلات والمدفوعات السرية، لكنه كان سعيداً لإدراكه انه يساعد إسرائيل فى الدفاع عن نفسها.

عندما عاد من أوروبا توجه بولارد إلى العمل فوراً، وحمل حقيبة مليئة بالوثائق ـــوصور الأقمار الصناعية عن الشرق الأوسطـــ إلى بيت فى ميريلاند حيث اجتمع مع ياجور، وقد قام ضابط الحالة بتعليم بولارد بعض الكلمات الرمزية ليستخدمها فى الاتصال أو الغاء اجتماع متوقع، وأخبر ياجور بولارد انه سيتوقعه ويرحب به فى كل جمعة فى مكان تصوير خاص أعد فى بناية شقته فى واشنطن حيث كانت ايريت ايرب تقيم. وكانت تعمل سكرتيرة لأحد رجال لاكام فى السفارة الإسرائيلية.

لقد تم شراء شقة مليئة بمعدات النسخ والتصوير، من قبل هارولد كاتز وهو امريكى يهودى يعمل كمحام فى إسرائيل، ولم يكن يعرف كيف تستخدم وزارة الدفاع مكاناً فى واشنطن.

كان الإسرائيليون يعرفون كيف يبقون بولارد مهتماً بعمله: فقد دغدغوا انانيته، حيث كان ياغور، بين الحين والآخر، يخبر بولارد انه مهم جداً وان جهات كثيرة فى مجتمعات الدفاع والمخابرات الإسرائيلية تستفيد من المعلومات التى يوفرها. ولأن بولارد كان يعمل فى تحليل مثل هذه الأمور فلم يكن مقتنعاً بالأشياء الصغيرة، فقد كان يصر على ان يعرف ياجور من فى إسرائيل يستخدم الوثائق السرية وكيف يستخدمها.

كان رؤساء الوكالات فى تل أبيب يعرفون أن كنوز ايتان من واشنطن، ولا يمكن ان يوفر صور الأقمار الصناعية إلا شخص امريكى. ولم يسل أحد ايتان من هو عميله. هل هو رجل عسكرى؟ يهودى؟ إسرائيلى زرع فى القوات المسلحة أو الوكالات السرية الامريكية؟ ولابد ان رجالا مثل ادمونى من الموساد أو رئيس أمان الجديد ليهود باراك قد تساءلوا. فنوعية «المواد» جيدة جداً بشكل لا يجب معه تجاهل طبيعية ومخاطر العملية التجسسية.

كان بولارد يحمل أكواماً ضخمة من الملفات إلى ايريت ايرب، كل

أسبوعين، كان فى البداية يقوم بعملية الاختيار، لكن ياغور كون عادة باختيار وثائق معينة بشكل مسبق ــ كما لو كان يأمر ويختار من قائمة، وهذه القائمة هى دليل الوثائق التى جمعتها وكالة الاستخبارات العسكرية التابعة للبنتاجون، دى آى أيه وكيف وقع مثل هذا الدليل وهو وثيقة سرية بين أيدى الأجانب ؟ وهنا رأى المحققون الأمريكيون فى هذا الأمر، كدليل قاطع على وجود جاسوس إسرائيلى آخر، وربما أهم من بولارد.

وباستخدام «بطاقة» وهى أهم بطاقة فى منطقة واشنطن، استطاع بولارد ان يستعير وثائق سرية من ستة ملفات مهمة: السى آى أيه والاف بى آى، ووزارة الخارجية وآى أيه وحتى وكالة الأمن القومى بما تفرضه من قيود مشددة. وإذا كانت الوثائق تتعلق بالشرق الأوسط كان بولارد يؤمن بأن على إسرائيل ان تعرف عنها. وكان يشعر بان الوزير واينبرجر ومجتمع المخابرات الامريكية لم يكونا يشاركان إسرائيل فى كل شىء عن التهديدات المحتملة للدولة اليهودية، ويفضل هذا الجاسوس الشاذ لكن الفعّال، تلقى الإسرائيليون تحليلات السى آى أيه ونسخاً من الرسائل المتبادلة بين المرافق الامريكية فى المنطقة، وتفاصيل عن شحنات الأسلحة السوفياتية إلى سوريا وحلفاء آخرين، كما لاحظها العملاء السريون الامريكيون أو أقمار التجسس، بالاضافة إلى صور من تلك الأقمار.

إن الصور والتحليلات التى وفرها بولارد قد سمحت للإسرائيليين، حوالى سنة إلى حين القبض عليه، بمراقبة تفصيلية لحركة سفن مختلف الأساطيل فى البحر الأبيض المتوسط، فقد كان هنالك ملف لدى السى آى أيه حول جهود باكستان لبناء سلاح ذرى، وهو مشروع القنبلة الإسلامية، الذى كان يقلق إسرائيل مثل قلقها من المفاعل العراقى الذى دمرته فى عام ١٩٨١، وكان هنالك تفاصيل عن الأسلحة الكيماوية المكدسة لدى العراق وسوريا وهما عدوان لإسرائيل حيث يصعب الحصول على معلومات عنها.

إن تأملات بولارد فى السجن، ويشاركه فيها الصحفى وولف بيلتزر مهمة فى تقييم السبب الذى جعله ذا قيمة كبيرة فى نظر ايتان، فقد قال بولارد انه اكتشف ان المخابرات الإسرائيلية عملاق يعرف كل شىء عن الشرق الأوسط، وكانت إسرائيل تكرس أفضل موجوداتها الفنية والبشرية ضد سوريا، التى تشكل

أهم تهديد لوجودها، وقال بولارد أنه ركز على حلقتها الخارجية من الأعداء وبالتحديد ليبيا والجزائر والعراق وباكستان كان أهم جزء فى المخابرات المسروقة ــ الصور الجوية لمقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس، كما كان هنالك تقارير عن نظم الدفاع الجوى لدول شمال افريقيا حتى تونس، بما فيها ليبيا. وقد قصف سلاح الجو الإسرائيلى مبنى منظمة التحرير الفلسطينية يوم الأول من تشرين الأول ١٩٨٥ فى أبعد غارة إسرائيلية تقوم بها طوال حياتها، وقد دمرت قاعدة ياسر عرفات وقد علم بولارد بأنه ساعد فى تحقيق ذلك.

بدأ بولارد فى إرسال آلاف الصحف المتعلقة بالتهديدات الإرهابية وشحنات الأسلحة السوفيتية واعتراضات الاتصالات الالكترونية ونظم التسليح فى الأقطار العربية. ولم يستطع ايتان والمحللون القلائل المتوافرون لديه فى لاكام ان يجاوروه وكان واحداً من أساتذة بولارد فى جامعة سانفورد قد (شعر بأنه يبالغ فى العمل) فإذا طلب منه أن يكتب ورقة كان يعدها بشكل أطول من المطلوب، وأخذ بولارد يتصرف بطريقة مماثلة لكن ليس كطلب وإنما كأستاذ للإسرائيليين.

كان ينبغى على المخابرات الامريكية ان تعرف ان بولارد لايعتمد عليه، استناداً إلى خلفيته وسلوكه الملتوى، فقد كان رئيسه فى «آتاك» جيرى آغى، الذى بدأت الشكوك تراوده حول مصداقية بولارد بعد أن ضبطه يكذب مرتين حول أمور تافهة، وواصل آغى يراقب بولارد ولاحظ رزماً ضخمة من المواد السرية على مكتبه غير متعلقة بعمله، وبعد ظهر الجمعة ٢٥ تشرين الأول ذكر زميل ان بولارد غادر العمل وهو يحمل رزمة كبيرة من المادة فى أوراق الملف الخاصة بمركز الكمبيوتر، ووجدت السلطات انه كان يصل إلى حركة نقل الرسائل المتعلقة بالشرق الأوسط.

وتفقد آغى الأمور فى يومى الجمعة التاليين، الأول من تشرين الثانى ولاحظ ان بولارد يجمع معلومات بالغة السرية، ولم يستطع آغى النوم وذهب إلى المكتب فى الرابعة والنصف صباح ذات اليوم، ووجد المزيد من المواد المتعلقة بالشرق الأوسط فى مكان عمل بولارد، وقال الضابط البحرى لنفسه: إن لدى جاسوساً لعيناً.

ولم يتمكن آغى ان يقنع الاف بى آى بوضع بولارد تحت المراقبة، لأن الوكالة كانت مشغولة بسلسلة من حلقات التجسس الأجنبية، ولكن مكافحة الجاسوسية البحرية وضعت آلات تصوير تلفزيونية مخبأة حول مكان عمل بولارد، وراقبوه وتأكدوا أنه يكدس مكتبه للاستخبارية الشخصية، وتم احتجازه للاستجواب يوم ١٨ تشرين الثاني.

استجوب عملاء المخابرات البحرية بولارد ثلاثة أيام، لكنهم لم يضبطوه متلبساً، ففى ضوء خبرته فى سرد الحكايات الخيالية أخبر العملاء أنه سيساعدهم فى كشف مؤامرة تجسسية متعددة الجنسيات يعرف بها.

ارتاحوا جداً، بل سمحوا خلال الجلسة الأولى من التحقيق بأن يتصل بولارد بزوجته، وبينما تظاهر بأنه سيأتى إلى البيت متأخراً فى ذلك المساء أخبر آن أن تأخذ «الصبار» للأصدقاء. وكان رمزاً كانا قد اتفقا عليه سابقاً، يدل على أنه يعانى من مشكلة، وانه ينبغى ترحيل أية وثائق سرية من البيت على الفور.

والغريب ان آل بولارد كانا على موعد لتناول العشاء فى ذلك المساء الثامن عشر، مع افيم سيلا، الذى كان فى زيارة للولايات المتحدة، وكان سيلا قد أخبره آل بولارد أن سلاح الجو قد رقاه إلى وظيفة قائد لواء، وان عليهم أن يخرجوا للاحتفال بذلك وبدلاً من ذلك، عندما خرجت آن لموعد العشاء كانت فى حالة ذعر. وحاولت فى طريق خروجها ان تتخلص من حقيبة يدوية كانت متفجرة كالديناميت، بالنسبة لآل بولارد. فقد كانت تحتوى على رزمة سمكتها خمسة عشر انشا من الوثائق السرية الامريكية، كانت فى شقتها، وكانت «الصبار» الذى أشار إليه جاى. لجأت آن إلى جيرانهم الوديين، آل اسفانديارى، للمساعدة، فطلبت من كريستين اسفانديارى ان تأخذ الحقيبة، وقالت إنها مليئة بوثائق من عمل جلى وتسليمها فى فندق فورسيزونز فى واشنطن، كانت عصبية جداً وأعطت لكريستين اليوم زواج بولارد للاحتفاظ به لديها.

كان آل بولارد طيبين مع آل اسفانديارى، وكانوا يعيرونهم سيارتهم فى المناسبات، لكن طلب تهريب حقيبة يدوية من بناية شقته بدأ مزعجاً لكريستين، فقد صدف ان كانت ابنة ضابط بحرى امريكى، وفى اليوم التالى اتصلت هاتفياً

بجهاز التحقيقات البحرية وقالت: لدى بعض المعلومات المهمة التى يمكن ان تكون مفيدة لكم.

وقد روت كريستين فيما بعد: لقد كان أمراً صعباً لأننا اهتممنا بها أكثر من المطلوب، لكن لو كنا فى وضع طبيعى لما سمحنا للأمور ان تجرى كما جرت، فلم استطع ان اصدق ان هؤلاء جيراننا جاى وآن، كنت مجنونة، تألمت كثيراً، فقد خدعت وغدر بى.

إن الطلب من جار ان يسدى معروفاً ليس طريقة جديدة للتخلص من أدلة مشبوهة، علاوة على ذلك فان اسم بولارد كان على الحقيبة، ولو انها وجدت طريقها فى قامة العاصمة، لا يمكن ان توقعه فى مشكلة.

كانت آن عصبية على العشاء فى مطعم صينى فى شارع كية مع سيلا، وقالت إن جاى فى مشكلة.

ولمس سيلا خطراً شديداً وطلب من آن، بعصبية، ألا تعترف بأنها التقيا ولم ير أحدهما الآخر مرة أخرى.

عادت آن هندسون ـ بولارد إلى البيت فوجدت جاى وقد عاد من أول جلسة تحقيق معه، كان كل منهما عصبيا ـ روى بولارد لزوجته أهوال الاستجواب وقررا الاتصال بضابط حالتها، واتصل بولارد مع ياجور وطلب باللجوء إلى إسرائيل.

أجاب ياجور، ليحذر بولارد ويهدئه أيضاً: ربما تكون تتعرض للمتابعة، إذ استطعت ان تتملص من المراقبة تعال، سوف نساعدك.

كانت الملاحظة ساذجة بشكل غير متوقع من جاسوس كبير: فإذا كان ياجور يظن أن عملية مراقب، فكان عليه أن يعرف أن تليفون بولارد مراقب أيضاً.

وكان على إسرائيل وآل بولارد ان يدفعوا ثمن عدم احترافهم فى هذه العملية الحساسة والخطرة، وكان الإسرائيليون فى سباق ليروا من يستطيع الهرب أسرع من غيره، وخلال ثلاثة أيام طار ياجور وسيلا إلى إسرائيل من نيويورك وغادرت

ايريت ايرب ورئيسها، ايلان رافيد، نائب ملحق لاكام فى السفارة فى واشنطن وانتشر خبر اعتقال امريكى بالتجسس.

عندما وصل موجهو بولارد إلى إسرائيل أدرك مسئول المخابرات والسياسيون ان التقارير الإعلامية المأخوذة من بوابات السفارة إلى مقر الاف بى آى كفيلة بأن تؤدى علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة وبالتحديد: مع السى آى أيه والمؤسسة الدفاعية.

عندما اعترفت إسرائيل باحتمال التورط مع بولارد، بعد ثلاثة أيام من اعتقاله، كانت هنالك صدمة كبيرة من ان المخابرات الإسرائيلية كانت غبية جداً بالسماح باعتقال عميل فى سفارة إسرائيل. وقد دهش الناس لأن الموساد كان يمثل هذا السخف وعدم النضج.

خلال أيام قليلة، انكشف ان لاكام مسئولة —ولم يكن وجودها قد ذكر فيما من قبل— لكن هذا يوفر راحة لدى الشعب الإسرائيلى.

وكان هنالك حيرة لدى الجانب الامريكى، فقد سمح رونالد ريجان لأول مرة من اعتقال بولارد، عندما كان عائداً بالطائرة إلى واشنطن من اجتماع القمة مع الزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف، فى جنيف، وقد علق قائلاً لا أفهم لماذا يفعلون ذلك.

ومن ناحية أخرى كان ينبغى على الامريكيين ان يعرفوا أفضل. فقد كان السى آى أيه تفترض ان الجواسيس الإسرائيليون نشيطون فى الولايات المتحدة، فقد أعلنت دراسة سرية للوكالة، انه بعد جمع المخابرات عن جيرانها العرب، فإن الأولويتين الثانية والثالثة للمخابرات الإسرائيلية هما، جمع المعلومات عن السياسية أو القرارات السرية الامريكية، ان وجد منها مايتعلق بإسرائيل وجمع المخابرات العلمية فى الولايات المتحدة والأقطار المتقدمة الأخرى.

وكان ينبغى للامريكيين ان يعرفوا أيضاً المزيد عن بولارد وتاريخه غير المستقر، كما ظهر خلال استجوابه، فقد اتضح انه ما كان يجب ان يكون فى مجتمع المخابرات، فقد كان السى آى أيه قد رفضت بولارد لكن الوكالة لم تنصح الاستخبارات البحرية عندما بدأ العمل معها.

واعتقلت آن هندرسون ــ بولارد أيضاً لأنها كانت تعرف عن نشاطات زوجها التجسسية، وساعدته حيثما استطاعت، كما وقعت أمام الاغراء باستخدام بعض الوثائق التى حصل عليها فى علاقاتها العامة.

أصر المدعون الفيدراليون على مقاضاة هندرسون ــ بولارد لكنهم كانوا قساة فى إعداد قضية قوية ضد زوجها، فقد قال المدعون لقاضى محكمة المقاطعة، أوربى روبنسون ان هذا المتهم قد اعترف بأنه باع لإسرائيل كمية ضخمة من الوثائق المهمة، لو جمعت معاً لأصبحت كومة ارتفاعها ستة أقدام وعرضها ستة أقدام.

كتب وزير الدفاع كاسبر واينبرجر رسالته الوحيدة إلى قاضى روبنسون: من الصعب أن أتخيل أذى يحيق بالأمن القومى أكبر من الأذى الذى سببه المتهم.

وقد قال واينبرجر إن بولارد يستحق القتل شنقاً أو ضرباً بالرصاص، وأضاف ان اصلاح الاضرار يمكن ان يكلف الولايات المتحدة بليون دولار.

فى الرابع من آذار ١٩٨٧ وبعد أربعة شهور من اعتراف بولارد حكم عليه بالسجن مدى الحياة. فقد غيرت رسالة واينبرجر رأى القاضى.

كان بولارد فى الثانية والثلاثين، وزوجته ٢٦ سنة، اعترفت بالذنب ازاء اتهامات أقل شدة وحكم عليها بالسجن خمس سنوات. وقد سقطت على أرض المحكمة وصرخت: لا.. لا...

وعندما استعادت وعيها قالت: إننى أدعو الله فى كل يوم ان يعود لى زوجى، فهو كل ما أعيش له.

لقد اخطأ بولارد بالتباهى بأنه «عيون إسرائيل وأذنها على منطقة جغرافية شاسعة تمتد من المحيط الأطلسى إلى المحيط الهندى».

كما ان مذكراته للقاضى وفرت الكثير وأكدت بأن المعلومات التى أعطاها لإسرائيل «فريدة جداً» بشكل كان يجب على القادة السياسيين الامريكيين ان يعرفوا بوجود عميل يعمل فى المؤسسة الاستخبارية الامريكية. لكن الجاسوس شعر أن سادته تخلوا عنه.

هرع المحققون الأمريكيون إلى تل أبيب ليختبروا تأكيد الحكومة الإسرائيلية

بأن فضيحة بولارد مجرد عملية جوفاء وان الزعماء الإسرائيليين لم يكونوا يعرفون لهم جاسوساً فى المخابرات الأمريكية.

ولإظهار النوايا الطيبة شكل الإسرائيليون فريق ارتباط لاعطاء المحققين الإسرائيليين كل مساعدة ممكنة، وعين رئيس الشين بيت افراهام شالوم مسئولاً عن فريق الارتباط، لأن الامريكيين يعتبرونه رجلاً محترماً، وبعد ان تلقوا، ظاهرياً تعاوناً كاملاً من شالوم اعتقد المدعى الامريكى جوزيف دى غينوفا ومحامى وزارة الخارجية إبراهيم سوفاير أنهم يستجوبون كل الإسرائيليين المعنيين بتوجيه بولارد، لكنه لم يتم اخبارهم عن أفيم سيلا، فلم تكن إسرائيل لتكشف الذى جند جاسوس لاكام فى واشنطن.

وعندما قيل للامريكيين ان كل ما قدمه بولارد من وثائق قد أعيد لواشنطن، طار إلى واشنطن ليكشف ان واشنطن لم تتلق إلا ١٦٣ وثيقة منفصلة كانت تتوقعها.

وغضب الامريكيون لأنه كان باستطاعة إسرائيل ان تصور الوثائق كما ان بولارد لم يعطها أية وثيقة أو صورة أصلية لتحتفظ بها.

ووجه مدير الاف بى آى وليم وبستر انتقادات علنية للإسرائيليين واتهمهم بأنه لم يبدوا سوى «تعاون انتقائى» وكان موقف وبستر كفيلاً بان يكون مزعجاً لإسرائيل لأنه أصبح بعد سنة مدير للسى آى أيه.

قامت الحكومة الإسرائيلية بتحقيق، اتفقا على ان بولارد عمل مع لاكام برئاسة رافى ايتان، وان افيم سيلا لعب دور الوسيط المعنى برضى رؤسائه العسكريين، ولم يظهر اسمه علانية الا لأن بولارد أعطى للمحققين الامريكيين اسم الشخص الذى جنده.

وقد اختلفت لجنتا التحقيق حول قضية المسؤلية السياسية، فلم تجد اللجنة التى عينتها الحكومة ـ أو لم تذكر على الأقل ـ أية علاقة مع السياسيين الإسرائيليين فقد اعتبرت قضية بولارد عملية استخبارية معزولة. اما اللجنة البرلمانية فقد اسقطت إشارات طفيفة إلى ان القادة السياسيين يستحقون بعض اللوم.

تم تجنيد بولارد عندما كان موشى ارينز وزيراً للدفاع، مسئولاً عن لاكام وكان اسحق شامير رئيساً للوزراء، وواصل الجاسوس الامريكى تقديم المعلومات عندما حل رابين محل ارينز وحل بيريز محل شامير، ولم يخف السياسيون الأربعة انهم تلقوا بعض المعلومات التى وفرها بولارد، لكنهم لم يسألوا عن هوية المصدر وقد زعموا انهم، لو عرفوا المصدر، لألغوا العملية على الفور.

ومن ناحية أخرى قال رافى ايتان للجنتين إن ضميره مرتاح، وقال: «ان كل تصرفاتى. فى قضية بولارد قد تمت بمعرفة المسئولين، ولا أريد ان استغل كبش فداء لتغطية معرفة الآخرين ومسئوليتهم».

وظهر ان سيد الجواسيس المخضرم كان يوحى بأن السياسيين يعرفون أكثر مما اعترفوا به، وليس مدهشاً انهم لم يعرفوا اسم جوناثان جاى بولارد ووظيفته، لكن بعض التقدير لمصدر «المادة» الاستخبارية، كان يمكن ان يتوقع من السياسيين ذوى خبرة طويلة بالأمور العسكرية والسرية: رابين كرئيس هيئة أركان سابق وشامير كعميل موساد كبير، وبيريز وزير دفاع، أوجد لاكام، وحتى ارينز بخلفيته فى الهندسة القضائية العسكرية.

ـــ إذا كانت الحكومة والشعب الامريكى قد دهشا لعدم المسئولية فى إسرائيل الديمقراطية، فقد دهشوا أكثر لأن المجرمين الإسرائيليين لم ينجوا فقط من العقاب بل حصلوا على ترقيات.

وبعد عودته من الولايات المتحدة، عين قائد اللواء سيلا قائداً لقاعدة تل نوف العسكرية، وهى أكبر قاعدة فى إسرائيل. وكان الملحقون العسكريون الامريكيون يذهبون إلى هناك، جنوب تل أبيب، يطلعون الطيارين الإسرائيليين على مهماتهم فى الطائرات الامريكية الصنع، كجزء من التعاون الثنائى فى مجال الدفاع والمخابرات.

وسقطت الورقة الثالثة عندما أصبح سيلا ثالث وآخر شخص ــ بعد آل بولارد ــ يدان بتهم جنائية فى المؤامرة، فلأول مرة يتم اتهام مسئول عسكرى أو مدنى رفيع المستوى من بلد حليف للولايات المتحدة، بالتجسس ضدها، وعندما علم المسئولون الامريكيون ان قائد القاعدة الجوية هو ضابط الحالات الذى جند

جاسوس إسرائيل فى امريكا، أعلنت واشنطن انها لن تسمح لأى مسئول امريكى بالذهاب إلى تل نوف طالما ظل سيلا مسئولاً عن تلك القاعدة، وعندما قام چورچ بوش فى عام ١٩٨٦ بزيارة إسرائيل، وكان نائباً للرئيس، رفض زيارة قاعدة سيلا. ونجح الضغط، فضحى القادة السياسيون والعسكريون الإسرائيليون بالجنرال الشاب على مذبح العلاقات الإسرائيلية الامريكية. واستقال سيلا.

وجد نفس القادة الإسرائيليين أنه من الصعب تنحية ايتان، فقد سارع اريل شارون، وزير التجارة والصناعة، إلى نجدة محمية الديم فأعطاه رئاسة شركة الكيماويات الإسرائيلية وهى أكبر شركة صناعية تملكها الدولة.

ظلت الأمور تجرى كالمعتاد بالنسبة لإسرائيل، فلم تتغير المتطلبات الصناعية العسكرية المعقدة لإسرائيل لأن بولارد قد وقع، فما تزال الدولة فى حاجة إلى جواسيسها فى مجالات لا كام: العلوم والتكنولوچيا والصناعة. فقد كانت هذه واحدة من التخصصات لمجتمع المخابرات الإسرائيلية.

التزمت الحكومة الإسرائيلية بوعدها العلنى، بعد اعتقال بولارد، بحل الوحدة «الغبية» التى اشرفت عليه كجاسوس. إلا أن مجتمع المخابرات واصل العمل بطرق مختلفة للحصول على كل ما بدا حيوياً للأمن الوطنى. فعدل المجتمع تقييم العمل استطاع التصرف بلا لاكام. ولم يقلق الامريكيون كثيراً بهذا، لأنه من الطبيعى ان تلبى إسرائيل حاجاتها الدفاعية عن طريق التجسس، لكن الولايات المتحدة أصرت على ان تتعهد إسرائيل بعدم توظيف عميل داخل المخابرات الامريكية.

وفيما يتعلق ببولارد نفسه فقد شعر ان الإسرائيليين تخلوا عنه ليقضى حياته سجيناً، وشعر بالمرارة، لكنه ظل متحمساً فى تأييده ودفاعه، لكن إسرائيل لم تفعل أى شيء للدفاع عنه، فيما كان التعاون مع المحققين الامريكيين بعيداً عن الكمال، فان العقبة كانت ترمى إلى حماية آفيم سيلا والإسرائيليين الآخرين الذين وجهوا بولارد ـــ وليس الامريكى الذى وجهوه.

ومع هذا كان هنالك بعض الدعم السرى من مجتمع المخابرات، لمجموعة خاصة من المحامين الإسرائيليين، ورجال العلاقات العامة الذين جمعوا الأموال

للمساعدة في دفع نفقات آل بولارد القانونية، بل جرت بعض المحاولات غير الرسمية من قبل المحامين والأقارب لاستكشاف إمكانية مبادلة جواسيس مع اقتراحات بأن إسرائيل قد ترغب في الإفراج عن جاسوس سوفيتي أو أكثر ـ مثل شابتاي كالامانوفيش وماركوس كلينبرغ ـ مقابل بولارد. لكن لم يتضح كيف يمكن للولايات المتحدة ان تستفيد من مثل هذه الصفقة، وقد صدر تقرير سري في أوائل عام ١٩٩٠ بان جاسوساً غربياً مسجوناً في تشيكوسلوفاكيا يمثل جزءاً من مبادلة متعددة الأطراف، لكن كثيراً من الإسرائيليين ترددوا في الإفراج عن بولارد وجعله يعيش في إسرائيل كتذكير بمضايقة كبيرة.

ان الضرر الأكثر استمراراً والذي سببته فضيحة بولارد هو خلق صدع كبير بين إسرائيل واليهود الامريكيين، فقد حرص مجتمع المخابرات الإسرائيلية لسنوات طويلة على عدم مجابهة اليهود في أقطار أخرى بالقضية المؤلمة المتمثلة في ازدواجية الولاء. حيث ان تجنيد بولارد واستغلاله قد أفسد النموذج، وقد انزعجت الجالية اليهودية الامريكية لأن جيرانهم غير اليهود قد يعتقدون ان اليهود الامريكيين يحبون أكثر من الولايات المتحدة.

إذن، لماذا واجهت إسرائيل الستة ملايين يهودي في امريكا بهذا المأزق باستخدام بولارد هل هو الغباء؟ أم الغطرسة؟ أم الإهمال؟

لم تكن هذه الأسئلة الوحيدة التي ظلت بلا اجابة، حيث يقول مدير سابق للسي آي أيه: «لم أفهم أبداً لماذا استخدم الإسرائيليون بولارد؟ إنهم يحصلون على كل شيء مجاناً، هنا في الولايات المتحدة. فالإسرائيليون الموجودون في سفارتهم في واشنطن، لا يقومون فقط بالعزف على قيثاراتهم، وإنما يتحركون، يعملون كثيراً، يقابلون الناس. لكن ليسوا مضطرين لسرقة الكثير، لأن تسعين بالمائة يحصلون عليه يتلقونه من امريكيين اصدقاء ومتعاونين».

ان ظلال عدم الثقة التي القتها فضيحة بولارد بين الولايات المتحدة والمخابرات الإسرائيلية لن تزول بسهولة، لكن المشاعر الجريحة تخلي المجال دائماً أمام الحقائق الاستراتيجية والمصالح الوطنية. فعندما احتاج البلدان لبعضهما في أواسط الثمانينات، للتصدي لقضايا حساسة مثل إيران والرهائن وجدا قنوات جديدة للتعاون.

الفصل الثامن

لماذا .... ماكسويل ؟

•• قصة عالم الذرة الاسرائيلى فعنونو.. البحث فى أمريكا عن الشبح المجهول.. الصحافة العالمية تتغاضى عن أخطر سبق صحفى عن ترسانة اسرائيل النووية.. دور مشبوه لامبراطور الصحافة العالمية «ماكسويل».. الموساد يتحرك بسرعة وقبل نشر صور «فعنونو» فى الصانداى تايمز!

لماذا .... ماكسويل ؟

●● إذا كان بولارد قد جازف وجاسر بالتجسس على أمريكا بينما هو امريكى الجنسية من أجل ارضاء اسرائيل وتحقيق مصالحها فى الأمن والوجود.. ودون رغبة منه فى جمع المال من وراء هذا الدور المشبوه.. فماذا عن عالم الذرة الاسرائيلى «فعنونو» ؟!.

لقد هجر «فعنونو» دولة إسرائيل إلى استراليا.. وفجأة قرر أن يطلع العالم أجمع، ويشهده على الترسانة النووية الاسرائيلية التى تنطلق من مفاعل «ديمونا» حيث كان يعمل.. وحيث تمكن من النقاط العديدة من الصور التى تعد دليلا دامغاً وصارخاً على السياسة النووية الاسرائيلية التى ظلت سرا ألقت به اسرائيل فى بئر بلا أعماق!

وبينما كانت أمريكا تبحث عن «الشبح» المجهول الذى يقوم بتسريب أخطر وأهم أسرارها إلى اسرائيل.. حتى أطلق عليه العاملون فى المخابرات المركزية لقب «مستر إكس».. كانت صحيفة «الصاندى تايمز» التى تصدر فى لندن تفجر فضيحة مفاعل «ديمونا» الذرى فى اسرائيل.. من خلال الصور التى قدمها إليها العالم الاسرائيلى «الهارب» فعنونو. لقد كان «فعنونو» «وبولارد» كلاهما على قناعة تامة بأن مايقوم به من دور خطير هو نداء الضمير داخل كل منهما!

لكن المفاجأة المذهلة كانت فى موقف الصحافة العالمية من السبق الصحفى المثير الذى انفردت به «الصاندى تايمز» عن المفاعل النووى الاسرائيلى!.. وان كان الأمر قد أثار فضول وشهية جميع أجهزة المخابرات العالمية.. لقد اعترف أحد الكبار فى اجهزة التجسس الأمريكية بأن الكتاب الذى ألفه بيرين عن علاقة الفرنسيين بإقامة مفاعل «ديمونا».. وكذلك قصة «فعنونو» المدعمة بصور التقطها بنفسه اثناء عمله فى المفاعل.. الكتاب والقصة ــ كما يعترف المسئول النووى

الامريكي ــ اثبتا بما لايداع مجالا للشك أن اسرائيل قد تورطت بالفعل باللجوء إلى الحل النووى وخيار شمشون!

لكن دور الصحافة ظل مخزيا للغاية!

لقد تغاضت باقي الصحف الكبرى من متابعة القصة المثيرة أو التعليق عليها أو تحقيقها (!).

يقول أحد كبار موظفى البيت الأبيض تعليقاً على هذا الموقف الغامض من الصحافة العالمية:

«إننى لا أستطيع أن أصدق هؤلاء الناس. ليس هناك شيء (مهم) فى «التايمز» و«البوست» و«وول ستريت جورنال». إن جميع العاملين فى مجال ضبط التسلح أصيبوا بالذهول من تجاهل الأمر. وكان ذلك مثبطا لعزيمتى وعزائم أصدقائى المقربين فيها، إن قصة مذهلة ومرهبة تنشر ولا أحد فى الصحافة يبدى اهتماماً».

وكان بيتر هو نام المخبر الأول وكاتب قصة فعنونو، يعرف أن القصة هى أهم عمل قام به فى حياته المهنية، وقد توقع كل شيء إلا عدم المبالاة. فلم يتلق حتى مكالمات من الصحف الرئيسية فى الولايات المتحدة. وكان يعرف بالطبع أن الأمر كان سيختلف، لو أن موردخاى فعنونوا كان موجوداً بشخصه. لقد أعدت «الصانداى تايمز» حملة إعلامية منظمة للمساعدة على ترويج القصة. فكان يفترض أن يعقد مؤتمر صحفى فى يوم النشر نفسه (كانت الصحيفة ستعلن أيضاً ان فعنونو وافق على تأليف كتاب، وان حقوق التسويق بيعت لمجلة «شتيرن» الالمانية الغربية). إلا أن فعنونوا توارى عن الأنظار قبل الموعد بأسبوع ولم تتمكن «الصانداى تايمز» من إحضاره عندما كانت بأمس الحاجة إلى ظهوره».

كان فعنونو بالطبع قد وقع ضحية خداع المخابرات الإسرائيلية، فغادر لندن فى ٣٠ سبتمبر ووقع تحت اغراء السفر إلى روما حيث خطفه رجال الموساد. كان قراره بالابتعاد عن عالم الصحافة اللندنية جاء بعدما نشرت صحيفة «الصانداى ميرور» ثانى كبرى صحف «التابلويد» البريطانية، فى ٢٨ ايلول صورة له

سبقها نشر خبر معاد عنه فى الأسبوع السابق. ونسبت الصحيفة إلى مسئولين إسرائيليين زعمهم ان فعنونو طرد من ديمونا قبل عام «لمحاولته استنساخ وثائق» وأضاف الملحق الصحفى الإسرائيلى «لا يعمل فى مركز الأبحاث النووية فى إسرائيل»، ولم يعمل من قبل، أى عالم بهذا الاسم. إننى استطيع أن اؤكد أن موردخاى فعنونو عمل كتقنى مبتدىء فى لجنة الطاقة النووية (الاسرائيلية)». وكانت «الصانداى ميرور» قد هاجمت صدقية الصور التى قدمها فعنونو مشيرة إلى قول خبير بالأسلحة النووية لم تسمه أنها يمكن أن تكون قد أخذت فى «مصنع بيض». وتساءلت «الميرور» أيضاً عما إذا كانت رواية فعنونو «خدعة أو حتى ما هو أسوأ من ذلك. مؤامرة للتشهير بإسرائيل».

وقد كتب المقال تحت عنوان مثير «القضية الغربية لإسرائيل والمحتال النووى». والمحتال الذى يشير إليه العنوان على الصفحة الأولى، لم يكن فعنونو بل وكيله أوسكار جيريرو، وهو صحفى انتهازى من كولومبيا فى امريكا الجنوبية تصاحب مع فعنونو السىء الطالع فى يونيو بينما كان لا يزال فى منفاه فى استراليا. كان جيريرو هو الذى اقنع فعنونو بأن روايته والصور المدهشة التى فى حوزته تساوى مليون دولار. وبعد فشله فى إثارة اهتمام مجلة «نيوزويك» بالقضية، فاتح جيريرو.

إلا أن جيريرو الذى يبدو أنه خشى من ان يخرجه اتفاق فعنونو مع «الصانداى تايمز» من الصفقة أجرى اتصالات أيضاً «الصانداى ميرور» ـ المعروفة بأنها صحافة دفع الشيكات الضخمة ـ بينما كان هونام و «فريق التحقيقات بالعمق» فى الصانداى تايمز يحضرون قصتهم للنشر. كانت هذه المفاتحة بداية تدخل آرى بن مناشى وأجهزة المخابرات الإسرائيلية فى الموضوع.

لم يعلم هونام ومحررو «الصانداى تايمز» انهم بينما كانوا يعملون على إعداد ما سينشرونه، كان زميل لهم فى شارع الصحافة يدعى نيقولاس ديفيس، محرر الأنباء الخارجية فى صحيفة «الدايلى ميرور» الصحيفة الشقيقة لـ «الصانداى ميرور» يشى بفعنونو للاسرائيليين. كان صلة الوصل بين ديفيس والاسرائيليين آرى بن مناشى، فقد كانا معاً شريكين فى شركة دولية لبيع الأسلحة، كانت تعرف باسم «أورا ليمتد» وكانت تدار اعمالها من منزل ديفيس فى لندن منذ

عام ١٩٨٣، ووفقا لما ذكره بن مناشى فإن «أورا ليمتد» انشئت، كما هو العديد من مثل هذه الشركات السرية فى أنحاء العالم، بموافقة الحكومة الاسرائيلية وبهدف الحصول على اسلحة لحساب إيران. ويقول بن مناشى «كان ديفيس سندى الرئيسى فى كل صفقات الاسلحة مع ايران».

ولا تقان بن مناشى للفارسية عين فى نوفبر ١٩٨٠ فى مجموعة عمل صغيرة داخل أجهزة المخابرات الإسرائيلية لإقامة علاقات مع ايران التى كانت فى ذلك الوقت ـ مثل إسرائيل ـ منبوذة دوليا وتحتاج إلى أسلحة لمتابعة حربها مع العراق. وكانت مهمة بن مناشى ايجاد الطرق للالتفاف على حظر الاسلحة. وكان من الضرورى انشاء شركات واجهة وايجاد أشخاص يوثق بهم لادارتها. ويروى بن مناشى «كان لديفيس صديق فى الموساد»، وقد جرى لقاء غير رسمى فى لندن، فقبل ديفيس تلبية الدعوة لزيارة إسرائيل. وتلت ذلك بضع خطوات اصبح ديفيس بعدها ثروة إسرائيلية. ويقول بن مناشى إن ديفيس وهو كاثوليكى من شمال انجلترا كان الشخص المناسب. فهو لبق الحديث وحسن الملبس وله ذوق خاص فى الحياة المترفة.

وتضم ملفات بن مناشى مئات البرقيات والوثائق الأخرى التى تشير إلى ان «؟ اورليمتد» كانت نشطة فى تهرب الأسلحة إلى ايران على أعلى المستويات. وإحدى البرقيات التى أرسلت عام ١٩٨٧ إلى أية الله على أكبر هاشمى رفسنجانى تورد الشروط لبيع ايران اربعة آلاف صاروخ من طراز «تاو» بحوالى ١٣٨٠٠ دولار لكل منها. وتسمى البرقية المواطن البريطانى نيقولاس ديفيس كممثل لشركة «اوراليمتد» يملك «صلاحية توقيع العقود مع ايران» وتدور مجموعة وثائق أخرى حول جهود «أواليمتد» عام ١٩٨٧ لإقامة شركة اتصالات فى تاكسون فى اريزونا برئاسة روبرت واترز الذى كان مهندس صوت يعمل فى محطة تليفزيون جامعة اريزونا. ويتذكر واترز وهو خبير فى اتصالات الصوت عبر الأقمار الصناعية أنه عقد لقاءات عدة مع بن مناشى فى تاكسون، وأجرى مكالمات عديدة مع ديفيس فى لندن. ويقول «كنت أظن أن نيك هو الممول. هو كان ممثلا لـ «اورا» هناك». ولم يعجب واترز عندما علم أن ديفيس يعمل فى الصحافة، فهو يقول «لقد اتصل هاتفيا من مكان يبدو أنه غرفة واسعة مفتوحة

فيها جموع من الناس يتحدثون وعمليات ضرب على الآلة الكاتبة. ولطالما تساءلت عن طبيعة المكان».

واعترف ديفيس فى اتصال هاتفى معه فى لندن على رقم مسجل باسم «اورايمتد» بأنه يعرف بن مناشى، إلا أنه أنكر أى علاقة له ببيع الأسلحة. وقال لى «كل ما سأقوله لك هو أن تابع تحقيقاتك». وأضاف ان بن مناشى لم يكن له أكثر من مصدر اخبارى، «فهو يملك معلومات مذهلة». وقال إنه فى وقت ما بحث مع بن مناشى فكرة التعاون لنشر كتاب، إلا أن الناشر الذى مان يفكر فى التعاون معه لم يبد اهتماماً. وقال ديفيس ان بن مناشى يلفق عنه الروايات الآن كيدا. وحذر «إذا اطلقت مثل هذه المزاعم فى انجلترا فسوف اذهب لمقابلة محامى».

ولكن بالإضافة إلى البرقية المذكورة انفا، فان المزاعم التى ادلى بها بن مناشى تأكدت بصراحة من جانب جانيت فيلدينغ وهى ممثلة من لندن وكانت الزوجة الثانية لنيقولاس ديفيس من عام ١٩٨٢ وحتى عام ١٩٨٥، فقد قالت إنها كانت تعرف أن ديفيس يبيع الأسلحة بالشراكة مع بن مناشى فى الوقت الذى كان فيه محرراً للشئون الخارجية فى «الدايلى ميرور». وقالت فى مكالمة هاتفية إنها فى نهاية الأمر «تقززت» من نشاطات زوجها فى ذلك الوقت. واضافت «كان نيك يحاول أن يروى لى قصصا «عن نشاطه فى بيع الأسلحة) إلا أننى قلت له إننى لا أريد أن أعرف. ولقد انفصلت عنه بسبب ذلك».

وتقول انها تعرفت على ديفيس للمرة الأولى عندما كان صحفياً يكتب منتقدا لمجازر فى صبرا وشاتيلا خلال غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، «ولكنه بعدئذ بدأ علاقته بآرى». وتتذكر بصورة خاصة أنها قدمت لبن مناشى طعام الغذاء فى منزلها فى أواخر عام ١٩٨٤» وبذل جهدا كبيراً حتى عثرت له على مقانق «كوشر» (حلال على الطريق اليهودية)، إلا أن آرى لم يحبها».

وعند سؤالها ما إذا كانت تعرف ان بن مناشى كان عميل مخابرات إسرائيليا، ردت فيلدينغ بالقول «لم يكن من الصعب إستنتاج ذلك. هل تظن أننى غبية إلى هذا الحد؟ لقد أغلقت مسمعى وانسحبت من الزواج».

يقول بن مناشي إنه فور مفاتحة جيريرو لـ «الصانداى ميرور» بقضية فعنونو علم ديفيس بالامر، واتصل به هاتفيا على الفور إلى إسرائيل ليطلعه عما جرى. ويتابع «ولا أذكر بعدئذ إلا انني كنت على متن رحلة ليلية إلى لندن. كان أحد الحمقى من كولومبيا يعمل بائعا متجولا لبيع صور فى لندن. وقد رتب له نيك لقاء مع الصحفى الأمريكى «المشهور ــ أنا»، فى هذا اللقاء عرض جيريرو الذى كان متشوقاً لتحقيق صفقة بيع جديدة بعض الصور الملونة التى زوده بها فعنونو. ويروى بن مناشي ان مشكلته كانت أنه لا علم له بما اطلع عليه، ولم يكن يعرف أهميته. إلا أنه كان يعرف أنه لابد من عرض الصور على خبراء فى إسرائيل. ويضيف «قلت له إننى بحاجة إلى نسخ» فتمنع جيريرو «فقلت هل تريد بعض المال؟ يجب أن أتأكد من أنها حقيقية. وقلت له أن نيك يكلفنى». فسلم جيريرو نسخا من ثلاث صور كان فعنونو قد التقطها.

كانت قصة انشقاق فعنونو وقد انتشرت قبل اسابيع فى صفوف القيادة السياسية العليا فى إسرائيل. ويقول بن مناشي إنه جرت مناقشات فى شأن ما يجب اتخاذه من إجراءات، وبعض المسئولين طالب باغتيال فعنونو، إلا أن أجهزة المخابرات أوصت بتجاهله، لم يكن واضحا مقدار ما كان فعنونو يعرفه ولا حجم الضرر الذى يمكن أن يسببه تقنى مغربى المولد يشغل وظيفة صغيرة، كان شمعون بيريز هو من استبعد الاغتيال. ويقول بن مناشي «قال بيريز: لنجعل منه امثولة!».

وقد تلقى بن مناشي أوامر بعدم الاتصال بالسفارة الإسرائيلية، فشحن صور فعنونو إلى إسرائيل مباشرة، وهناك احدثت الصور حالة فوضى شديد. وابلغ إلى بن مناشي فى صباح اليوم التالى: «ان الصور حقيقية» كما قيل له أن بيريز شخصيا يتولى معالجة الموقف. وعلم بن مناشي أحد أسباب هذا الاهتمام بعد ذلك بأيام قليلة: فقد كانت هناك خشية من ان يكون فعنونو يعرف بان اسرائيل زرعت الغاما نووية على امتداد مرتفعات الجولان، وأنه قد يتحدث عن هذا الأمر كانت الالغام الأرضية قد زرعت فى أوائل الثمانينات، عندما كان فعنونو لا يزال يعمل فى ديمونا.

هذا الخبر كان وراء بدء عملية تضليل إعلامى كبرى نفذتها إسرائيل. ويقول

بن مناشى إن الغاية كانت « وقف كل شىء. وإذاعة الخبر بأن الرواية من صنع الخيال » . ويضيف بن مناشى إن ديفيس قدم مساهمته فى هذا المجهود فى « الصانداى ميرور » وذلك بالتعاون المباشر مع روبرت ماكسويل ناشر صحف مجموعة « ميرور » وهى أكبر مجموعة بريطانية لصحف « التابلويد » الشعبية ، وتضم « الدايلى ميرور » و« الصانداى ميرور » ، وقد قدم ديفيس اطارا لقصة فعنونو التى نشرت فى ٢٨ ايلول ، على حد ما يذكر بن مناشى ، ثم « حول الإطار إلى ماكسويل ، فقد كان تعامله مع ماكسويل مباشراً » . ويقول بن مناشى إنه فى إحدى المراحل نظم ديفيس اجتماعاً يضمهما وماكسويل فى مكتب الأخير فى الطريق التاسع . ويروى بن مناشى ان ماكسويل أوضح تماماً فى الاجتماع القصير أنه يعرف ما يجب أن يفعله فى موضوع رواية فعنونو، وقال بن مناشى « إننى أعرف ما يجب أن يحدث ، لقد تحدثت لتوى إلى رؤسائك » .

ويعرف ماكسويل ، وهو زميل عملاق الصحافة بيوبرت مردوخ ومنافسه ، بارتباطه بصلات وثيقة بالقيادة الإسرائيلية العليا . وقد أصبح فيما بعد مالكا لصحيفة « معاريف » اليومية الإسرائيلية ، كما أصبح لفترة قصيرة مالكا لمؤسسة « سايتكس » ومقرها إسرائيل وهى تتولى بيع أجهزة الطباعة ذات التقنية العالية . وبين كبار مديرى هذه الشركة بائير شامير وهو كولونيل سابق فى القوة الجوية الإسرائيلية وابن اسحاق شامير.

لم تكن للفريق الذى قام بجمع الأخبار لقصة فعنونو وتحريرها فى صحيفة « الصاندى ميرور » صلة بنيقولاس ديفيس ، فكل ما كان هؤلاء يعرفونه عن ديفيس أنه كان محرر الشئون الخارجية فى « الدايلى ميرور » . إلا أن ما كان يعرفه المخبرون الصحفيون هو ان القصة التى نشرت باسمائهم امليت باللهجة والمضمون من قبل رئيس تحرير الصحيفة مايكل مالوى . وقد جرت مناقشات حامية اصر فيها فريق المخبرين فى « الميرور » بقيادة طونى فروست على ان القصة الحقيقية ليست قصة جيريرو وتصرفاته الغريبة ، كما أراد مالوى أن يجعل منها ، بل قصة الصور التى جاء بها فعنونو، فمهما تكن مشاكل جيريرو فإن صور فعنونو قد تكون حقيقية . فإذا صح ذلك فإنها تكون قصة مثيرة حقاً . وقد أوصى المخبرون بأن « تفلش » الصور على الصفحة الأولى من الصحيفة وترافق القصة التى تثير

تساؤلات حول صحة الصور. إلا ان مالوى لم يقبل بنشر أى من الصور واصر على السخرية من فعنونو ومن «الصانداى تايمز».

وفى يوم الخميس السابق على موعد النشر حان أوان الجد عندما أمر مالوى فروست زميلاً له يدعى مارك سوستر بنقل الصور والمعلومات الخاصة بفعنونو إلى السفارة الإسرائيلية. وقد فهم جون باركر الذى كان فى ذلك الوقت يعمل نائبا بمالوى أن ماكسويل هو الذى أعطى الأمر. وكان باركر وزميلاه شديدى القلق على مايجره ذهابهم إلى السفارة على فعنونو. فقد يؤدى الأمر إلى اعتقاله وربما عرض حياته لخطر الاغتيال. إلا أن مالوى ابلغ إليهم أن «هذه إرادة رئيس التحرير» فاضطر موظفو الصحيفة إلى الاذعان.

وكان فروست وزملاؤه يعرفون أنهم لم يشتركوا فى أحلى ساعات الصحافة وهو يقول «لقد كنت آمل أن يأتى يوم وتنكشف حقيقة هذه القصة».

أما بيتلر ميلر، كبير محررى الأخبار فى «الصانداى ميرور» والذى طرده ماكسويل عام ١٩٩٠ (افروست أيضاً طرد بنتيجة الخلاف نفسه) فقد شكا غاضبا من أن معالجة الصحيفة لقصة فعنونو حورت بفضل الضغوط التى جاءت من فوق. ويقول ميلر «إن السياسة التى صدرت التعليمات إلينا باتباعاها كلفت «الصانداى ميرور» خسارة سبق صحفى عالمى».

ويعبر باركر الذى ترك «الميرور» عام ١٩٨٨ لينشر كتابا لاقى رواجا كبيرا عن قصة حياة دوق وندسور عن مرارته ازاء سوء التصرف فى قصة فعنونو. وفى رأيه «أن «الصاندى ميرور» كانت تملك أكبر قصة فى العالم فى ذلك الوقت وقد انهارت القصة بسبب الموقف الذى اتخذ منها. إن هذا نموذج كلاسيكى للتضليل الذى يتبعه الإسرائيليون».

ويعترف مالوى الذى طرد عام ١٩٨٨ من منصب رئيس تحرير «الصانداى ميرور» بأنه بحث طريقة معالجة قصة فعنونو مع ماكسويل، إلا أنه قال إنه «لم يكن هناك أى غرابة أو سرية فى تدخل ماكسويل. لقد اطلعت بوب على القصة بسبب علاقاته بإسرائيل. إن له اصدقاء ذوى نفوذ هناك وتربطه بهم علاقات وثيقة». وردا على الشكاوى التى عبر عنها باركر وميلر وفروست قال مالوى إنه

هو نفسه اساء تقدير أهمية صور فعنونو. ويوضح مالوى الذى يعمل حاليا ككاتب غير متفرغ وروائى «لقد بدا الأمر وكأنه ملفق» إلا أن مالوى يتذكر أن ماكسويل خز الذى أمر الموظفين بأخذ الصور إلى السفارة الإسرائيلية، ويقول «اعتقد أنه «ماكسويل» ربما قال: لندع الإسرائيليين يلقون نظرة عليها. وهذا مما حصل. لم يكن الامر كما لو أننا كنا نقدم الصور إلى عدو أجنبى».

واضاف مالوى إنه لا يستطيع أنه اقحم اسم ماكسويل عندما ابلغ ميلر وباركر وفروست بالموقف الذى يجب فى ضوئه معالجة القصة. ويقول إنه على الرغم من أنه لا يستطيع أن يتذكر بالضبط ما إذا كان قد لجأ إلى هذا الأسلوب فى قضية فعنونو فإن «ماكسويل كان عموما يتسلم مسودة عن الأخبار مسبقاً». ويعترف مالوى أيضاً أن من المحتمل أن ماكسويل كان يخفى عنه بعض الأمور عن اتصالاته الخاصة بالإسرائيليين أو غيرهم من مجموعة «الميرور» مثل نيقولاس ديفيس. ويقول مالوى إنه لم يكن يعرف شيئاً عن علاقات ديفيس بالإسرائيليين إلا أنه يصوره على أنه «من حاشية ماكسويل. فعندما يسافر بوب كان دائماً يسافر مع حاشية، وكان نيك جزءاً من تلك الحاشية». ويضيف مالوى أيضاً ان ديفيس «كان دائماً من نور رجال الاعمال. كان يبيع ويستورد إلى جانب عمله».

ويوضح مالوى ان ماكسويل «كان يعمل فى المخابرات اثناء الحرب، ولذلك فقد كان شديد المكر. فإنه كالن يعرف أكثر مما كنت أعرف فان من المحتمل تماماً أنه لم يخبرنى».

كان التحكم فى صحيفة «الصانداى ميرور» التى يملكها روبرت ماكسويل غير كاف، فقد بقيت «الصانداى تايمز» تعمل على قضية فعنونو، ولم تكن لاجهزة المخابرات الإسرائيلية أى نفوذ فى الدوائر العليا لـ«التايمز». ويقول بن مناشى «أولئك الاشخاص لم يكونوا من جماعتنا. ولذلك فقد سعوا للحصول على القصة الحقيقية». وكانت الخطوة التالية، العثور على فعنونو الذى كان لا يزال مختبئاً فى لندن، وايجاد طريقة لإخراجه من انجلترا. ويقول بن مناشى «لم أكن أعلم فى أى فندق كان يقيم. فسألت نيك أن يستطلع ويعرف لى أين هو. ففعل نيك ذلك وتمكنا من العثور عليه». وفى غضون أيام كان فعنونو المستوحش الذى

لم يكن يعلم شيئاً عن الألغام الأرضية، قد وقع فى فخ نصبته عملية الموساد سيندى هانين بنتوف وكان فى طريقه إلى روما.

وانتهت علاقة بن مناشى بالحادثة عند هذا الحد، إلا أنه استمر فى علاقاته التجارية مع ديفيس حتى اعتقاله فى نيويورك عام ١٩٨٩، وفى البدء سعى لاغفال دور ديفيس فى مبيعات الاسلحة، كما يقول أن على كل عميل مخابرات ناجح ان يفعل، إلا أنه قرر أن يبوح بالسر بعدما احجم ديفيس عن القيام بأى خطوة للدفاع عنه. ويقول بن مناشى إنه لو شاء ديفيس أن يتقدم لمساعدته لكان استطاع أن يبرهن للمدعين الامريكيين، أن بيع طائرات الـ« سى ١٣٠ » لايران كان قد أجيز من قبل الحكومة الإسرائيلية.

الفصل التاسع

نهاية عالم نووى !

«●● كيف كانت نهاية العالم الإسرائيلى النووى فعنونو؟

.. كيف دبرت الموساد مؤامرة خطفه وإعادته إلى إسرائيل .. ما هو السر الذى كتبه فعنونو على أحد أعضاء جسده؟ .. ولماذا سارعت الموساد بتقديمه إلى المحاكمة؟ .. سوف تظل قصة هذا العالم النووى تثير العديد من علامات الاستفهام عبر سنوات طويلة قادمة» .

نهاية عالم نووى !

المكان: ميدان بوسط لندن .

الزمان: الأربعاء ٢٤ سبتمبر ١٩٨٦ .

المشهد: فعنونو يسير فى روح عالية يتلفت مندهشاً من جمال العاصمة الانجليزية .. يسرى فى داخله احساس بالنشوة لا يقاوم .. فبعد أيام سوف يصبح اسمه على كل لسان فى جميع عواصم العالم .. سوف تنشر له الصانداى تايمز أوسع الصحف البريطانية انتشاراً قصة المفاعل النووى « ديمونا » مدعمة بالصور التى اشترتها منه الجريدة .. سوف يعرف العالم أجمع من هذه الخبطة الصحفية النادرة ان العالم الذى يعيشون فيه فوق فوهة بركان مدمر .. وربما كانت نهاية العالم من الشرق الأوسط . حيث إسرائيل صاحبة الترسانة النووية المذهلة !

يتوقف فعنونو قليلاً على مشهد مثير أمام أحد أندية الرقص حيث تخرج شقراء ساحرة الجمال .. لقد خطفت بصره من الوهلة الأولى .. دق قلبه بعنف .. شعر برغبة جارفة ، فى التعرف عليها .. اقترب منها بسرعة .. قدم نفسه إليها .. نظرت اليه ملياً .. شاب فى بدايات الثلاثين من عمره .. اسمه فى استراليا « موردى » .. وفى إسرائيل موردخاى .. أما هى فقدمت نفسها برقة ناعمة زادته اثارة ورغبة .. اسمى « سيندى » .. امريكية الجنسية .. أؤمن بالتحرر .. أسافر وحدى .. أفعل كل ما تهواه نفسى بلا رقيب !

وافقت « سيندى » على التنزه معه ! .. تقبلت غزله لها .. لكنها رفضت ان تسلم نفسها لرغباته .. ألح عليها فى أن تستمر علاقتهما .. على الأقل يتحدثان تليفونياً .. منحها رقه ومنحته رقها .. تواعدا على مزيد من المكالمات واللقاءات .

لم يكن فعنونو يعلم سر هذه الشقراء الحسناء .. كان فقط مدفوعاً إليها برغبة

يملؤها الاصرار.. عاد إلى منزله وشريط عمره الممتلىء بالأحداث لا يفارق عينيه.. منذ ان كان طفلاً صغيراً إلى اعتناقه اليهودية.. مروراً برغبته فى دخول المسيحية بعد هجرته إلى إسرائيل، وهجر كل ما هو يهودى فى حياته.. ووصولاً إلى نهايته التى لم يتوقعها للحظة واحدة!

كان شريط الذكريات عامراً بالأحداث والمشاهد والمواقف التى صنعت منه فى النهاية إسماً تتسابق اليه الصحف.. وتزخر به الكتب والمؤلفات.. ويزين به مؤلف كتاب «أمراء الموساد» فصولاً كبيرة تشرح كل المحطات الخطيرة التى كان يتوقف فيها قطار عمر «فعنونو».

ولد فعنونو فى المغرب فى عام ١٩٥٤، وهو الثانى بين سبعة أطفال لأسرة يهودية انتقلت من مراكش إلى إسرائيل فى أوائل الستينيات، عندما رتبت الموساد الهجرة السرية إلى إسرائيل. واستقرت الأسرة فى حى فقير فى بئر السبع، وكافح والد فعنونو، سالومون على تحقيق غايته، فأخذ يبيع الأدوات الدينية والمقدسة فى سوق بئر السبع، حيث يمتزج اليهود والعرب والبدو وينشغلون بالتجارة والحديث.

خدم فعنونو فى الجيش الإسرائيلى، حيث كان برتبة عريف، فى سلك الهندسة، وبعدئذ رسب فى السنة الأولى فى جامعة تل أبيب حيث أراد والده دراسة الفيزياء، وعندما كان فى الثانية والعشرين رأى إعلاناً فى الصحف يطلب «فنيين متدربين» وقدم طلباً لمركز البحوث الذرية، كاماج، فى ديمونا.

كانت المقابلة الأولى مع ضباط أمن المركز، الذين كانوا يعملون مع الشين بيت للتدقيق فى المتقدمين بالطلبات، وسألوه عن تعاطى الكحول والمخدرات وفيما إذا كان له قيد جنائى، وعن توجهاته السياسية، وأدرج على جدول الرواتب فى تشرين الثانى عام ١٩٧٦، وأرسله مركز ديمونا فى دورات مكثفة فى الفيزياء والكيمياء والرياضيات والانجليزية.

وبعد شهرين اجتاز امتحاناً، مثلما اجتازه تسعة وثلاثون من الخمسة والأربعين مرشحاً، وفى أوائل شباط ١٩٧٧ ركب باص الفولفو الرسمى ــ الذى يقل الموظفين يومياً إلى أعمالهم السرية ــ من بئر السبع إلى مجمع ديمونا لأول مرة،

وفى بناية صفوف دراسية داخل البوابات البالغة الأمن، طلب من فعنونو أن يوقع على تعهد بعدم كشف أية أسرار، وفق قانون يقضى بالسجن لمدة خمس عشرة سنة، إذا أفشى لأى شخص ــ وحتى زملاؤه الموظفون ــ عن واجباته فى ديمونا.

كان هنالك دورة قصيرة أخرى فى الفيزياء النووية والكيمياء، بما فيها دروس عن البلوتونيوم واليورانيوم اللذين سيعمل المجندون الجدد معهما، وخضع فعنونو والوافدون الجدد لفحوصات طبية وتلقوا تصاريح مرور أمنية، ثم قضوا عشرة أسابيع فى التعرف على المرفق وروتينه قبل البدء فى العمل.

عرف فعنونو بسرعة أنه أصبح عضواً خاصاً فى المجتمع، حتى وان لم يكن مسموحاً له بذكر السبب، وكما هو حال إسرائيليين آخرين، استدعى فعنونو للجيش لأداء الخدمة الاحتياطية لمدة شهر، لكن أعيد إلى البيت فوراً، عندما علمت وحدته أنه الآن يعمل فى مشروع دفاعى غير محدد، لكن مهم.

وكان عليه أن يجتاز امتحاناً شفوياً آخر فى مجمع ديمونا أمام لجنة من ثلاثة فاحصين، وأخبر فعنونو فى الساب من آب ١٩٧٧، بأول نوبة كاملة من واجبه، فقد كان «ميناحيل ميشميريت» أو (مدير نوبة بين ١١,٣٠ مساء حتى الثامنة صباحاً.

كان يمكن أن يظل فعنونو فى الظلام، مغموراً فى ردهات مجمع ديمونا، مثلما يعمل جميع العاملين المجهولين، لكن تغيرات مفاجئة فى شخصيته وضعته على مسار آخر، وكان التغير الأول عندما تنصل من تنشئته، فقد أصبح فعنونو علمانياً وقطع كل صلاته بأسرته المتدينة.

وكان التغير الآخر، والأكثر إثارة، بعد الغزو الإسرائيلى الدموى للبنان فى عام ١٩٨٢، فقد كان ذات يوم، مثل معظم المهاجرين المغاربة الآخرين.. صهيونياً قومياً يؤمن ببيجن وحزبه الليكود، لكن فعنونو شهد صحوة سياسية، وتحولت أيديولوچيته إلى اتجاه آخر، إلى الراديكالية.

أصبح عضواً متحمساً فى الجماعات اليسارية التى أفرزتها جامعة بئر السبع حيث التحق بدائرة الفلسفة وصادق طلاباً عرباً، بل قدم فعنونو طلباً للحصول على عضوية فى الحزب الشيوعى، مع أنه ترك خانة الوظيفة فارغة.

انضم إلى الحملة القوية التى طالبت بإطلاق سراح أحد أساتذته الذى سجن لأنه رفض الخدمة فى الجيش فى الأراضى العربية المحتلة، وهنا يستذكر الدكتور زيف تزاهور، وهو نشط سياسيا ومحاضر تاريخ فى جامعة بئر السبع، فيقول: «لقد كان استثنائياً حتى بيننا، معشر اليساريين فى الحرم الجامعى، فقد عكس إحساساً عميقاً بالحرمان».

وتبين أيضاً أن فعنونو غريب الأطوار عصبياً، فقد صوره زملاؤه فى الدراسة وهو يتعرى مع الموسيقى فى حفلة جامعية، وقد أصبح نموذجاً عارياً لطلاب الفن، والأخطر من ذلك أنه كان يحمل يافتات مع الطلاب الفلسطينيين فى عدة مظاهرات، وقد نَسبت صحيفة الجامعة لفعنونو قوله «عن اضطهاد العرب».

كان ينبغى لكل هذه النشاطات الاضافية أن تلفت انتباه عملاء الشين بيت، الذين يتعقبون الجامعات التى يعتبرونها تخريبية، ولو كانت اليد اليمنى للوكالة الأمنية تعرف ما تفعله اليد اليسرى، لأمكن الحكم على فعنونو بأنه مرشح مخيف للعمل المتعلق بالدفاع السرى، لكن شيئاً لم يحدث طوال شهور، وظل فعنونو يركب الباص الفولفو إلى ديمونا، واستمر عمله.

مع أواخر عام ١٩٨٥، علم ضابط الأمن فى ديمونا أن أحد موظفيهم ــ الذى تلقى أوامر بأن يظل صامتاً أو على الأقل غير فضولى ــ كان يكشف عن نفسه كناهض للمؤسسة، وتلقى فعنونو تحذيراً كى يتوقف، وعندما واصل طريقه غير المألوف، قررت السلطات الذرية إقالته. وحتى تتجنب آثاره أو فضيحة منه، لم تعتبره خطراً أمنياً، فدفعت لفعنونو بدل فصله من العمل وطردته مع ١٨٠ عاملاً آخرين فى عملية تقليص نفقات فى تشرين الثانى ١٩٨٥.

خلال شهر، باع فعنونو سيارته القديمة، وشقته الصغيرة، كما هو شأن كثير من الشبان الإسرائيليين الآخرين، انطلق فى رحلة طويلة إلى الشرق الأقصى، وعلى عكس الآخرين، الذين يعودون بعد بضعة شهور حافلة بالمغامرات، فى الشرق الأثير، وجد فعنونو نفسه فى موقف البحث عن الذات، قاده إلى التغيير الثالث فى حياته.

وصل إلى سيدنى، فى استراليا، فى آيار ١٩٨٦، ومساء يوم جمعة توجه نحو

أضواء كنيسة سانت جون الانجليكانية وأبوابها المفتوحة، وكان الأسقف جوا ملكنايت هناك وهو يستذكر ويقول: «دخل موردى، ونظر حوله، وتحدث معى، وأصبحنا صديقين».

وبعد شهرين، قام فعنونو بآخر خطوة، بعيداً عن طفولته وخلفيته فقد تحول إلى المسيحية، فكان ذلك طلاقاً كاملاً للدولة اليهودية.

وكما هو شأن شخص يرفض إعادة خاتم الزواج، فقد احتفظ فعنونو بقدر ضئيل من ماضيه فى جيبه، لم يخبر أحداً، لكن بعد ان أصبح صديقاً لشخص كولومبى شاذ اسمه أوسكار جيريرو، خرج سر فعنونو، وكان جيريرو صحفياً يعمل لحسابه، تخلى عن قلمه ودفتره لصالح فرشاة الرسم، وكان جيريرو يرسم سياج الكنيسة عندما التقى فعنونو به، وبعد أسابيع من الصداقة، كشف فعنونو سره، وقد أخبر جيريرو أنه يحمل فيلمين ملونين، منذ مغادرته لإسرائيل، ولم يكن يعرف ماذا يفعل بهما، لم يصدق جيريرو عندما قال فعنونو إنها صور التقطها سراً داخل مركز ديمونا الذرى خلال نوبات عمله الليلية.

أما الكولومبى، المدفوع بغرائزه وحلمه لتحقيق الأرباح، فإنه لم يكلف نفسه أن يسأل فعنونو، كيف قام بتهريب آلة تصوير داخل ديمونا، أو فيلمية خارج إسرائيل، وبدلاً من ذلك أعجب بفعنونو كدجاجة ستبيض ذهباً.

أقنع جيريرو الإسرائيلى، بأنه بالإمكان بيع قصته.. مقابل مبلغ من المال يكفيه طوال حياته، وقد أعجب فعنونو بالفكرة، وبعد صراع مع ضميره وتوصل إلى أن مشروع إسرائيل الذرى السرى لا أخلاقى وينبغى كشفه.

عين جيريرو نفسه «وكيلا» لفعنونو، واتصلا معاً، بعدة صحف عالمية لتحقق سبقاً صحفياً، لكن لم يشأ أحد ممن اتصلا بهم أن يصدق أن فعنونو كان موظفاً سابقاً فى أكثر مواقع إسرائيل سرية، فقد رفضت مجلة النيوزويك قصته، ورفضتها صحف استرالية محلية، إلى أن قررت صحيفة الصانداى تايمز اللندنية أن تجربه.

قامت الصحيفة، التى يملكها قطب الصحافة الاسترالى المولد روبرت مردوخ، بإرسال المراسل بيتر هومان إلى سيدنى ليقابل الإسرائيلى ويقيّم قصته المثيرة، ووجد فعنونو وجيريرو نفسيهما يلقيان معاملة سخية فى أفخم مطاعم سيدنى،

يجيبان على أعداد لا نهاية لها من الأسئلة إلى أن توصل هومان إلى استنتاجه، فقد تأثر هومان كثيراً، وهو يحمل شهادة الفيزياء، بعد أن أطلعاه على الصور بعد تحميض الفيلمين فى مختبر يقوم بالتحميض خلال ستين دقيقة، وقرر الصحفى البريطانى أن الأمر يستحق اصطحاب فعنونو إلى بريطانيا لمزيد من الاستفسارات، وعرض هومان حوالى خمسين ألف دولار بدل حقوق نشر القصة والصور، بما فيها نشرها فى كتاب.

لكن الصانداى تايمز، كأى ناشر آخر ذى عقلية تجارية، أرادت أن تستبعد الوسيط، فلم يرض هومان عن نمط جيريرو ومصداقيته المشكوك فيها.

فى ١١ أيلول ١٩٨٦، أخذه أصدقاؤه الاستراليون إلى مطار سيدنى ووعدهم بأنه سيعود خلال ثلاثة أسابيع وهبط هومان وفعنونو فى لندن فى الأسبوع التالى، ولم يكونا يعرفان أن جيريرو يتابعهما على طائرة أخرى، ولم يكونا يعرفان أن رجال الموساد يتابعونهما.

قبل بضعة أسابيع، تلقت الموساد رسالة من منظمة المخابرات الأمنية الاسترالية، حيث أرسلت ملفاً موجزاً عن إسرائيلى متورط فى شكل غريب من أشكال الاغواء: محاولة اغواء وسائل الإعلام لشراء قصة «سرية»، واعتقدت المخابرات الإسرائيلية أن الموساد قد ترغب فى المعرفة، وعندما علمت أن فعنونو كان متوجهاً إلى لندن، فقد أخبرت الوكالة الاسترالية جهاز إم آى ٥ البريطانى.

وأدرك مسئولو المخابرات الإسرائيلية أنهم أمام مشكلة وأن عليهم أن يتصرفوا بسرعة، فقام اثنان من عملاء الشين بيت بزيارة البرت، شقيق فعنونو، فى متجره وسألاه فيما إذا كان قد سمع شيئاً عن موردخاى، ودون أن يخبرا ألبرت بالسبب، قال أحد العميلين: إذا تلقيت رسالة من شقيقك، احضرها لنا.

ربما لم يكن محررو الصانداى تايمز يعرفون أنهم يخضعون للمراقبة، لكن لا بد أنهم كانوا يعرفون أن بين أيديهم قنبلة موقوتة. خائن إسرائيلى معه قصة لم ترو من قبل.

أعطاهم فعنونو أكثر من ستين صورة كان قد التقطها داخل مجمع ديمونا،

وداخل المبنى الذى أسماه «مأخون ٢» والكلمة تعنى مركزاً أو مرفقاً، والتى توحى بأنها مكان للتعلم أو مركز انتاج.

قال فعنونو أنه واحد من الـ١٥٠، من بين ٢٧٠٠ موظف فى ديمونا يحملون تصاريح أمنية لدخول ماخون ٢، الذى كشف أنه مصنع قنابل تحت الأرض ــ بسيط ونقى، وقال ان العلماء والفنيين الإسرائيليين يقومون تحت الصحراء باستخراج البلوتونيوم من قضبان وقود اليورانيوم بعد استخدامه فى المفاعل الذرى ذى القبة الفضية فوق الأرض. وقال فعنونو أن البلوتونيوم يستخدم فى صنع القنابل.

لقد كان العالم يفترض منذ زمن بعيد أن المفاعل، الذى كان يتم تصويره بين الحين والآخر، وعن بعد من قبل الملحقين العسكريين والصحفيين الأجانب الذين يتحدون الرقابة الصحفية، كان يستخدم سراً فى إنتاج قنابل ذرية بسيطة وقليلة وأظهرت صور فعنونو، التى التقطت داخل المجمع البالغ الأمن، لقطات قريبة للقبة المشهورة وأول دليل على أن إسرائيل تصنع أسلحة ذرية حرارية متطورة، ربما تشمل قنابل نيوترونية أو هيدروچينية، بسيطة لكن قوية بشكل لا يصدق.

وقدم فعنونو مخططاً مفصلاً لمستويات «ماخون ٢» غير المعروفة والمقامة تحت الأرض، وفوق الأرض ظهرت اليابسة كمستودع من طابقين، غير مهم، وقليل الاستعمال وقال إنها المفتاح لتطوير إسرائيل للأسلحة الذرية.

وقد سجلت آلة التصوير الدوارة جولة الممرات والمختبرات وغرف التخزين ولوحات التحكم. وفوق مجموعة من الأقراص المدرجة والشاشات والعدادات، توجد لافتة صغيرة كتب عليها بالعبرية «يهيدا ٩٥) أو الوحدة ٩٥، وقد أخبر فعنونو المراسلين البريطانيين ماذا يفعل كثير من الوحدات فى عملية فصل البلوتونيوم، وقد أظهرت الصور لوحات تحذير من «الاشعاع» كتبت باللغة العبرية، كما أظهرت حجرات عبارة عن قفازات مطاطية كبيرة أقيمت فى الجدران الزجاجية السميكة وتستخدم فى استلام المادة، كما أظهرت بعض الصور أجساماً معدنية قال عنها فعنونو إنها نماذج قنابل.

قال فعنونو إن الذين سمح لهم بزيارة المكان، من غير العاملين فيه، كانوا

كبار العسكريين ومسئولى وزارة الدفاع ورؤساء وزارة إسرائيل. وهنالك نقطة تفتيش تعرف داخل ديمونا باسم «شرفة جولدا» وهى الشرفة التى وقفت فيها جولدا مائير ورأت «قاعة الإنتاج» تحت الشرفة.

كل ما كان فعنونو سمعه، خلال أحاديثه مع زملائه الأكبر الذين كانوا يعملون فى المرفق الذرى منذ سنوات، اتفق مع التقارير التى ذكرت أن فرنسا بنت ديمونا للإسرائيليين، فقد حفر الفرنسيون الحفرة التى تحتوى على معظم ماخون ٢، وأقاموا معدات صنع القنبلة.

كما أشارت الحقائق والأرقام إلى أن مفاعل الـ٢٦ ميجاوات الذى قدمه الفرنسيون، فى أواخر الخمسينيات، قد زاد الإسرائيليين مقدرته ـــ إلى ١٥٠ ميجاوات.

وقد أيدت معلومات فعنونو شكوك الحكومات الأجنبية ووكالاتها الاستخبارية، والتى ترددت فى وسائل الإعلام العالمية، بأن إسرائيل تملك قدرة أكبر مما تعترف به. فقد تمت تغذية المرفق بيورانيوم إضافى تم الحصول عليه من شركة نوميك، وصاحبها زالمان شابيرو، فى اميركا ومن خدعة تحويل وجهة السفينة بلومبات فى البحر الأبيض المتوسط عام ١٩٨٦.

قام الخبراء والفيزيائيون الذين جندتهم الصنداى تايمز بدراسة الصور، وتحدثوا مع فعنونو وفكروا فى «نسب التدفق والمقاييس ودرجات الحرارة والبيانات العلمية الأخرى» التى يتذكرها. وكان استنتاجهم أن إسرائيل تستطيع بسهولة أن تكون صنعت مالا يقل عن مائة قنبلة خلال سنواته العشر التى قضاها فى ماخون ٢.

اقتنع فريق الجريدة، فقد كان فعنونو صادقاً ولا بد أن قصته ستكون عظيمة، لكنهم لم يفكروا فى الخطط الخفية لدى جيريرو من فرط غضبه من فعنونو والصانداى تايمز لأنها تخليا عنه، ذهب الكولومبى إلى صحيفة منافسة، الصانداى ميرور، وهو يحمل روايته الخاصة عن المعلوما الذرية، ولم تصدق الصانداى ميرور جيريرو أبداً، لكنها استغلته مع حفنة من صور فعنونو قدمها الكولومبى ـــ حيث اشترت قصته مقابل بضعة آلاف من الدولارات. لتنشر تعليقاً لاذعاً من صفحتين، سخر من الصانداى تايمز لأنها سقطت ضحية لفعنونو وهذا الهراء المباح!.

وتم استخدام إمكانيات إسرائيل الذرية كسلاح فى حرب توزيع باروني الصحافة البريطانية، نشبت بين صاحب التايمز، مردوخ، ومنافسه الكبير صاحب الميرور ماكسويل.

كان فعنونو غاضباً وخائفاً عندما رأى الصانداى ميرور، وصورته على الصفحة الأولى، وغضب من الصانداى تايمز لأنها ترددت مع القصة الحقيقية، وتأكد أن العملاء الإسرائيليين يتعقبونه.

حتى تزيل الصحيفة التوتر وتحميه، كانت تنقل فعنونو من فندق إلى الريف ثم إلى فندق من الضواحى إلى الغابات، وبعد بضعة أسابيع، إلى وسط المدينة، وفى يوم انتشار أمره كان يقيم فى فندق ماونتباين فى منطقة المسارح فى لندن، تحت اسم وهمى ولم يكن يعرف مكانه سوى اثنين من موظفى الصحيفة، وحاول الصحفيون تهدئته، لكنهم قالوا إنه لمصلحة معايير الخبر الجيد، سيحتاجون إلى ردة فعل إسرائيلية قبل نشر القصة فى الأسبوع التالى، وقالوا إن ذلك سيجعل روايته أكثر صدقاً.

فى ٢٣ أيلول، سعت الصانداى إلى رد من السفارة الإسرائيلية فى لندن، باعطائها ملخصاً لقصة فعنونو، فأصدرت السفارة نفياً كما حاولت تصوير فعنونو بأنه فنى صغير لايعرف شيئاً.

إلا أن السفير يهودا أفنر كان شديد القلق كما كان رؤساؤه فى إسرائيل كذلك، كانوا على وشك الإصابة بالسعار، مدركين لأول مرة، عمق ومدى ما كشفه الخائن الذرى.

قام رئيس الوزراء بيريز، الذى صدم لكن لم يستطع أن يفعل الكثير للسيطرة على المعلومات بعد أن تسربت خارج حدود إسرائيل، قام بالدعوة لاجتماع خاص لمحررى الصحف فى إسرائيل نفسها، وتوسل لهم أن يقللوا ـــ لا أن يؤكدوا ـــ من أمر القصة، عندما تنشر الصحيفة البريطانية روايتها، ووافق المحررون على التعاون.

كان يفترض ان الاجتماع سرى، لكن وصل إلى لندن خبر الاجتماع، والمقاومة، ان محاولة بيريز التقليل من شأن القصة كانت الدفعة النهائية لكشفها

إلى الدرجة القصوى، وافترض محررو الصانداى تايمز أن مناشدته لرؤساء الصحف الإسرائيلية لابد أنها تعنى أن القصة التى تعد فى لندن، مهمة جداً، فإذا كان رئيس الوزراء قلقاً، فلابد أن فعنونو كشف أسراراً حقيقية ــ بغض النظر عن نفى السفارة الإسرائيلية.

تشاور بيريز، فى الوقت ذاته، مع رابين وشامير فى نادى «رؤساء الوزراء» وقرروا أن يأمروا الموساد اعتقال فعنونو ــ حينما يكون ــ حتى يحاكم فى إسرائيل، وسيكون ذلك درساً لباقى السكان بأن أحداً لا يستطيع أن ينفذ بالخيانة.

لأن بيريز كان يعى حساسية رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر إزاء السيادة البريطانية، فقد تلقت الموساد أوامر بعدم انتهاك القانون البريطانى، وكان بيريز يعرف الضرر الذى يمكن أن يلحقه غضب السيدة الحديدية بالتعاون الإسرائيلى ــ البريطانى الذى كان واحداً من مشاريع بيريز الدبلوماسية الأثيرة.

لذلك كانت المهمة أصعب، فاختطاف رجل فى بلد أجنبى يكون صعباً عندما ينبه للخطر، حين يكون تحت الحماية، ويتم نقله إلى أماكن سرية كما أن حظر رئيس الوزراء اللامشروعية. جعل المهمة شبه مستحيلة، حيث قيدت أيدى الخاطفين.

إلا أن الموساد كانت تعرف أنها تستطيع الاعتماد على عنصرين: استعداد المخابرات البريطانية التعاون فى تحديد مكان وجود فعنونو ــ أو غض الطرف على الأقل ــ والعثور على الضعف البشرى لدى رجل يمكن استغلاله.

تم ارسال فريق من رجال ونساء إلى لندن للبحث عن الخائن الذرى، بل إن الموساد خصصت رجلين مع آلة تصوير فيديو للبحث عن فعنونو عند مدخل صحيفة التايمز الذى يتمتع بحراسة مشددة، فى وابينج، قرب أحواض السفن شرقى لندن. وكانت ضربة حظ ان اتحاد المطابع لمردوخ، والحراس كانوا معتادين على رؤية كثير من الفرق التليفزيونية التى تغطى احتياجات العمال لبرنامج أخبارى تليفزيونى، وقد تم تصوير فريق الفيديو الإسرائيلى نفسه، حيث ذكرت الصانداى تايمز أن آلة التصوير الأمنية سجلت رجلاً طوله ستة أقدام قال انه يغطى وضع الاضراب لاتحاد طلابى، ومعه زميل طويل الذقن لم يقل أى شىء.

لاحظ فريق الاستطلاع الإسرائيلى فعنونو وهو يغادر وابينج فى سيارة تاكسى، وتعقبه فريق أخر من الموساد مستخدمين السيارات والدرجات البخارية، ولم يواجهوا أية مشكلة فى متابعة فعنونو إلى فندقه. فأصبح من السهل أن يلازم العملاء الإسرائيليون فعنونو لظله حينما كان يذهب فى الأيام التالية، وعندما كان يسير فى ميدان ليستر يوم ٢٤ أيلول، كان الوقت مناسباً لارسال «سيندى» لتقوم بدورها.

كانت سيندى بالنسبة لفعنونو، هدية من السماء، فقد كان عصبياً جداً، وعبرت هذه العصبية عن نفسها فى الجوع الجنسى، وقد دأب الإسرائيليون بلا خجل على تعيين النساء فى فرق الموساد. أملاً فى أن يشبع رغباته، كان متلهفاً لرؤية الشقراء الأمريكية مرة أخرى، بعد اللقاء الأول. وفى اليوم التالى، اتصلت هى ـ لكن الصحيفة أيضاً، لترتيب جولة أخرى من الاستجواب ـ وعندما شكا فعنونو بأن لديه موعداً، قاده مراسل الصحيفة إلى موعده المحدد، فى تيت ليغاليرى، على الضفة الشمالية لنهر التايمز حتى يستطيع الإسرائيلى أن يقابل صديقته ويلغى موعده، ولاحظ المراسل أن المرأة الشقراء ترددت فى الاقتراب من السيارة.

وكانت المرة الأولى التى يلتقى فيها شخص غير فعنونو، مع سيدنى وجهاً لوجه، وقد قال الإسرائيلى الذى تردد فى الحديث عنها، إنها فنانة تجميل امريكية تقوم برحلة إلى أوروبا، كما علق فعنونو بألم بأن سيندى ترفض مضاجعته.

كان بينهما بضعة مواعيد فى الأيام التالية، واستغلالاً لشهوته الجنسية، واشمئزازه من تأخيرات الصانداى تايمز ثم الخوف من قصة الصانداى ميرور، قامت سيندى بإقناع فعنونو بأن ينسحب من القصة، وتجاهل النصيحة التى كان اصدقاؤه فى الصحيفة يقدمونها له من حين إلى آخر ألا يغادر البلاد، ألا يطير، ألا يدخل أى فندق يطلب منه إعلان هويته بإبراز جواز سفره.

إلا أن سيندى كانت حريصة على كل شىء، فقد دفعت ثمن تذكرتين إلى روما، من فئة رجال الأعمال، وبعد أن نسى مخاوفه من متابعة الموساد له، رافقها فعنونو إلى مطار هيثرو فى لندن وركبا طائرة الخطوط الجوية البريطانية رحلة ٥٠٤

يوم ٣٠ أيلول . وقبل أن يغادر اتصل بالصانداى تايمز وقال إنه سيغادر المدينة ووعد بالعودة خلال ثلاثة أيام ، لكن الصحيفة لم تسمع منه شيئاً بعد ذلك .

كما حدث فى عملية اغواء الطيار العراقى منير ردفة قبل عشرين سنة ، كانت العميلة الإسرائيلية تعد فعنونو بأن كل شيء سيكون على ما يرام عندما يصلان إلى بيت مأمون ــ وهذه المرة فى روما ، وكان يتوقع أن يحصل على كل ما يرغب فيه . وكان «بيتا مأمونا» لكن بالمعنى التجسسى المحترف لمأوى محمى ومجهول للموساد .

اختفى فعنونو عن وجه الأرض أربعين يوماً وليلة ، وفى التاسع من تشرين الثانى فقط أعلن سكرتير مجلس الوزراء الإسرائيلى ايلياكيم روبنشتاين : ان موردخاى فعنونو رهن الاعتقال القانونى فى إسرائيل بناء على أمر من المحكمة بعد جلسة حضرها محام من اختياره .

لماذا قرر نادى «رؤساء الوزراء» أن يؤكد بعد أسابيع من الصمت ، ان فعنونو معتقل؟ لقد هددت أسرته باللجوء إلى المحكمة العليا الإسرائيلية لأخذ الحقيقة من الحكومة ، وكانت إسرائيل قلقة من أن تؤدى التكهنات فى وسائل الاعلام ــ بأن فعنونو قد اختطف من الأرض البريطانية ــ إلى الاضرار بالعلاقات مع لندن ، فقد كان النواب البريطانيون يشكون ، وكانت سكوتلانديارد تحقق ، كما أن الصنداى تايمز نفسها ذكرت أن فعنونو قد اختطف ، حيث وضع فى الصندوق كمتاع دبلوماسى ، ونقل جواً إلى إسرائيل .

اختارت الحكومة الإسرائيلية الطريق الصعب ، وأعلنت أن فعنونو رهن الاعتقال بشكل قانونى مألوف ، وحتى تغطى آثار العملية السرية فى أوروبا ، سربت المصادر الرسمية فى القدس عدة روايات عن القبض عن الخائن الذرى . وكانت كل الروايات المُسربة تشترك فى عنصر واحد ، يرمى إلى حماية علاقات إسرائيل ببريطانيا : انه لم يحدث أى اختطاف على الأرض البريطانية ، وأنه غادر بريطانيا قانونياً وطواعية .

وذكرت إحدى الروايات المُسربة أن فعنونو كان على يخت مع عميلة موساد فى جنوب فرنسا ، ولم يتم اعتقاله إلا عندما وصل اليخت إلى المياه الدولية ، وقالت

رواية أخرى إن فعنونو طار إلى باريس حيث تم تخديره ونقله على طائرة العال من فرنسا إلى إسرائيل.

ظلت الحقيقة غامضة، مع أن القناع أزاحه المجرم نفسه، فقد أظهر فعنونو، حتى وهو رهن الاعتقال وقوة الاستجواب، أنه يملك معنويات عالية ولم ينهر أمام أمن الشين بيت. وقد وضع كف يده على شباك عربة الشرطة التى كان محاطاً فيها بحراسة مشددة. وأمام عيون وعدسات الصحافة العالمية كشف الخبر الذى كان على راحة يده الحقيقة، فقد كان مكتوباً عليها:

لقد تم اختطافى
فى مطار روما الدولى
يوم ۳۰/ ۹/ ١٩٨٦
الساعة ۲۱,۰۰
على الطائرة البريطانية ٥٠٤

لم يستطع فعنونو أن يفصل مأساته على راحة يده، وفى ظهوره فى المرات التالية أمام المحكمة كان يصل ويداه مقيدتان، شبابيك العربة مطلية بالسواد وعلى رأسه خوذة سائق دراجة بخارية حتى لاتستطيع الصحافة أن تسمع أية رسالة قد يصرح بها. وحتى عندما أخذت الشين بيت أقلامه الحبر والرصاص، وجد فعنونو ـــ وهو أمر آخـــر يثير الحيرة ـــ طرقاً أخرى لأخبار أفراد أسرته بأنه اختطف.

لقد رآه شقيقه مائير فى زنزانته ثم سافر إلى الخارج ليعرف الحلقات المفقودة فى اعتقال فعنونو: منذ نزول الطائرة البريطانية فى مطار روما، حيث أوقفت سيندى سيارة حملت الزوجين إلى عنوان أعطته للسائق عش حبهما المزعوم.

وعندما دخل الشقة، انقض على فعنونو رجلان إسرائيليان، طرحاه أرضاً بينما حقنته سيندى بمخدر قوى، وأضاف مائير فعنونو ان شقيقه تم تقييده، ونقل إلى ميناء ايطالى ثم نقل إلى إسرائيل عن طريق البحر وبعد أسبوع فى البحر الأبيض المتوسط وصل يوم ٧تشرين الثانى وكان مربوطاً على نقالة جرحى عندما أخذ إلى الشاطىء عند الفجر، وألقى به فى زنزانة بلا ضوء، وعلى أرضها فرشة بلا غطاء.

وعند التحقيق معه فقط من قبل الشين بيت، علم فعنونو أن الصانداى تايمز نشرت قصته، فقد كان مقيداً، فى البحر عندما نشرت الصحيفة عنواناً كبيراً على صفحتها الأولى: «أسرار ترسانة إسرائيل الذرية».

وأعقبته قصة فعنونو عن العمل الذى يدور فى ديمونا ومخطط تفصيلى للمرفق الذى رسمه واحد من راسمى الخرائط فى الصحيفة استناداً إلى وصف فعنونو لماخون ٢، الواقع تحت الأرض.

إن ما لم يستطع المتهم أن يعرفه، بينما كان على وشك مواجهة تهمتى الخيانة والتجسس وبينما كانت اسرته تعانى من ردة فعل جيرانهم القاسية، ان الصانداى تايمز كانت تحاول أن تسدد دينها لفعنونو بمتابعة القصة، وشعر موظفو الصحيفة بالذنب لفشلهم فى حماية مصدرهم الإخبارى الثمين.

كان يمكن، بل يجب أن يكون أمراً سهلاً، الحفاظ على فعنونو سالماً وسعيداً، فكان كل ما يحتاج إليه صحبة امرأة، وكان يمكن لصحيفة غنية وقوية أن توفر المومسات، وقد ناقش موظفو الصانداى تايمز تزويد الإسرائيلى برفيقة مدفوعة الأجر، لكن تقرر ان بالإمكان ان تعرف صحيفة منافسة، ذات يوم، ان مصدر القصة الكبيرة قد كوفىء برعاية جنسية وهذا أمر يمكن أن يضر بالصانداى تايمز.

اكتشف مراسلو التحقيقات فى الصحيفة ان السفارة الإسرائيلية فى روما استأجرت عربة فى بداية تشرين الأول، وأن عدد الكيلومترات التى سجلتها عندما اعيدت، اتفق مع المسافة إلى ومن ميناء لاسبيزا، فى روما. وكانت سفينة تجارية إسرائيلية تابوز، أو البرتقالية، موجودة هناك فى نفس الوقت، لكن بعد تحويلها من ممر بحرى آخر. ويدل ذلك على أن السفينة أعادت السجين المعتقل إلى إسرائيل.

خرجت الصحيفة البريطانية ببعض الأدلة المتعلقة بالظروف فى سعيها إلى معرفة المرأة المغوية غير المعروفة التى خدعت فعنونو، واكتشف الصفحيون ان «سى. شانين» كانت تجلس بجانب «أم. فعنونو» فى مقدمة الطائرة البريطانية المتوجهة إلى روما وان شيرلى شانين بن ــ توف، امرأة من امريكا تعيش فى إسرائيل ومتزوجة من ضابط فى المخابرات الحربية العسكرية، أمان، واستناداً إلى

صورة زفاف حصلت عليها الصانداى تايمز فإن السيدة بن ــ توف بدت متلائمة مع الوصف العام لسيندى، علماً بأن أخت زوجها فى فلوريدا تعمل فى التجميل، واسمها سينثيا (سيندى) شانين.

قد يبدو، من استئجار العربة، وتحويل وجهة السفينة، والهوية المستعارة من قريبة ــ ان الموساد تركت أثراً غير متقن عن الاحتراف لكن رؤساء المخابرات الإسرائيلية لم يكترثوا، فقد أصبح فعنونو فى السجن، ولا يهم أى شىء عدا ذلك.

لقد استطاعت الموساد أن تلقى القبض على فعنونو، بينما نفذت التعليمات بالبقاء على الجانب السليم للقانون البريطانى. وقد استطاع رئيس الوزراء بيريز أن يتصل برئيسة الوزراء مارجريت تاتشر ليؤكد لها أنه لم يتم انتهاك قوانين بلادها.

تبادلا الكلمات الحلوة وبدا أنهما سعيدان بالنتيجة المسلسلة لقضية فعنونو، لكن لم يعرف أى منهما أن تحت السطح مواجهة مرة كانت تنمو بين مخابرات البلدين.

بدا الصدام غير المألوف فى عام ١٩٨٦ عند اكتشاف ثمانية جوازات سفر بريطانية مزورة فى كشك هاتف فى ألمانيا الغربية، وقد تركها عميل مخابرات إسرائيلى مهمل، كانت حقيبته التى تركها مليئة بالوثائق المزورة وجواز سفر إسرائيلى حقيقى وأوراق أخرى تربط الحقيبة بالسفارة الإسرائيلية فى بون، واحتجت الحكومة البريطانية بشدة وحصلت على اعتذار من إسرائيل، وهو اعتراف ضمنى بأن مزورى الموساد اختاروا بريطانيا كواحدة من الجنسيات المزورة الكثيرة التى تزود بها الجواسيس الإسرائيليين.

أدين فعنونو بالخيانة والتجسس، وكشف أسرار الدولة، فى ٢٤ آذار ١٩٨٨، وقد رفض القضاة الثلاثة إدعاءه بأنه تصرف من منطلق أيديولوچى، ولكن القضاة كانوا يستمعون عندما قال «لست خائناً، ولم أقصد الاضرار بدولة إسرائيل».

وحكموا عليه حكماً متساهلاً نسبياً، السجن ثمانى عشرة سنة. إلا أن سحب الغموض لم تنقشع، فعندما رأى صورة شيريل شانين بن نوف، صرخ فعنونو قائلاً: تلك هى سيندى التى عرفتها. استنتاجات القاضى الإيطالى الشهير فى أمور

مكافحة الإرهاب دومينيكو سيكا، فبعد التحقيق فيما إذا كانت جريمة الاختطاف قد ارتكبها الإسرائيليون فى روما، ونشر الإنتاج المدهش فى أيلول ١٩٨٨ بأن فعنونو لم يختطف على الإطلاق.

قال قاضى التحقيق إن الكلمات الانجليزية المكتوبة على راحة يد الإسرائيلى، كانت مكتوبة بشكل جيد لا يمكن تصديقه، وأن صور مصنع القنابل فى ديمونا، التى استعارها سيكا من الصانداى تايمز لم يكن ليتم التقاطها إلا بتعاون رسمى، وبدا «وجود السائح» فى الممرات والمختارات دون أن يراه أحد أمراً غريباً لم يصدقه سيكا، الذى قال إن مثل هذه الأدوات والأقراص المدرجة لابد أنها تخضع للرقابة على مدار الأربع وعشرين ساعة.

أقنعت النتائج الإيطالية بعض الصحف والمجلات بأن فعنونو كان يدعى انه خائن وان إسرائيل هى التى رتبت كل القصة «عملية منظمة للتضليل» كما قال سيكا. وكان حكمه مثيراً للشك مثلما كان مناسباً فى الوقت ذاته. وقد فضل القضاء الإيطالى، الستار فيما ندر عن الاعتبارات السياسية، أن يسقط القضية كلها الآن، «عدم حدوث اختطاف» يعنى عدم الحاجة إلى تحقيق.

ان المخابرات الإيطالية والإسرائيلية تتصفان بتاريخ حافل بالتعاون الوثيق الذى يعود إلى الخمسينيات، فهل كانت مجرد صدفة ان الموساد اختارت روما كمكان لاختطاف فعنونو؟ فبينما كان رئيس الوزراء بيريز مصراً على عدم انتهاك أية قوانين بريطانية فقد كان جواسيس إسرائيل يشعرون بالحصانة فى إيطاليا.

لكن افتراضات سيكا أخذت على محمل الجد من قبل الصحافة العالمية التى شعرت أن المخابرات الإسرائيلية لابد أنها كانت ذكية بشكل غير معقول ـــ وليس غبية إلى حد السذاجة ـــ لتسمح لفعنونو بالخيانة. لقد واجهت وسائل الإعلام مشكلة فى تصديق أن بالإمكان سقوط الأجهزة السرية الإسرائيلية فى موقف الغباء، وافترضت الصحافة الأجنبية أن جواسيس إسرائيل قد استخدموا فعنونو فى مؤامرة متطورة لإخافة العرب بكشف ان إسرائيل لديها ترسانة ذرية. غير أن العرب وسائر العالم يدركون منذ زمن طويل ان إسرائيل تملك القنبلة، فتذكيرهم لا يفيد، بل يؤدى إلى سباق تسلح غير تقليدى، مع السوريين والعراقيين والليبيين الذين يسعون إلى تطوير أسلحة كيماوية، وحتى ذرية.

ان النتيجة المضحكة لفضيحة فعنونو تتمثل فى ان أكثر أسرار إسرائيل سرية ـــ موضوعها المحظور الذى لم يناقش فى أى منتدى يضم أكثر من عشرة أشخاص ـــ احتل فجأة الصفحات الأولى فى كل أنحاء العالم، بتفصيل واف، وأصبح عرضة للنقاش العام فى أى وقت ليس من اختيار الحكومة.

لم يكن لدى الشعب الإسرائيلى وقت أو ميل للتركيز على آثار الفضيحة حيث تحول الانتباه بسرعة إلى قضايا كان الإسرائيليون يعتبرونها أكثر علاقة بوجود الدولة اليهودية ـــ أمور زعم فعنونو أنها هى التى دفعته إلى تصريف: الاحتلال الإسرائيلى المستمر للأراضى العربية المحتلة والتحدى الذى تشكله القومية الفلسطينية.

فعنونو ٧.

الفصل العاشر

سر
مصرع الامبراطور !

●● لم يكن موت «ماكسويل» ـ اسطورة الصحافة العالمية ـ بعد نشر دوره المخزى فى كتاب «خيار شمشون» من قبيل المصادفة القدرية (!) .. البعض استبعد ان يكون الرجل الملياردير قد انتحر.. والبعض رفض.. بل وسخر من أن يكون قد مات غرقا.. بينما البعض الثالث يؤكد من خلال جثة ماكسويل وأوصافها وشهادات أهله واطبائه واسرته أنه قد قتل.. وهنا تشير اصابع الاتهام إلى الموساد الاسرائيلى !.

سر
مصرع الامبراطور!

التحقيقات فى موت «ماكسويل» تثير العالم كله يوماً بعد يوم.. لم ولن تنتهى تلك التحقيقات إلا بعد أن تنجلى كل الأسرار التى صاحبت موته الغامض فى عرض المحيط.. وجنازته المهيبة التى تقدمها كبار رجال الدولة فى اسرائيل حيث دفن هناك بين اشجار الزيتون!

التقارير العالمية الواردة من جميع وكالات الانباء تشير كلها إلى أن «ماكسويل» الذى ولد صعلوكا ومات «ملياردير» ربما كان فى طريقه قبل مصرعه بلحظات للقاء هام مع أحد أجهزة المخابرات التى ألمح إليها سيمور حرش مؤلف كتاب «الخيار شمشون».

وهذا تقرير خطير نشرته مجلة «المجلة» فى عددها الصادر فى ٢٠ نوفبر ١٩٩١ تحت عنوان:

هل قتله الموساد؟

يوم الجمعة الموافق ١٩٩١/١١/١ ابحرت «ليدى غزلين» من ميناء ماديرا بقيادة القبطان «جس رانكين» بعد اعتلاء ماكسويل اليخت الذى أمر قائد طائرته بالذهاب إلى جزيرة تنازيف.

كان على ظهر اليخت مع ماكسويل بالإضافة إلى القبطان الطباخ الخاص «بوب كيتنخ» وهو أمريكى الجنسية وستة بحارة وحارس خاص لماكسويل بالاضافة إلى شقراوين واحدة دانمركية تدعى سوزان كجار والثانية انجليزية اسمها «ليزا كورد السكى».

فى صباح اليوم التالى السبت الساعة ٨,٣٠ كان اليخت يرسو فى ميناء «فونشال» وبعد أن تناول ماكسويل طعام الافطار الخاص به غادر اليخت مشياً

على قدميه برفقه حارسه الشخصى فقط، الذى أوقف لمعلمه سيارة أجرة. ركب ماكسويل بجوار السائق وركب حارسه فى المقعد الخلفى. فقد رغب ماكسويل فى التفرج على معالم البلد، طافا المدينة من اقصاها إلى اقصاها. وتوقف ماكسويل عند بائع جرائد حيث اشترى نسخة من كل الجرائد المعروضة وعاد إلى اليخت الذى أبحر من جديد ليرسو مساء على شاطىء بوريس دى أبونا فى الجزيرة، وعاد ماكسويل مرة أخرى وذهب هذه المرة إلى كازينو تاماديرا للقمار، حيث لعب مدذ ساعتين على طاولة الروليت قبل أن يعود إلى اليخت، والمعروف عن ماكسويل أنه مغرم بلعبة الروليت وكثيراً مايؤم كازينوهات لندن، حتى أن البعض يسميه «نصف مليون دولار» لأنه يخسر مثل هذا المبلغ فى ليلة واحدة.

ظل اليخت حتى عصر الأحد فى ميناء فونشال، وفى الساعة الثالثة والنصف من ذلك اليوم أبحر إلى جزر الكنارى، وفى كل تحرك كان ماكسويل يطلب من قائد طائرته أن يسبقه إلى المكان الذى سيذهب إليه فى حالة طرأ طارىء يتطلب ذهابه إلى عمله فى لندن أو امريكا أو أى مكان آخر فى العالم.

ويوم الاثنين ١١/٤ وصل اليخت إلى ميناء سانتا كروز فى شمال تنازيف، وكان ماكسويل فى هذه الليلة على موعد مسبق لالقاء خطاب فى الجمعية البريطانية ـــ الاسرائيلية وهى جمعية يهتم بها ماكسويل كثيراً، وتقوم فيها زوجته بدور ونشاط كبيرين، علماً بأن اليزابيث ماكسويل مسيحية فرنسية تعرف عليها ماكسويل أثناء الحرب وتزوجها وأنجب منها سبعة أولاد، مات اثنان منهم، أحدهم بالسرطان والآخر فى حادث سيارة.

قامت زوجة ماكسويل بأخبار الجمعية قبل نصف ساعة فقط من بدء الاحتفال، بأن زوجها لن يستطيع الحضور شخصياً لأنه مريض، وسيقوم بالقاء الخطاب بدلاً منه ولده ايان. وكان ماكسويل قد أرسل بالفاكس نص خطابه من اليخت إلى مكتبه فى صحيفة الديلى ميرور.

كان ماكسويل سيعود مساء الثلاثاء إلى لندن، لذلك طلب من القبطان أن يبحر به مساء الاثنين إلى ميناء لوس كريستانوس فى جنوب الجزيرة، وطلب فى الوقت نفسه من قائد طائرته ان يسبقه إلى هناك.

يخت ماكسويل مزود بشبكة اتصالات تعمل بواسطة الأقمار الصناعية ويستطيع إدارة أعماله فى أى مكان من العالم من اليخت، وهو يخت تم بناؤه فى هولندا لحساب عدنان خاشقجى الذى لم يتسلمه: واشتراه ماكسويل عام ١٩٨٧، بعد أن أدخل عليه عدة تعديلات.

فجر الثلاثاء ١٩٩١/١١/٥ شوهد ماكسويل وفقاً لحديث بحارته يتمشى على ظهر اليخت فى تمام الساعة ٤,٢٧، وفى تمام الساعة ٤,٤٥ قال البحارة أنه اتصل بهم من جناحه الخاص طالباً اطفاء جهاز التكييف. وكانت هذه آخر مرة يسمعون فيها صوته على حد قولهم.

فى تمام الساعة ١١ ظهراً، جاءت مكالمة عمل مهمة من امريكا إلى ماكسويل، حولت المكالمة له على جناحه الخاص فلم يرد، مرة واثنين وثلاثاً، فذهب القبطان ومعه أحد مساعديه إلى جناح ماكسويل فلم يجداه، فأصدر القبطان أمره بتفتيش السفينة بحثاً عنه، إلا ان محاولاتهم باءت بالفشل.

فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً قرر القبطان أن سيده مفقود، فقرر إرسال نداء استغاثة بواسطة القمر الصناعى، هذا النداء التقطته محطة استقبال أرضية فى النرويج، فقامت النرويج على الفور بأخبار مركز السلامة البحرية فى مدريد. المركز أوضح أنه استلم الاشارة بعد الساعة الواحدة بقليل. وقام القبطان أيضاً بالاتصال بعائلة ماكسويل قبل أن يستقل قارباً صغيراً عند الساعة ١٢,٣٠، حيث ذهب إلى الميناء وأخبر مدير الميناء باختفاء ماكسويل.

فى تمام الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم عثر على جثة ماكسويل عارية تماماً وهى تطفو على سطح البحر، ووجهه إلى أعلى. وهذا شىء غير طبيعى فى حالة الغرق اذ تكون الجثة عادة فى معظم حالات الغرق طافية ووجهها فى الماء.

فكيف اختفى ماكسويل من على ظهر اليخت؟
وهل مات أم قتل أم انتحر؟

قد يمضى وقت طويل قبل أن تعرف الحقيقة. وقد لاتعرف أبداً. لكن الغموض يلف هذه القضية الغريبة لهذا الرجل الغريب الذى ولد فقيراً ومات امبراطوراً.

نشأ ماكسويل فى قرية صغيرة فقيرة فى تشيكوسلوفاكيا. لأب يعمل مزارعاً بالأجرة، وكان اسمه الذى أعطته إليه عائلته اليهودية المتزمتة «جان لودفيج هوج» كانت العائلة على درجة كبيرة من الفقر إلى حد أن ماكسويل لم يلبس حذاء إلا فى الثامنة من عمره. وقد قال بعد أن أصبح غنياً أنه لم يعرف الطفولة، ولم يدخل مدرسة فى حياته إلا لفترة ٣سنوات فقط لكنه كان ذكياً إلى حد كبير، فقد كان موهوباً فى الحساب واللغات والذاكرة، لدرجة أنه أصبح يجيد ٩ لغات منها الروسية والألمانية والفرنسية والانجليزية. ويقول ماكسويل بأنه فقد عائلته ابان الحرب حيث قتل النازيون معظم أفراد هذه العائلة، فأنضم إلى الجيش البريطانى وحارب فى صفوفه حتى أعطى وسام الشجاعة لأنه انقذ زميلاً جريحاً على خط النار. ويفتخر بأن مونتجمرى هو الذى قلده الوسام. چان لودفيج غير اسمه فى ذلك الوقت إلى اسم «ايڤان دمورييه» تسبة إلى نوع من السجائر كان يدخنها، ثم غير اسمه فيما بعد إلى «ليزلى جونز» قبل أن يستقر نهائياً على اسم روبرت ماكسويل. وقد انظم روبرت ماكسويل إلى المخابرات البريطانية فى برلين حيث عمل فى وزارة الخارجية، فى القسم الصحفى فى السفارة، وكانت هذه بداية تعرفه على عالم الصحافة والطباعة، قبل أن يغادر برلين إلى لندن، حيث أنشأ مكتباً للاستيراد والتصدير، ثم اقترض مبلغاً من المال اشترى به شركة صغيرة كانت تخسر، حيث نفضها وادارها باقتدار حتى أصبحت تدر عليه ربحاً جيداً، يقال، إن المبلغ الذى اشترى به الشركة وهو كبير فى حينه ١٣ألف جنيه استرلينى أنه اقترضه من أهل زوجته، لكن تبين الآن من ملفات المخابرات السوفيتية الـ«كى. چى. بى» أن ماكسويل كان يتقاضى مبالغ كبيرة من الاتحاد السوفيتى لحساب شركته تلك المصنفة فى موسكو بأنها شركة صديقة. مثلها مثل الأحزاب الشيوعية الأوروبية وغير الأوروبية. وفى العام ١٩٦٤ تقدم ماكسويل للانتخابات النيابية فى بريطانيا، وأصبح عضواً فى البرلمان عن حزب العمال لمنطقة «باكنهام» وظل فى البرلمان إلى عام ١٩٧٠. وكان مسئولاً فى عهد هارولد ويلسون عن مخازن شراب مجلس العموم. فقام بعملية أخذ فيها كل المخزون بثمن بخس لحسابه، وأبدله بمخزون رخيص فطرده ويلسون ولم ينجح فى الانتخابات. وفى عام ١٩٧١ حاول أن يدمج شركته بيرجاسون مع شركة أمريكية. وقدم كشوفات كاذبة تبين أن شركته تربح ربحاً أكثر من الواقع،

فقامت «دائرة التحقيق التجارى» الحكومية بالتدقيق والتحقيق فى الشركة فتبين لها عدم صحة الكشوفات، فقدمت تقريراً بأن ماكسويل كاذب ولا يحق له أن يكون مديراً لشركة عامة. وقد كتب التقرير يومها تونى بيفر، وأفلس ماكسويل، لكنه استطاع فيما بعد أن يعود ويشترى شركته التى فقد السيطرة عليها من جديد. وفى عام ١٩٨١ استطاع شراء «الهيئة البريطانية للطباعة والاتصالات» وكانت شركة همبرو للاستشارات ممثلة للهيئة. وتونى بيفر يعمل مديراً فى هذه الشركة فقال ماكسويل بأنه سيشترى الهيئة ويطرد بيفر من شركة الاستشارات، فقيل له إنك لا تستطيع أن تطرد مديراً فى شركة لا تملكها. بعد يومين اشترى ماكسويل الهيئة. وضغط على شركة همبرو قائلاً إما أن تطردوا بيفر أو أفسخ عقدكم، فطردوا بيفر.

كان شرساً فى تعامله مع معارفه وموظفيه، ذات مرة أقام مأدبة عشاء لكبار الصحفيين فى «الديلى ميرور» ولم تعجبه زوجة أحدهم كانت تجلس إلى جواره فأطفأ سيجارة فى كأسها بكل فظاظة.

كيف إذن كان ماكسويل يستطيع العودة إلى عالم رجال الأعمال من الصفر وأحياناً من تحت الصفر، حتى بلغت قيمة امبراطوريته حوالى خمسة آلاف مليون دولار قبيل وفاته، بعد ان اشترى مجموعة الديلى ميرور وأكبر مؤسسة نشر كتب فى أمريكا «ماكميلان» وأقدم صحيفة فى نيويورك «نيويورك ديلى نيوز» بالاضافة إلى ماكسويل كوميونيكشن، وصحيفة «الأوروبى» التى تطبع فى أوروبا وأمريكا.

يقال ان من يعمل جاسوساً مرة يبقى جاسوساً إلى الأبد.

سيمور هيرش الصفحى الأمريكى اليهودى الشهير والحاصل على جائزة بوليتزر أصدر كتاباً قبل شهرين اثار ضجة كبيرة، الكتاب بعنوان «خيار شمشون» قال فيه أن ماكسويل عميل للمخابرات الاسرائيلية «الموساد» هو ومحرر الشئون الخارجية فى صحيفته نيكولات ديفيس.

ماكسويل قال هذا هراء ورفع دعوى على هيرش وعلى الناشر «دار فابر» نيكولاس ديفيس أيضاً قال هذا كذب ورفع دعوى بتمويل من ماكسويل.

قال هيرش أن ديفيس زار تاجر سلاح فى أوهايو الأمريكية، وزار عميلاً للموساد وكان يعمل مع ضابط الموساد «آرى بن مناشى» رد ديفيس بأنه لم يذهب أبداً فى حياته إلى أوهايو، رد هيرش بصورة فوتوغرافية لديفيس مع زوجة الرجل الإسرائيلى فى أوهايو، فاعترف ديفيس بأنه زار أوهايو فعلاً ولكن لساعات معدودة فقط ذهب خلالها للصيد. فقامت الديلى ميرور بفصله من العمل.

ماكسويل حين انتخب عضواً فى البرلمان جرى تسجيله كنائب يهودى، فرفض ذلك وقال أنا مسيحى وقد غيرت دينى. وحين كتبت صحيفة الجويش كرونيكل اليهودية ذات يوم بأن ماكسويل يهودى بعث لهم قائلاً بأنه ليس يهودياً وأنه مسيحى وعضو فى الكنيسة الانجليكانية. لكنه كان قد أوصى فى حالة وفاته أن يدفن حسب الطقوس اليهودية، فى مقبرة يهودية على جبل الزيتون فى مدينة القدس، فأين هى الحقيقة؟

عام ١٩٨٦، وصل إلى لندن مهندس إسرائيلى اسمه موردخاى فعنونو، ومعه صحفى من كولومبيا، اتصل فعنونو الذى قيل أنه غير دينه اليهودى واعتنق المسيحية بصحيفة الصنداى تايمز البريطانية، عارضاً أن يكشف للصحيفة حقيقة برامج التسلح النووى الإسرائيلى بالصور.

إسرائيل قامت قيامتها حين كتبت الصنداى تايمز بأنها ستنشر قصة الأسلحة النووية الإسرائيلية، وكانت الموساد تبحث عن موردخاى فعنونو بلا هوادة، وكان طبيعياً أن تتصل بعملائها فى بريطانيا لمعرفة مكان وجوده. إذ خبأته الصنداى تايمز بسرية كبيرة فى أحد فنادق العاصمة البريطانية، والعثور عليه كان بمثابة العثور على أبرة فى مخزن هائل من القش.

من الذين اتصلت بهم الموساد نيكولاس ديفيس، الذى طلب منه ارى بن ميناشى الذى كان يعمل مع مكتب إسحق شامير مباشرة، وفى حالة عدم العثور عليه يتم تكذيب قصة فعنونو وأخباره ومعلوماته عن أسلحة إسرائيل النووية.

وقد أجرت الديلى ميرور اتصالاً به، ويقال أن ماكسويل على علاقة وثيقة بالأمر، فقامت الديلى ميرور بنشر تحقيق فى ٢٨ سبتمبر أعلنت فيه أن معلومات

فعنونو التى تقول بأن إسرائيل انتجت حوالى ٢٠٠ قنبلة نووية فى مفاعل ديمونا حيث عمل موردخاى فعنونو لسنوات طويلة كاذبة ولا أساس لها من الصحة مع صورة لفعنونو.

فى الأسبوع التالى نشرت الصنداى تايمز تحقيقاً مصوراً أظهرت فيه أن معلومات الفتى الإسرائيلى صحيحة مائة فى المائة.

فى تلك الأثناء وبعد أن نشرت الديلى مرور صورة فعنونو استدرجت عملية للموساد الفنى الإسرائيلى من فندقه فى لندن إلى روما فى إيطاليا حيث وضعته المخابرات الإسرائيلية فى صندوق وشحنته إلى إسرائيل. ليقدم بعد فترة للمحكمة التى حكمت عليه بـ١٨ سنة سجن.

اسحق شامير أعلن أن موت ماكسويل خسارة كبيرة لإسرائيل حيث قدم لها خدمات جلى على الصعيد الدولى وعلى صعيد الاستثمار وعلى صعيد المساعدة فى المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية.

حاييم هيرتزوج رئيس إسرائيل، قال عنه أنه رجل عظيم بكل المقاييس وابن بار لإسرائيل وقد مشت الحكومة الإسرائيلية برئيسها ورئيس وزراتها ووزرائها فى جنازته التى لا يقام مثلها إلا لرؤساء الدولة والحكومات.

ماكسويل الذى لم تعترف به المؤسسة البريطانية كانجليزى أصيل قال مرة عن إسرائيل «أنها بلدنا».

ويبقى موته ــ مشكوكاً فيه، فالرجل الذى يستيقظ صباحاً ويتناول أفطاره باكراً لماذا لم يطلب أفطاره فى ذلك اليوم، ولماذا لا يُسأل عنه من قبل بحارته ومن على يخته أبداً حتى الساعة الحادية عشرة عندما جاءته مخابرة عمل من أمريكا.

ولماذا هذا التضارب فى الأقوال! حاكم جزيرة تناريف قال فى بيان مكتوب أن الجثة وجدت شرق الجزيرة، ثم أعلن فيما بعد بأن الجثة وجدت فى الجنوب، فقال الحاكم معتذراً أسف لقد أخطأت، فكيف يزل لسانه وهو يقرأ من بيان مكتوب أمامه.

محامى ماكسويل الأسبانى قال إن زوجته تقول إنه ربما قتل وهذا أمر غريب، ثم عاد وغير موقفه وقال ربما.

وقيل فى أول الأمر انه انتحر بسبب الديون، وهذا أبعد شىء عن شخصية ماكسويل لمن عرفوه عن قرب، ثم قيل انه سقط فى البحر وظل يصارع الموت مدة ٤ ساعات فى الماء. ولما لم يجدوا ماء فى رئته، قيل لقد أثبت التشريح المبدئى أنه مات بذبحة قلبية قبل أن يسقط فى البحر، وسقوطه مشكوك فيه.

ثم قيل إن طبيبه الخاص نصحه بالراحة وأنه كان مريضاً ومكتئباً وقلبه غير معافى، فأعلن طبيبه الخاص جوزف جوزيف بأنه كشف على ماكسويل قبل أسبوعين من اعلان وفاته وكان صحيحاً ممتلئاً بالعافية وقلبه سليم تماماً ولم أنصحه بالراحة.

محرر الديلى ميرور قال إن ماكسويل اتصل به مساء اليوم السابق لوفاته ولم يكن مكتئباً بل كان منشرحاً كعادته.

وقيل إنه أصيب بضيق فى التنفس ناجم عن ذبحة قلبية خفيفة كما أثبت التشريح المبدئى، لكن الأطباء البريطانيين الذين لم يروا الجثة قالوا ان هذا لا يميت على الفور ولكنه قد يؤدى إلى الموت بعد فترة.

الدكتورة لويزا جارسيا كوهين المشرفة على التشريح تقول أن النتيجة النهائية لم تظهر بعد.

والثابت أن جثة ماكسويل عثر عليها على بعد ٢٥ عقدة بحرية من المكان الذى شاهده فيه البحارة على ظهر اليخت عند الفجر فى الساعة ٤,٢٥، ولما كانت سرعة اليخت ١٤ عقدة فى الساعة فهذا يعنى أن ماكسويل سقط أو أسقط فى البحر فى الساعة ٥,٢٥ فجراً مما يعنى أن جثته بقيت فى البحر ١٣ ساعة.

ولما كانت الجثة قد اكتشفت فى الماء عارية تماماً يوم ٥ نوفمبر وكان يوماً دافئاً ومشمساً فلماذا لم يتغضن جلده بسبب الماء ولماذا لم يظهر على جسده أى أثر للشمس بعد أن تعرضت الجثة لنور الشمس ١٣ ساعة متواصلة.

والأغرب من ذلك أنه لم يتم التعرف على الجثة رسمياً بأنها جثة ماكسويل حسب الأصول المعروفة، فقد طلب أن يتم فحص أسنانه لكن السلطات فى

الجزيرة الأسبانية رفضت ذلك بدوافع انسانية. فطلب أن تقارن بصماته، ولا يوجد لماكسويل بصمات محفوظة إلا بصماته فى الجيش التى مضى عليها حوالى نصف قرن، مما يجعلها غير واضحة تماماً.

ثم هناك قصة وجود يختين غير يخت ماكسويل فى مياه الجزيرة فى الوقت الذى لا يزور الجزيرة فى مثل هذه الأيام أى يخت من اليخوت الضخمة وقد قال شهود عيان من الصيادين أنهم شاهدوا هذه اليخوت كما شاهد أحد مندوبى محطة التليفزيون الأسبانية يختاً فخماً يرسو فى الميناء وأراد أن يصوره بعد أن تحدث مع القبطان لكن هذا الأخير رفض.

أحد الصيادين قال أنه رأى يختاً يتبع يخت ماكسويل كظله، فلماذا لم يذكر ذلك قبطان ماكسويل وبحارته الذين أحيط التحقيق معهم بسرية ومنعوا من الحديث مع الصحافة كما منعوا من مغادرة الجزيرة.

من الذى له مصلحة فى مقتل ماكسويل ولماذا تم تسليمه لدفنه بسرعة فى إسرائيل ولماذا لم يتم تشريح الجثة ككل. ولم يتم فحص أظافره وبعض الأعضاء الأخرى إلا بعد أن طلب ذلك. وإذا كان سقط من على ظهر اليخت لماذا لاتوجد فى جسده خدوش تذكر.

هل كانت حياة ماكسويل ستكشف أسراراً ورءوسا كبيرة ودوراً خطيراً للموساد خاصة وأن سيمون هيرش يقول بأنه لم يكشف من معلوماته عن ماكسويل الا عشرة فى المائة. ترى هل كان ماكسويل على موعد هام فى البحر المتوسط، أهم من موعده الذى يحرص عليه جيداً فى الجمعية البريطانية ــ الإسرائيلية، وفى هذا الموعد تقرر انهاؤه وأنهاء دوره حتى لاتكتشف أدوار أخرى كبيرة، وشبكات مخابرات كان ماكسويل بذاكرته العجيبة على اطلاع كامل عليها.

الفصل الحادى عشر

جـرائم الموسـاد
مع علماء الذرة العـرب
(١) سعيد السيد بدير وصرخة استغاثة !

•• لم يكن موت عالم الذرة المصرى الدكتور سعيد السيد بدير مجرد حادث نشرته الصحف فى أخبار الحوادث والجريمة بشكل عابر.. وتناوله البعض على أنه موت مفاجىء لابن مخرج مسرحى كبير.. كانت الابعاد كبيرة وخطيرة إلى أبعد الحدود.. فقد سبق للدكتور سعيد السيد بدير أن أعلن عن مخاوفه وقلقه البالغ من تعقب أجهزة الموساد له ورغبتها فى التخلص منه.. فما هى حكايته ؟ .

(أ) سعيد السيد بدير وصرخة استغاثة !

لقى الدكتور سعيد السيد بدير مصرعه فى منتصف عام ١٩٨٩ .. وفى ظروف بالغة الغموض والاثارة.. ولم يكن رأى العام العربى ليتقبل هذه الشجاعة التى اراد البعض ـ لسبب فى نفس يعقوب ـ أن يعلقوا عليها موت الدكتور سعيد.. فقد سرت شائعة تروج أن الفقير كان يعانى الاكتئاب وأنه ربما انتحر يأساً من الحياة !

لكن دلائل الحادث كانت شبه منعدمة .. والتدبير الماهر الذى تمت به الجريمة لم يترك مجالاً محدداً لإدانة أحد.. مما دعا النيابة إلى حفظ التحقيق.. لكن الاستاذين مصطفى بكرى ومحمد الألفى يطاردان الحدث الهام.. ويتابعان كل مايدور حتى بعد أن حفظت النيابة التحقيق فى الدعوى. لقد فجرت زوجة الفقير وشقيقه العديد من الأسرار المذهلة.. ولعلها تصبح ذات قيمة إذا سبقها كشف سريع لهوية الدكتور سعيد السيد بدير الحاصل على الدكتوراه فى الذرة !

سعيد السيد بدير من مواليد «روض الفرج» بالقاهرة فى «٤» عام «١٩٤٤م» وهو برتبة عقيد متقاعد ـ برتبة ضابط مهندس ـ فى القوات المسلحة المصرية.. حائز على العديد من الشهادات العلمية منها بكالوريوس فى العلوم العسكرية، وبكالوريوس فى الهندسة الكهربائية، ودكتوراه فى الهندسة الالكترونية من احدى الجامعات البريطانية. وعين بعد تخرجه فى الكلية الفنية العسكرية فى عام «١٩٧٢م» معيداً فى الكلية نفسها وحصل على درجة الماجستير.. ثم عين مدرساً مساعداً.. عن طريق المؤتمرات الدولية فى سن مبكرة، ودعى لعرض مقالات له ومداخلات هامة.. فى المؤتمرات العلمية شغل منصب رئيس قسم بحوث الموجات والهوائيات بإدارة البحوث بالقوات الجوية

المصرية.. وتركزت اهتماماته فى مجال الاتصال بالأقمار الصناعية والمركبات الفضائية خارج الغلاف الجوى.

وأمام هذه الحقائق التى اكتشفت فى وقت لاحق.. كان لابد من إعادة فتح التحقيق مجدداً لاسيما وأن شخصية الفقيد، إضافة إلى عدد من الشواهد باتت تؤكد أنه اغتيل غدراً.. ولم ينتحر.. وهذا ماترويه زوجته. تقول: «ماحدث لزوجي الذى أثق أنه لم ينتحر.. يرجع إلى أنه كان يعد لبحث خطير، يستطيع من خلاله كشف شفرات الاتصالات بين سفن الفضاء والأقمار الصناعية فى الاجواء.. كان يقول لى دائماً خلال وجودى معه فى ألمانيا حيث كان يعمل.. لقد توصلت إلى نتائج فى أبحاثى.. لن يصل إليها الألمان قبل عشر سنوات.. كما نعيش حالة من الهلع الشديد خلال الفترة الأخيرة.. تعرض سعيد لمضيقات متعددة من علماء آخرين معه فى ألمانيا بسبب نبوغه وكان من المنتظر انتهاء عقد عمله مع جامعة ديسبروج بألمانيا الغربية فى «٣١» ديسمبر المقبل.. غير أنه قرر انهاء عمله فى «٣٠» يونيو، بعد التشاور مع رئيسه فى العمل البروفيسور انجوفولف وقبيل ذلك بفترة من الوقت كان قرر عودتى والأولاد (محمد ٦ سنوات واحمد ٥ سنوات) إلى مصر، وعدنا بالفعل يوم «١٤» ابريل الماضى.. بينما لحق بنا سرا يوم ٩ يونيو وتستكمل الحديث:

بعد عودته روى لى سعيد أن عددا من رجال الأمن والمخابرات الأجنبية حاولوا منعه من صعود الطائرة المصرية التى استقلها فى طريق عودته للقاهرة، دون أى مبرر قانونى.. ولم ينقذه من أيديهم سوى قائد الطائرة الذى زجرهم بشدة.. مؤكداً أن الطائرة جزء من الأراضى المصرية، ولا يجوز بالتالى انتهاك سيادتها، أو خطف أحد ركابها..».

وتواصل الزوجة روايتها: «خلال وجودنا بألمانيا.. تعرضنا لعمليات ترهيب شديدة، خاصة بعد رفض زوجى تخصيص أبحاثه لصالح بعض الجهات الأجنبية، التى استخدمت معه كافة السبل لاغرائه.. لكنه أبى وخص مصر بأبحاثه جميعها.. وبسبب ذلك تعرضنا لالغاز عديدة، كنا نعود للشقة التى نقطنها.. فنلحظ بعثرة أوراقه.. وعبثاً بمحتويات الشقة.. كنا نجد الكتب وقد انتقلت من مكانها لمكان آخر.. وجدت كذلك آثار أصابع فوق احدى الخزائن المرتبة.. حالة من القلق

أعترتنا أثناء النوم.. كنا نستيقظ على أصوات غريبة.. نضيء الأنوار فنجد المقاعد وقد انتقلت من موضعها.. الصور المعلقة على الحائط نفاجأ بها معلقة فى مكان آخر غير مكانها الأصلى.. أشباح خفية كانت تطاردنا.. صرنا نمزح لنتغلب على مخاوفنا.. ولكن فى أحد الأيام، بينما كان سعيد يعبر أحد الشوارع.. كادت سيارة مسرعة أن تدهسه.. وتوالت المكالمات الهاتفية على المنزل.. ومضمونها واحد.. الرضوخ أو التصفية».

وتضيف چيهان: «عندئذ أدرك سعيد أن الهدف هو قتله.. بعد أن فشلت محاولات تطويعه. فاتخذ قرار عودته ــ السرى ــ ولم يخبر أحداً بهذا القرار سوى رئيسه واستاذه فى العمل انجوفولف.. وللتمويه لم يأخذ معه سوى حاجياته الضرورية.. حتى لايلفت الانتباه إلى أنه سيغادر نهائياً.

وبعد عودته لمصر.. طلب سعيد فى اتصالاته مع المسئولين استثمار ابحاثه العلمية وتطبيقها فى مجال التصنيع الالكترونى، كما اضطر إلى تأسيس شركة لتصنيع الالكترونيات هدفها استغلال الأبحاث واطلق عليها اسم «بدير كونستلنت جروب» وقد انهالت عليه العروض للمساهمة فى الشركة. وشعر أن بعض الجهات الأجنبية اصيبت بانزعاج شديد بسبب تأسيسه لها. وخاصة أن مهمتها تعلقت بإجراء الأبحاث الدقيقة فى مجال الأقمار الصناعية والسفن الفضائية، والتجسس الفضائى.

وعندما تزايدت حدة المخاطر التى تعرض لها سعيد بدير، بعث برسالة استغاثة إلى الرئيس حسنى مبارك الذى تربطه به علاقة قديمة. حيث كان الرئيس استاذاً له خلال دراسته فى الكلية الجوية.. واستمرت العلاقة بينهما لفترات طويلة وقال فى رسالته التى طلب فيها توفير الحماية له:

«إن بعض أجهزة المخابرات الألمانية تطاردنى.. للسيطرة علىّ، ودفعى لتقديم معلومات عن القوات الجوية المصرية..» وكان من الواضح أن الرسالة وصلت متأخرة..

ويبدو إذن أن أصابع الاتهام تشير إلى تلك الجهات التى راحت تطارد الدكتور سعيد، وإذا كانت أجهزة مخابرات عديدة سعت لتطويعه للعمل معها.. فإن

المستفيد الأكبر من وراء تصفيته هو «إسرائيل».. وجهاز «الموساد» الذى ضم إلى عملياته القذرة.. ملف اغتيال سعيد السيد بدير. بعد أن تمكن فى فترات سابقة من اغتيال العديد من العلماء المصريين النابغين. وهكذا جاء تقرير الطبيب الشرعى «بالاسكندرية» ليؤكد أن سعيد بدير قتل ولم ينتحر، والأخطر من ذلك هو ما تردد عن القبض على أربعة عناصر من «الموساد» فى الاسكندرية عقب الحادث بوقت قصير.

اضافة جديدة على ملابسات الانتحار المزعوم:

ليس من المعقول أن ينتحر المرء بثلاث وسائل دفعة واحدة.. كما أشيع عن العالم المصرى الدكتور سعيد بدير.. فقد اشيع عنه أنه فتح أنبوبة البوتاجاز. بعد ذلك قطع شرايين يده.. واخيراً قفز من الطابق الثالث من العمارة رقم «٢٠» شارع طيبة ــ الاسكندرية.

ومع مرور الوقت التفت العقلاء إلى طريقة الانتحار. طريقة لا يقبلها عقل أو منطق. ألم تكف وسيلة واحد. للخروج من الدنيا إذا كان حقاً يكره الحياة؟

إن إنبوبة بوتاجاز واحدة تكفى لخنق أسرة بأكملها. والموسى يقطع الشرايين والأعناق والأمعاء ويكفى لذبح الإنسان الواحد عدة مرات.

والقفز من الطابق الثالث فا فوق.. يكفى بلوغ هدف أى منتحر.. وهو أسلوب ينطوى وحده على فكرة الموت «٣» مرات.. واحدة وهو يقف على سور الشرفة مدركاً أنه ميت.. ميت بعد أقل من ثانية. ومرة أخرى وهو نازل فى الجو محدق العينين. والثالثة ونافوخه يطرطش على الأرض كوعاء طعام منثور.

إن العالم المصرى، الأب جداً، الزوج جدا، الطيب جداً، المتدين جداً،

لا يمكن أن يختار العنف مع نفسه طريقاً للموت! ولا هو أصلاً كان يريده فى ذلك الوقت المبكر ــ شأن كل إنسان طموح.

يختاره كيف وقد ذهب أساساً إلى الاسكندرية ليعد العدة للسفر إلى «سنغافورة» التى تعاقدت معه على العمل بها نظير «١٤٤» ألف دولار خلاف المسكن والأثاث والسيارة والحماية الأمنية.

يختاره كيف ؟ وهو عاشق بكل معنى الكلمة : لله .. ثم لأسرته .. ولعمله ؟

يختاره كيف وهو يعرف قدره العلمى ، وموهبته الفذة ، ويعرف بإحساس العالم العاقل أن « بحثه العلمى الاخير» سيكسر الدنيا ويحدث ثورة فى العالم ..

لسنا أمام قضية (ابن فنان) فحسب ، نحن حيال «ابن مصر» والعرب .

عالم من الطراز الأول . حقق لبلده انجازات علمية أثارت غيرة وحسد زملائه من العلماء الألمان .. وجهات معادية أخرى .. لذلك صدر القرار السرى باغتياله لئلا تستفاد من خبراته العلمية أمته العربية .

فقرات من آخر خطاب كتبه بخط يده وأرسله للسلطات المصرية :

- **كنت أحس دائماً بمن يراقبنى أو يتابعنى فى معظم الأحيان .**
- **ليست لى أية علاقات اجتماعية أو غير اجتماعية بأى ألمانى أو عربى أو مصرى فى ألمانيا غير الاتصال ببعض الزملاء المصريين للاطمئنان ومعرفة الأخبار.**
- **لا أذهب إلى أى بارات ولا أشرب ولا أدخن ، ولا أتعاطى شيئاً غير الأكل ولا أغادر منزلى بعد السادسة مساء .**
- **لم يحدث أن ارتكبت أى مخالفة (حتى عبور مشاة) طوال الفترة التى قضيتها فى ألمانيا .**
- **لا أذهب إلى أى من المساجد ، والتى يتم فيها بعض النشاطات تحت ستار الدين .**
- **حاولت بعض أجهزة الاستخبارات الألمانية الغربية أخذ معلومات منى عن القوات الجوية المصرية .**
- **زادت التهديدات ضدى عندما عزمت العودة إلى مصر.**

(٢) د . يحيى المشد
ونساء الموساد !

•• كان للدكتور يحيى المشد باع طويل في الابحاث النووية .. وساهم في انشاء المفاعل النووى العراقى الذى دمرته اسرائيل .. لذا كان هدفا محدداً للموساد الاسرائيلى للتخلص منه في اسرع وقت .. وبالفعل كانت النهاية البشعة في باريس مدينة النور والنار.. حيث كان هناك في نفس الآونة الصحفى المصرى عادل حمودة .. وهذا بعض مما سجله الصحفى المصرى الذى تابع الحادث عن قرب .

(٢) د . يحيى المشد
ونساء الموساد !

في تلك اللحظات .. كنت هناك قابعا في حجرتي الواقعة في فندق يطل على الحي اللاتيني .. حيث نهر السين ، ومتحف اللوفر .

كانت الصحف العربية المهملة على الفراش تتحدث عن إعلان حالة الطوارىء على حدود مصر الغربية .. ونسب لمتحدث رسمي أمريكي أن ذلك لا يشكل تهديداً مباشراً ضد ليبيا .

ولم تشر الصحف إلى زيارة نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد والتخطيط المصري الأسبق الدكتور عبد الرازق عبد المجيد لفرنسا لتوقيع عقد مترو الأنفاق مع نظيره الفرنسي رينيه مونوريه .

ولم تشر أيضاً إلى وجود الدكتور المشد في باريس . ولو كانت قد أشارت ما كان ذلك لفت نظري .. فحتى ذلك الليلة لم أكن أعرفه .. ولا سمعت عنه .. ولا رأيت ـــ من قبل ـــ صورته وهذا قدر العلماء .. لا تعرفهم إلا إذا ماتوا .. ونعرفهم أكثر إذا انتحروا أو قتلوا .. ثم إننا نفضل العوالم لا العلماء .. فتاريخنا يكتب على « واحدة ونص » .

أما التليفزيون فكان يعرض فيلماً فرنسياً قديماً ـــ تدور أحداثه في السيرك .. ويلعب دوراً بارزاً فيه جميل راتب .. وقبل أن ينتهي الفيلم كانت حياة الدكتور يحيى أمين المشد ـــ عالم الذرة المصري النابغة ـــ قد انتهت .

جرت المشاهد الأخيرة فى الغرفة رقم «٩٠٤١» فى فندق الميرديان.. بيلوليفار جوفيون، سان كير، الفندق تملكه شركة الخطوط الجوية الفرنسية (اير فرانس).. مبنى على طريقة الفنادق الامريكية.. حوائط جاهزة.. حادة.. ارتفاع واضح.. تصميم صارم.. مصاعد سريعة خاطفة.. مدخل كبير.. واسع يمتلىء بعدد يصعب حصره من مقاعد جلدية وثيرة.. لا تهدأ فيه الحركة.. ولا فرق هناك بين الليل والنهار.. بين الكافتيريا والبار.. بين النزلاء والغرباء.. بين الوجهاء والاشرار..

ويفضل الشرقيون فندق الميرديان.. وقد نقلوا إلى إدارته الكثير من العيوب.. مثل (البقشيش) الذى يصل إلى حد الرشوة.. والخطأ المتعمد فى فواتير الحساب.. والإهمال الذى لا يختلف كثيراً عن المؤامرة.. والنزلاء هناك خليط من الأثرياء، والدبلوماسيين، والتجار، والصحفيين، ورجال الأعمال، ونجوم السينما.

وكل شىء فيه مباح.. متاح.. حتى اللغة العربية.. فعندما تبرز النقود، يتنازل الفرنسيون عن غطرستهم الشهيرة.. ويتحدثون لغة الشيطان.. ويعمل اللبنانيون فى أماكن الفندق الحساسة: الحجز.. خدمة الغرف.. البار.. المطعم.. والملهى الليلى.. ويمكن طلب اطباق (حلال) مذبوحة على الشريعة.

وفى الوقت نفسه تتساهل إدارة الفندق مع فتيات المتعة (الحرام).. وتسمح لهن بالتواجد فى الفندق دون خوف إذا كن يعملن تحت إشرافها.. كما أن عاملة التليفون لا تتردد فى خدمة النزلاء.. باحضار عاهرات بالتليفون من شركات الرقيق الأبيض والاسر المتخصصة فى التوصيل من الباب إلى الباب. ولمزيد من السرية فإن الغرف مبطنة بعازل وكاتم للصوت.. أى أنها غرف مناسبة للخطيئة وللجريمة معا.. لم يجمع هذه المعلومات ـــ والكلام ما يزال للصحفى الموهوب عادل حموده ـــ إلا بعد حادث الدكتور المشد.. فمسرح الجريمة منها لا يمكن فصله عنها.. ولا يمكن فهمها بدونه.

لا نعرف ما إذا كانت هذه هى المرة الأولى التى ينزل فيها الدكتور المشد فى فندق الميرديان أم أنه فى زيارته السابقة لباريس «١٩٧٩م» أقام فيه؟.

زوجته السيدة زنوبة (زيزى) على الخشخانى قالت لى: إنها غير متأكدة فهى

لا تهتم بمثل هذه الأمور.. ثم إن «زوجى عاد من رحلته الرسمية الأولى من باريس سالما فلم أسأله أين كان يبيت؟».

إدارة الفندق قالت فى البداية: إن د. المشد «زبون معتاد» وإن كان غير شهير.. أى أنه يأتى فى صمت.. ويذهب فى صمت.. فلم يثر وجوده الانتباه.

لكن.. الكمبيوتر أنكر ذلك. فقالت الإدارة: الكمبيوتر أصدق!

وحسب ذاكرة الكمبيوتر التى غذاها جواز السفر فإن المعلومات المؤكده:

الاسم: يحيى أمين المشد.
المهنة: دكتور.
محل الميلاد: بنها.
تاريخ الميلاد: ١١/١/١٩٣٢م.
محل الإقامة: الإسكندرية.
العينان: عسليتان.
الشعر: أسود.

الأقرباء المقيمون بمصر للرجوع إليهم عند الاقتضاء: أحمد المشد «شقيقه» شركة العبوات الدوائية ــ القاهرة.

تاريخ الوصول: ٧ يونيو ١٩٨٠م.
نهاية الإقامـة: ١٣ يونيو ١٩٨٠م.

أى قبل ٦ ساعات من اغتياله تقريبا.. لكن طلب مد فترة الإقامة فى الفندق ٣ أيام أخرى حتى ١٦ يونيو.

وقال مدير الاستقبال:
إن لقب المشد هو الذى لفت نظره.. فقد عجز عن نطقه.

لم يختر د. المشد فندق الميرديان.. وإنما اختير له. كان فى الفندق بمفرده.. مع أنه جاء من بغداد إلى باريس برفقة مهندس عراقى شاب يعمل معه فى

مؤسسة الطاقة الذرية العراقية.. فقد نزل المهندس الشاب ـ طبقا للوائح البروقراطية ـ فى فندق أقل درجتين.. أى فندق ثلاث نجوم.

وفى تواضع.. لم يجد د. المشد ما يمنع الانتقال إلى فندق رفيق الرحلة.. لكن التعليمات هى التعليمات.. والروتين يجب احترامه مهما كان الثمن.. وهكذا بقى د. المشد وحيدا فى غابة الميرديان. وهكذا أيضاً سهلت اللوائح البيروقراطية اغتياله.. وشاركت ـ بنية حسنة ـ فى مؤمراة التخلص منه.

وفيما بعد.. سأل المرافق العراقى الشاب:

س: هل هناك سبب محدد لاختيار فندق الميرديان؟

ج: كلا.

س: هل كان د. المشد يفضل النزول فيه؟

ج: لا أعتقد. فهو رجل ليست له مطالب خاصة، والفندق بالنسبة له مجرد مكان للنوم، والراحة، والطعام.

وحسب ما نقلته الصحافة الفرنسية عن مصادر الشرطة.. فإن الدكتور المشد كان صارماً مع نفسه.. شديد الاستقامة.. حريصا فى عمله.. يعطيه معظم وقته.. لا يعرف السهر.. لا يميل إلى المرح.. لا يدخن.. لا يشرب الخمر.. زوج مستقيم. رب أسرة طيب.. يفضل النوم مبكرا.. متعته الكبرى الطعام.. وإن كان لا يتقبل المطبخ الفرنسى بسهولة.

يوم اغتياله، عاد إلى الفندق فى حوالى السادسة والثلث مساء.. كان يحمل فى يده أكياساً من البلاستيك الملونة.. لو كان لنا الحق فى فتحها لوجدنا فيها «فستانا» و«جونلة» وساعة يد ماركة «جوفيال» وجوارب نسائية مصنوعة من النايلون.. لا جدال أنها كانت لزوجته وابنته لمياء.

بدا واضحا أن المطر سبب له بعض الازعاج.. فقد كان يمسح رأسه ـ الذى كشف الصلع أغلبه ـ بيده.. كما أنه لم يتنبه إلى ابتسامة فتاة الاستقبال عندما سلمته مفتاح الحجرة وصحيفة ورسالة من عاملة «التليفون» وهرول كعادته فى اتجاه المصعد.

لم ينتبه أيضاً.. إلى أن هناك من سبقه إلى المصعد بمجرد أن رآه يدخل الفندق.

كان هذا الشخص امرأة.

بدقة أكثر.. امرأة ليل

اسمها مارى كلور ماجال.. عمرها «٣٢ سنة».. ملامحها وثيابها تدل على حرفتها.. وهى معروفة بترددها على الفندق.. وعلى النوادى وعلب الليل المجاورة.. وتشتهر باسم «مارى اكسبريس» ولا نعرف سر التسمية وإن كان من السهل استنتاج التفسير.. فإما أنها اكسبريس فى التقاط الزبائن. أو فى التخلص منهم.

أمام المصعد اقتربت كثيراً من الدكتور المشد.. وبصوت فاحت منه رائحة الإغراء حيته:

ــ بنسوار.. مسيو.

لم يرد:

كررت المحاولة

هز رأسه بسرعة.. ثم ادار رأسه فى الاتجاه البعيد عنها.. وانشغل بمتابعة لوحات الإعلان التى تتحدث عن برنامج السهر فى النايت كلوب.

جاء المصعد.. أفسح لها الطريق.. دخل بعدها.. ركز بصره على صور «فوتوغرافية» ملونة معلقة على جدران المصعد.. أما هى فقد راحت تصلح ثيابها الداخلية فى محاولة مكشوفة لاقتناصه.. وعندما فشلت.. لم يبق أمامها سوى أن تعرض نفسها عليه بصريح العبارة:

ــ إنك جذاب يا سيدى.

هكذا.. قالت:

ثم.. أضافت:

لا تتردد فلن تندم!

وأخيراً.. وجدت نفسها تقول:

لا تشعرنى بالإهانة!

لم يفتح د. المشد فمه.. وإن كانت حبات العرق قد انفجرت فى رأسه، واستقر

بعضها على وجهه .. والمؤكد أنه في ورطة .. أو فى مصيدة .. لكنه بدا عاجزاً عن التصرف .. ولم ينقذه سوى وصول المصعد إلى الدور التاسع .. على أنه قبل أن يفلت ، كانت العاهرة قد سارعت باغلاق الباب ، وضغطت على زر الهبوط .

انفجر غاضباً .. حاول ايقاف المصعد .. فشل .. هبط المصعد إلى « اللوبى » .. ضغط على زر الدور التاسع .. كان حريصا متحفزا هذه المرة .. وصل المصعد .. فتح الباب .. خرج مسرعا .. جرت خلفه .. امسكت ثيابه .. نزع نفسه منها .. توقفت .. بدت عليها علامات الخوف والحزن معا .

قالت مارى ــ اكسبريس لرجال الشرطة أثناء التحقيق :

ــ اننى لم أذهب إلى غرفته !

س : لماذا ؟

ج : لأنه لم يستجب لى !

س : ألم تكتمل المحاولة ؟

ج : كلا وقد دخل إلى غرفته وحده .

س : ماذا فعلت بعد ذلك ؟

ج : انتظرته فى الممر .

س : لماذا ؟ وقد رفضك ؟

ج : قلت فى نفسى لعله يغير رأيه !

س : لكنه كان متشدداً فى الرفض !

ج : مثلى لا يجب أن تستسلم لليأس !

س : هل بقيت فى الممر أم حاولت الاقتراب من باب الغرفة ؟

ج : اقتربت من باب الغرفة .

س : لماذا ؟

ج : سمعت ضجة فى الغرفة !؟

س : هل كان هناك شخص فى الغرفة ؟

ج : نعم !

س : كيف عرفت ؟

ج : اعتقد ذلك !

« الرجا عدم الازعاج » .. والعبارة شهيرة ، تطبع على ورق مقوى ، ويضعها زبائن الفنادق الكبرى ، على أبواب الغرف عند الضرورة .. أو عند الحاجة للراحة .

وقد لاحظت عاملة النظافة المختصة بالدور التاسع لفندق الميرديان أن لافتة « عدم الازعاج » معلقة على مقبض باب غرفة الدكتور يحيى المشد ، فلم تشأ أن تزعجه .. وانصرفت وهى تدفع عربتها المستطيلة ، المملوءة بالمناشف ، وأكياس الشامبو ، وقطع الصابون ، وأدوات النظافة على أن تعود فى الوقت المناسب .

بعد ساعات عادت عاملة النظافة لتجد اللافتة مكانها .. لم تتزحزح .

كان عليها أن تفكر كثيراً فيما خطر على بالها .. لكنها .. لم تفعل .. وحسمت ترددها .. وأدارت مقبض الباب .. ودهشت عندما وجدت الباب يفتح بسهولة .. وصرخت بكل ما فيها من قوة وفزع عندما دخلت الغرفة ورأت ما رأت .. وبعد أن تمالكت نفسها ، سارعت بطلب المساعدة .. ثم .. كان من السهل أن تأتى الشرطة .. بعد ذلك .. فى ثوان .. وكانت الساعة الثانية والنصف ظهراً .

كان المشهد الذى اثار فزع عاملة النظافة الشابة .. كالتالى :

جثمان الدكتور المشد ملقى على الفراش ، وقد غطى رأسه بغطاء سميك .. كان يرتدى ملابسه الكاملة .. وربطة عنق .. وجوربا .. الثياب نفسها التى كان يرتديها عند دخوله الفندق .. على حد اعتراف آخر شهود العيان ، مارى كلود ماجال .. العاهرة .

الرأس مضروب ضربتين بآلة حادة .. الدماء تغطى الشعر والوجه والثياب والفراش .. وبعضها كان على السجادة .. وعلى الحائط .. فى الحجرة حقيبة كبيرة للثياب .. وأخرى صغيرة للأوراق ، ماركة « سمسونايت » .. مفتوحة وملقاة بإهمال على الأرضية .. بجانب أكياس من البلاستيك ، مطبوع عليها اسم متجر « لافايت » واضح أنها لم تمس ..

فى الحجرة أيضاً .. أوراق مبعثرة .. منها تذكرة طائرة .. صور فوتوغرافية .. قصاصات من صحف .. مذكرة باللغة الفرنسية مكتوبة على الماكينة الكاتبة .. وبجانب الفراش عدد من الكتالوجات الملونة .. واضح أن أحداً لم يقترب منها .

وضعت الشرطة يدها على كل هذه الأشياء.. كاحراز.. بما فى ذلك الثياب.. الوسادة.. غطاء الفراش.

وفيما بعد...

بعد حوالى السنة، وضعت هذه الاحراز فى حقيبة الثياب، وارسلت إلى وزارة الخارجية المصرية، التى حولتها إلى إدارة التركات ببنك ناصر.. التى استدعت زوجته لتتسلمها.. لكن.. المدير العام للبنك جمال الدين لبيب استبعد كل الأشياء الملوثة بالدم، عندما وجد الزوجة على وشك الانهيار..

على أن الزوجة لاحظت أن سوار ساعة يد زوجها الذهبية، قد استبدل بآخر.. من الصلب، فصرخت:

هذه سرقة:

وكان من السهل إقناعها أن السرقة حدثت فى فرنسا لا فى بنك ناصر؟

ولاحظ البوليس الفرنسى عند المعاينة أن النقود لم تسرق.. رغم أن من الواضح أن تفتيشا ذاتيا قد جرى للدكتور المشد بعد أن قتل.. ومن ثم.. أن مفكرته الشخصية قد سرقت.

وفى الكتب الأجنبية التى أشارت إلى الحادث أنه كان يحمل حوالى «٢٦٠٠» فرنك فرنسى، وجدت كما هى..

سجل التقرير المبدئى للمعاينة.. أن القتيل عمر ٤٨ سنة.. اسمر البشرة.. شرقى الملامح.. يزن حوالى ٨٥ كيلو جراما.. يميل إلى البدانة.. متوسط الطول.. الصلع يزحف على أكثر من نصف رأسه.. ليس فى جسده علامات مميزة.

وجاء فى التقرير.. ان القاتل كان فى الحجرة عندما دخلها القتيل.. الذى فوجىء به.. فقاومه بشدة.. وظهرت آثار المقاومة على رقبة وثياب القتيل، الذى عولج بضربات شديدة على رأسه.. ثم كتمت أنفاسه بغطاء الفراش حتى فاضت روحه.

ولم يستبعد التقرير أن القتل كان بمعرفة أكثر من شخص.. لكن.. لا أحد جزم بذلك.

ولم يلحظ أحد أن الباب به آثار استعمال للعنف.. إلا إنه اتضح ــ فيما بعد ــ أنه فتح عنوه، بواسطة سيخ رفيع جداً من الصلب.

ولاشك فى أن الجانى هو الذى وضع لافتة «عدم الإزعاج» بعد ارتكاب جريمته.. مما أخر اكتشافها.. وهذا يعنى أنه قاتل محترف.. مدرب.. هادىء الأعصاب.. لايعرف الارتباك.. يجيد التصرف عند المفاجأة.. يفكر بسرعة.. ويتصرف أسرع.

بل.. أكثر من ذلك.. ترك الجانى وراءه، متعمدا، منشفة حمام «بشكير» لوثت بمساحيق نسائية، من باب إرباك الشرطة، وتحويل التحقيق إلى اتجاه بعيد، وخاصة أن جرائم القتل لاسباب غرامية تأتى فى المقدمة فى فرنسا.. وقد التقط البوليس الفرنسى الطعم.. فكان أن بادر أحد رجاله معلقا على ما وجد:

«علامة رومانسية».

ثم.. ابتسم فى شماتة..

على أن هناك ــ على ما يبدو ــ ثمة علاقة بين منشفة الحمام والعاهرة التى طاردته حتى حجرته.. وراودته عن نفسها بكافة وسائل الإغراء المفضوحة.

لكن..

أين هى مارى كلود ماجال حتى نعرف الحقيقة؟

بعد حوالى.. الشهر.. بالتحديد فى ١٢ يوليو.. ذهبت مارى كلود ماجال إلى بار «يولد.نايفى» فى «بوليفار سان جيرمان».. وعندما غادرت المكان، كانت ــ على حد ما جاء فى كتاب القنبلة الإسلامية ــ إما «فى حالة سكر، أو أنها تناولت مخدرا.. لأنها كانت بالكاد قادرة على السير».

كانت تترنح.. وتتمايل.. وتبدو غير قادرة على الرؤية بوضوح.. أو تقدير ما حولها.. ويقال إنها ارتطمت فى طريقها بسيارة.. فغضب السائق، وهو يعمل فى محطة بنزين... فدفعها بعيداً.. وألقى بها إلى عرض الطريق.

في تلك اللحظة .. جاءت سيارة « طراز رينو ــ ٥ » مسرعة .. فداستها .. وفي ثوان أصبحت جثة هامدة .. لا نفس فيها ..

اختفت ماري إلى الأبد .

وانتهى شاهد العيان الوحيد .

المثير للريبة .. لا للدهشة فقط .. إن المتحدث بلسان الشرطة الفرنسية م . بيريه استبعد أن يكون مصرع العاهرة متعمدا .. واصر على أنه « كان حادثا عرضيا » ، مثل حوادث الطرق الكثيرة .. أما أم القتيلة فأكدت على ان ابنتها ذهبت ضحية جريمة مدبرة .. ليست مجرد حادث معتاد من حوادث السيارة .

وقالت :

١ ــ إن ابنتها لم تتعاطى المخدرات من قبل .

٢ ــ إنها لم تكن تميل إلى المشروبات الكحولية .

٣ ــ إنها ــ بحكم مهنتها ــ لا توصل نفسها إلى مرحلة الثمالة .

٤ ــ إنها ـ قبل مصرعها بأيام ـ تلقت مكالمات تهديد هاتفية من شخص غريب « مجهول الهوية » .

استمع البوليس الفرنسي إلى ٥٠ شاهدا في حادث الدكتور المشد .

العاملين في الفندق .

بعض النزلاء .

العاملين في لجنة الطاقة الذرية الفرنسية الذين التقوا به خلال فترة وجوده في باريس .

ولم يستبعد البوليس الفرنسي أن يكون القتل لأسباب سياسية .. بعد أن استبعد تماماً الأسباب الجنائية .

في منتصف نهار يوم الثلاثاء ٢٨ مارس ١٩٨٩ م ، كنت اجلس في حجرة « صالون » بيت الدكتور المشد . وبيني وبين زوجته ، جهاز تسجيل ، يحول كلامها عن الحادث إلى وثيقة .

قالت :

لقد ذهبت إلى وزارة الخارجية المصرية للإطلاع على نتيجة التحقيق فى حادث مصرع زوجى.. لم يسمحوا لأحد بهذا الإطلاع إلا لى، ولشقيق زوجى، الذى كان فى السعودية، اكتشفت أن القضية اقفلت دون تحديد دقيق للفاعل.. فالفاعل حسب ما قرأت، منظمة يهودية، على مستوى عال، لها سيطرة كبيرة على السياسة الفرنسية.

وسألتها:

هل استدعيت للإطلاع على ذلك أم ذهبت بنفسك للسؤال؟

أجابت:

البعض أكد لى على أن من الممكن رفع قضية تعويض، فقلت: «أروح لأشوف وآخذ أوراق التحقيق، وإن كنت غير متحمسة لمثل هذه القضية».. اطلعت على تقرير وزارة الخارجية.. الذى اشار إلى أن الفاعل منظمة يهودية.. أى أن الجانى ليس شخصا يمكن الإمساك به.. وإنما منظمة كبيرة، لها نفوذ قوى فى سياسة فرنسا.

لذلك لم ترفعى القضية؟.

ـ نعم..

وبعد.. عدة دقائق على شريط الكاسيت، قالت:

هناك واقعة أريد أن ألفت النظر إليها.. بعد اغتيال زوجى جاء أحد تلاميذه.. وكان يدرس.. فى أوروبا عندما اغتيل، فترك دراسته ـ كما روى لى ـ ونزل باريس، ليعرف ماجرى لأستاذه.. فقابل بعض العلماء فى هيئة الطاقة الذرية الفرنسية، وقد أزعجتهم ـ على حد قوله ـ أن يفتش عن سر الجريمة.. فكان أن قيل له.. سيجرى لك ما جرى لاستاذك إذا لم تغلق هذا الباب وراءك.. وتسافر.. أنا لا أعرف حقيقة هذه الرواية.. لكن.. لا أجد أى مبرر لعدم تصديقها..

وبعد.. عدة دقائق أخرى على شريط الكاسيت، سألتها:

ـ بكلمات مباشرة.. هل قتل الإسرائيليون زوجك؟

ليس لأحد مصلحة فى التخلص منه... سواهم.

ـــ عندك حق .

وهكذا نجد أن إسرائيل ودول الغرب تخشى من وصول العرب أو أى دولة إسلامية لصنع السلاح النووى ، ولقد شنت إسرائيل وأجهزة الدعاية الغربية حملة ضد محاولة الباكستان الوصول إلى التكنولوجيا النووية وصنع القنبلة الإسلامية ..

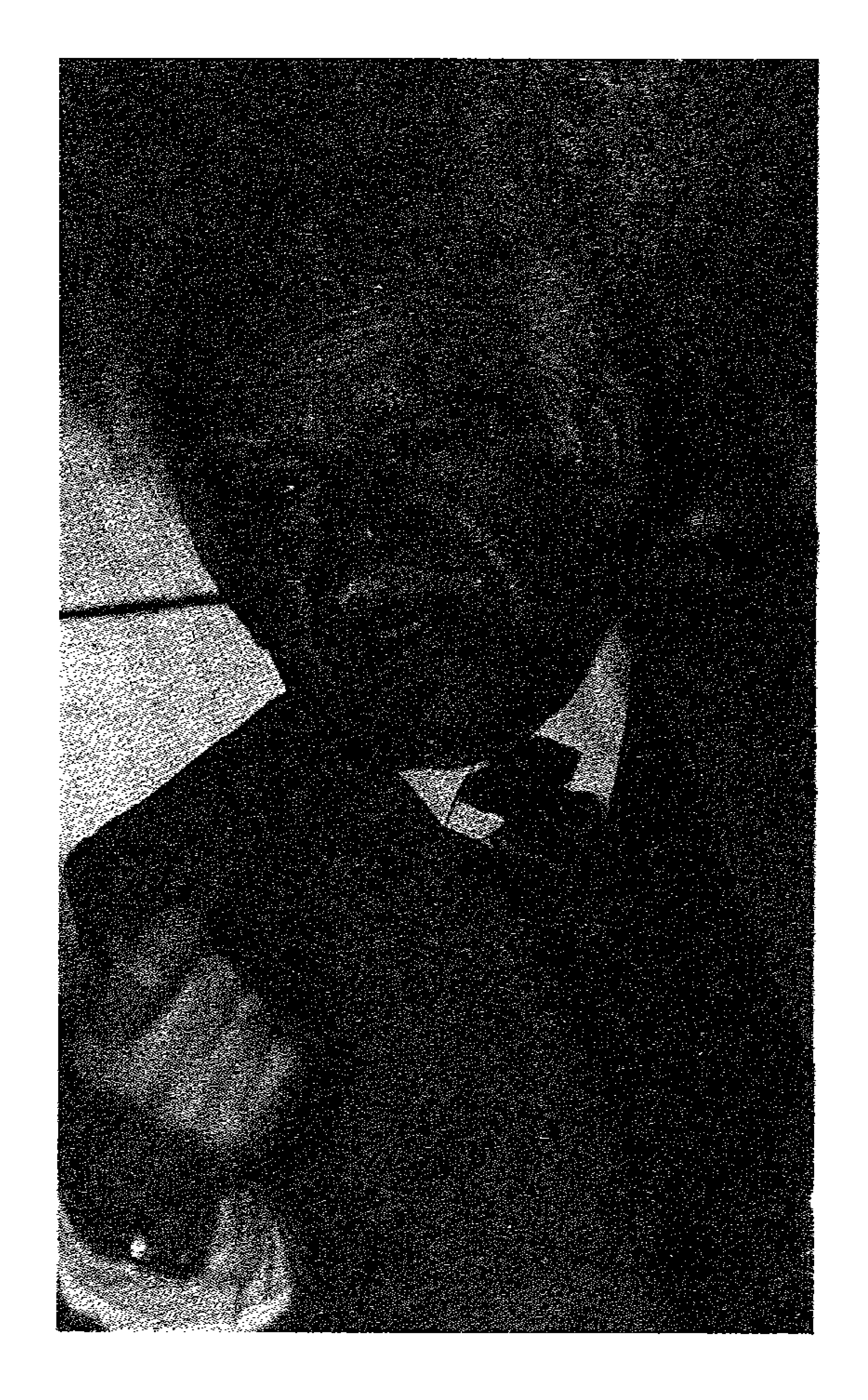
وتذكر الصحف الإسرائيلية ، أن ليبيا حاولت الاتجاه إلى الأسواق العالمية لشراء القنبلة النووية ، ثم بنت مفاعلاً نووياً سوفيتياً فى طرابلس ، غير أن الواقع يكذب الاتهام الإسرائيلى ، إذ إن هذا المفاعل يفتش من قبل الوكالة الدولية للطاقة .

ثم جاء ضرب المفاعل النووى العراقى ، وتدميره ، واغتيال الدكتور المشد الذى كان يعمل فى العراق ، تحقيقا لأوهام إسرائيل التى تقول إن احتكار السلاح النووى فى الشرق الأوسط ، سيكون حماية لأمنها وبقائها .. ولا حاجة للتذكير بأن إرادة الشعب العربى وإصراره على تحرير الأرض أقوى من الردع النووى .

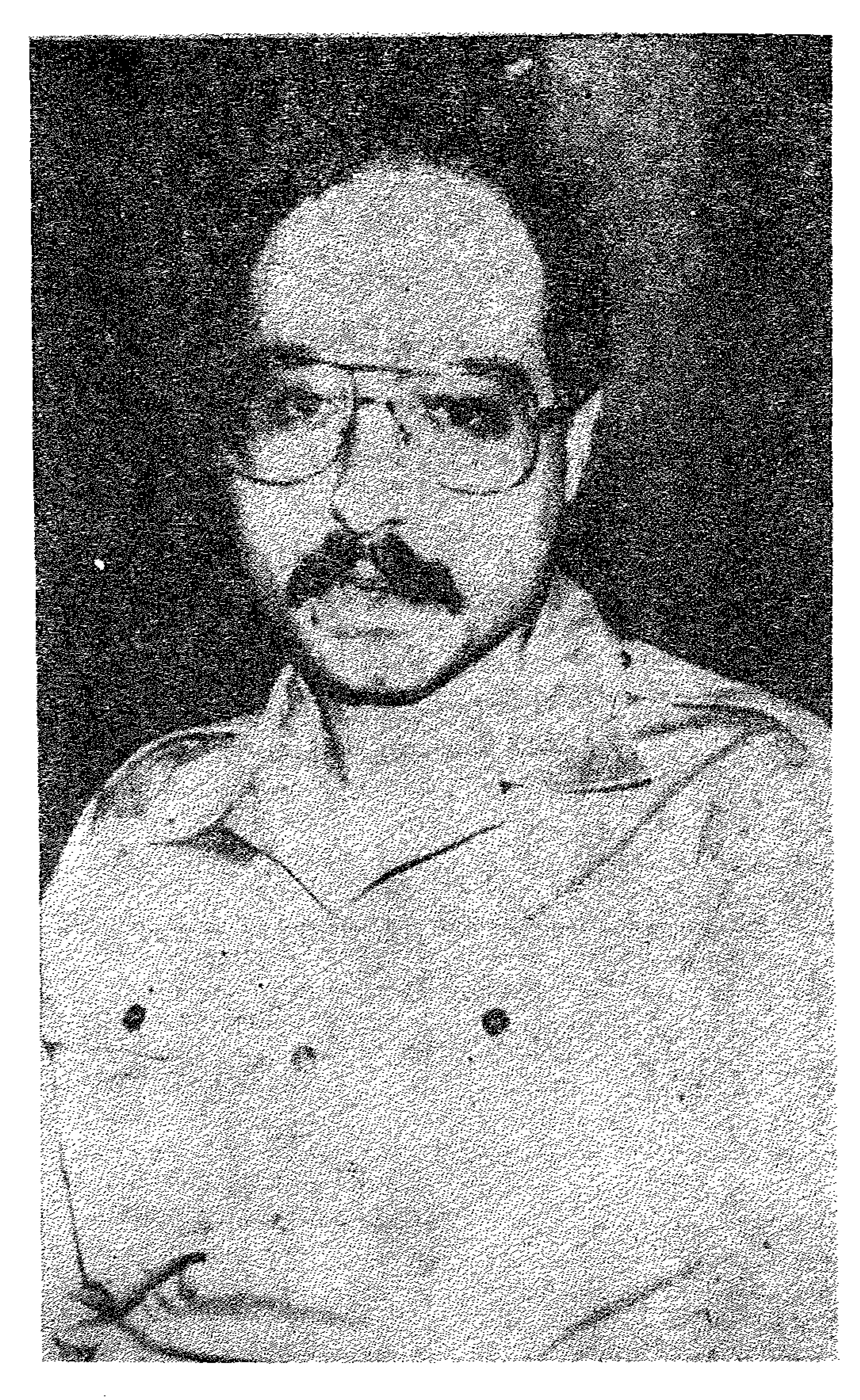
(٣) صور للقادة السياسيين وبعض صور لقادة الموساد الإسرائيلى



سيمور هيرش مؤلف كتاب الخيار شمشون



شامير : القائد الفعلي للموساد

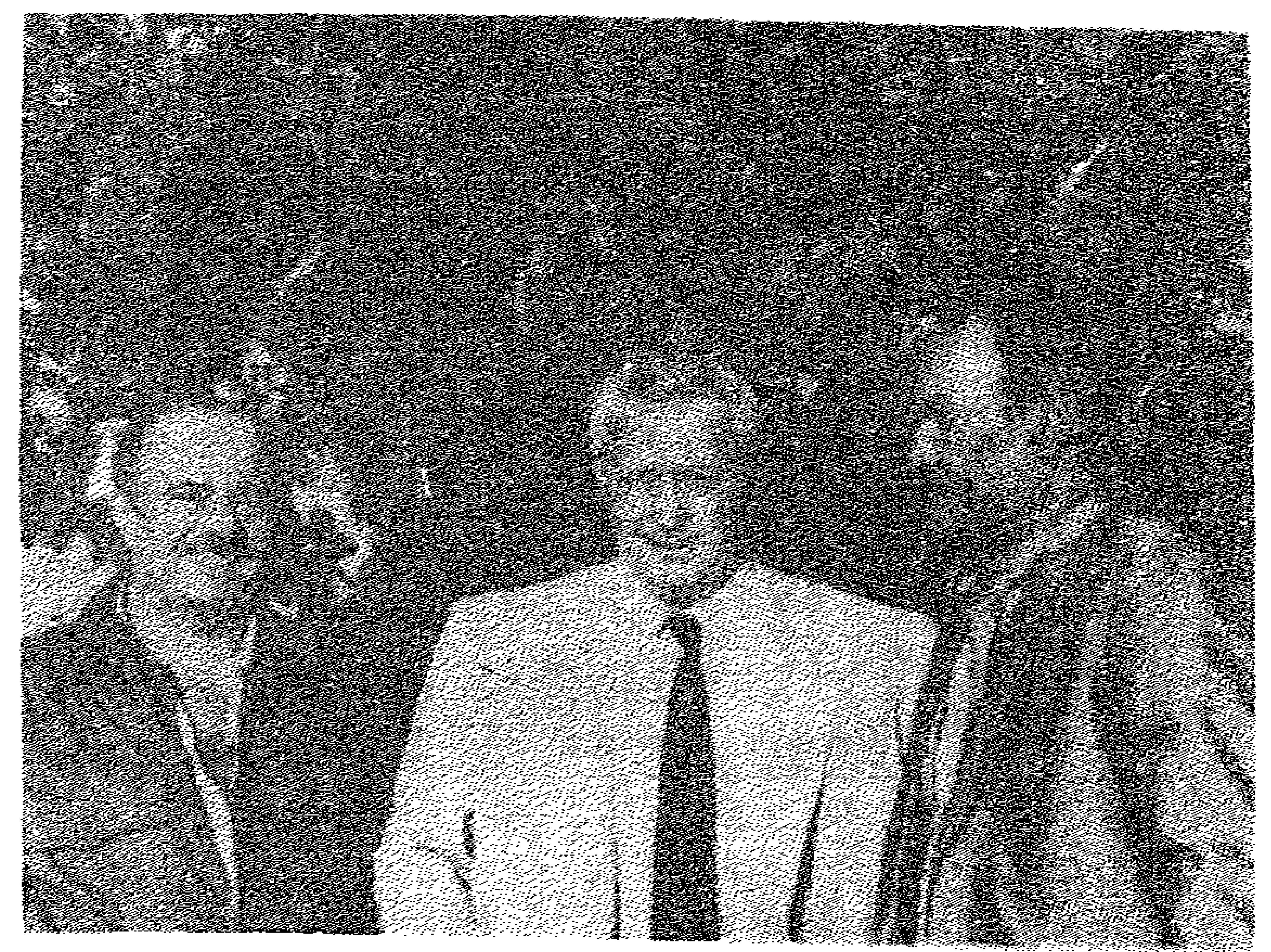


بولارد : بطل هذا الكتاب ... وبطل فضيحة التجسس

مفاعل ديمونه النووى



حاييم هرتزوج الذى رأس جهاز امان ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ و١٩٥٩ ـ ١٩٦٢
وأصبح بعد ذلك رئيساً لاسرائيل مع أحود براك قائد جهاز امان
١٩٨٣ ـ ١٩٨٥



الرئيس السودانى السابق جعفر نميرى واريبل شارون وزير الدفاع
الأسبق والملياردير عدنان خاشقجى ولقاء فى كينيا يوم ١٣ مايو
١٩٨٢ وافق بعدها النميرى لليهود الفلاشا للهجرة إلى اسرائيل عبر
السودان

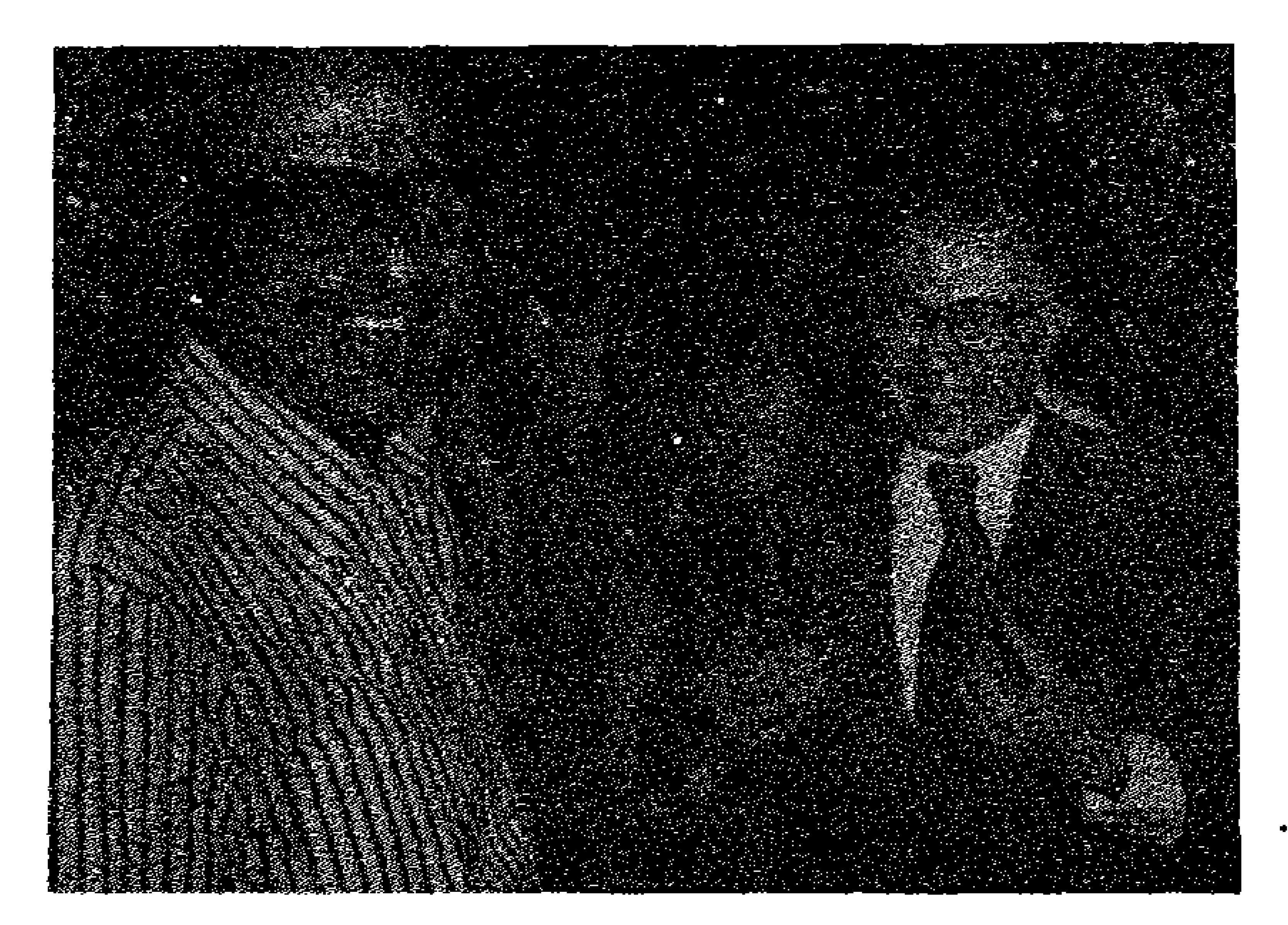


حافظ الدلقمونيمن خلية زعم أنها مسئولية عن تفجير طائرة بأن

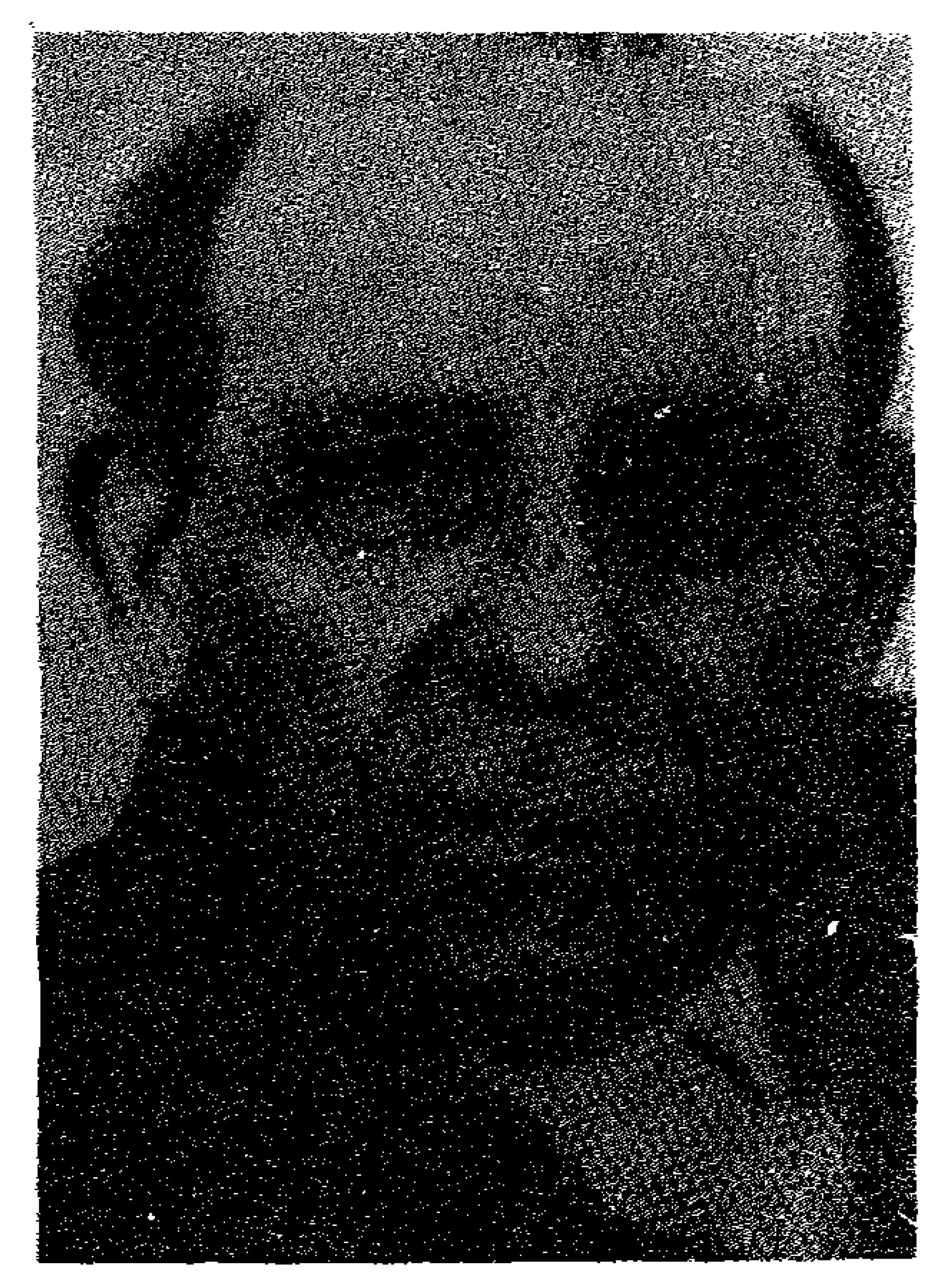
أميركان فوق لوكربى باسكتلندا



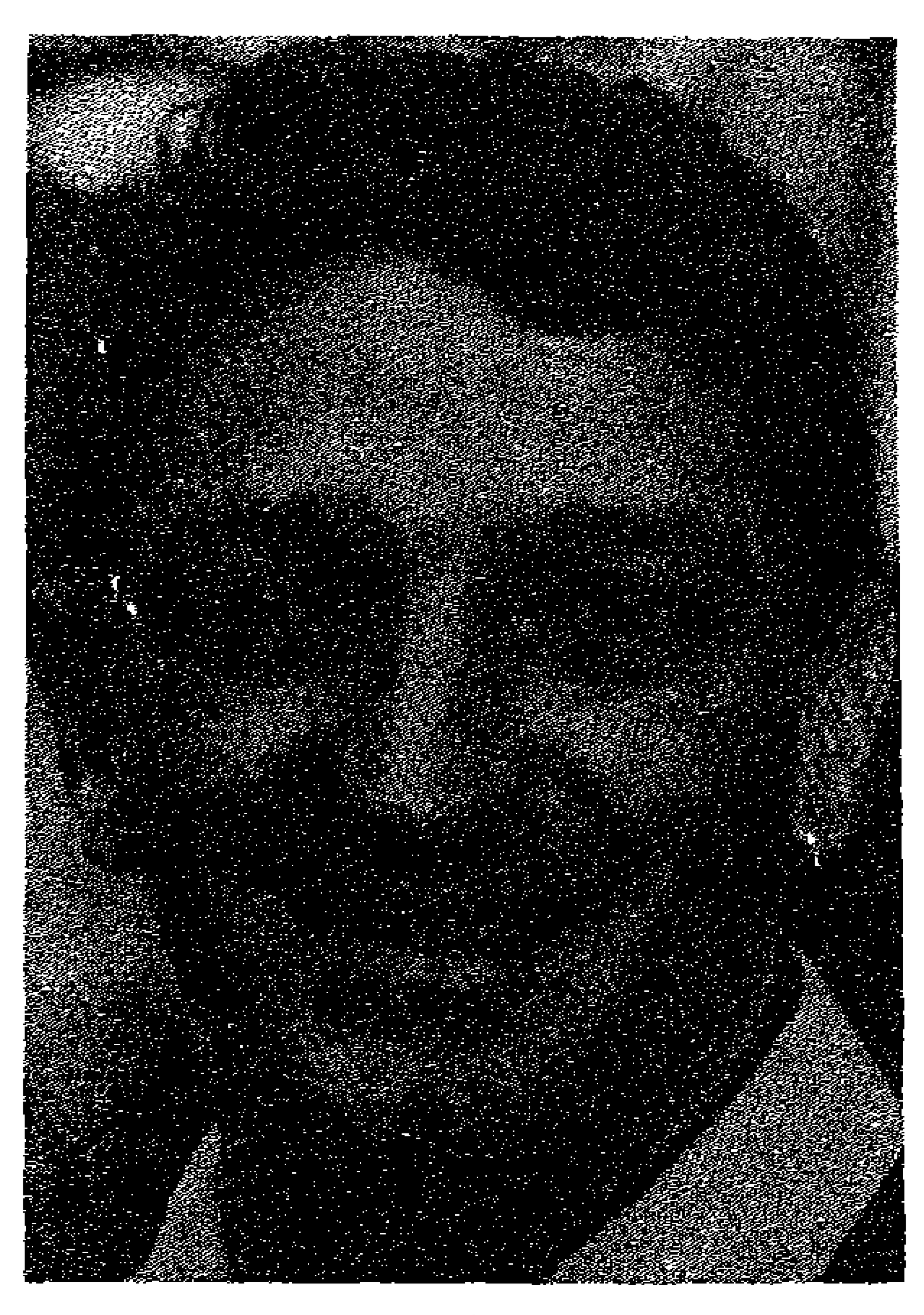
مايك هرارى أثناء الاحتفال لصديقه الكولونيل البنمى نورييجا



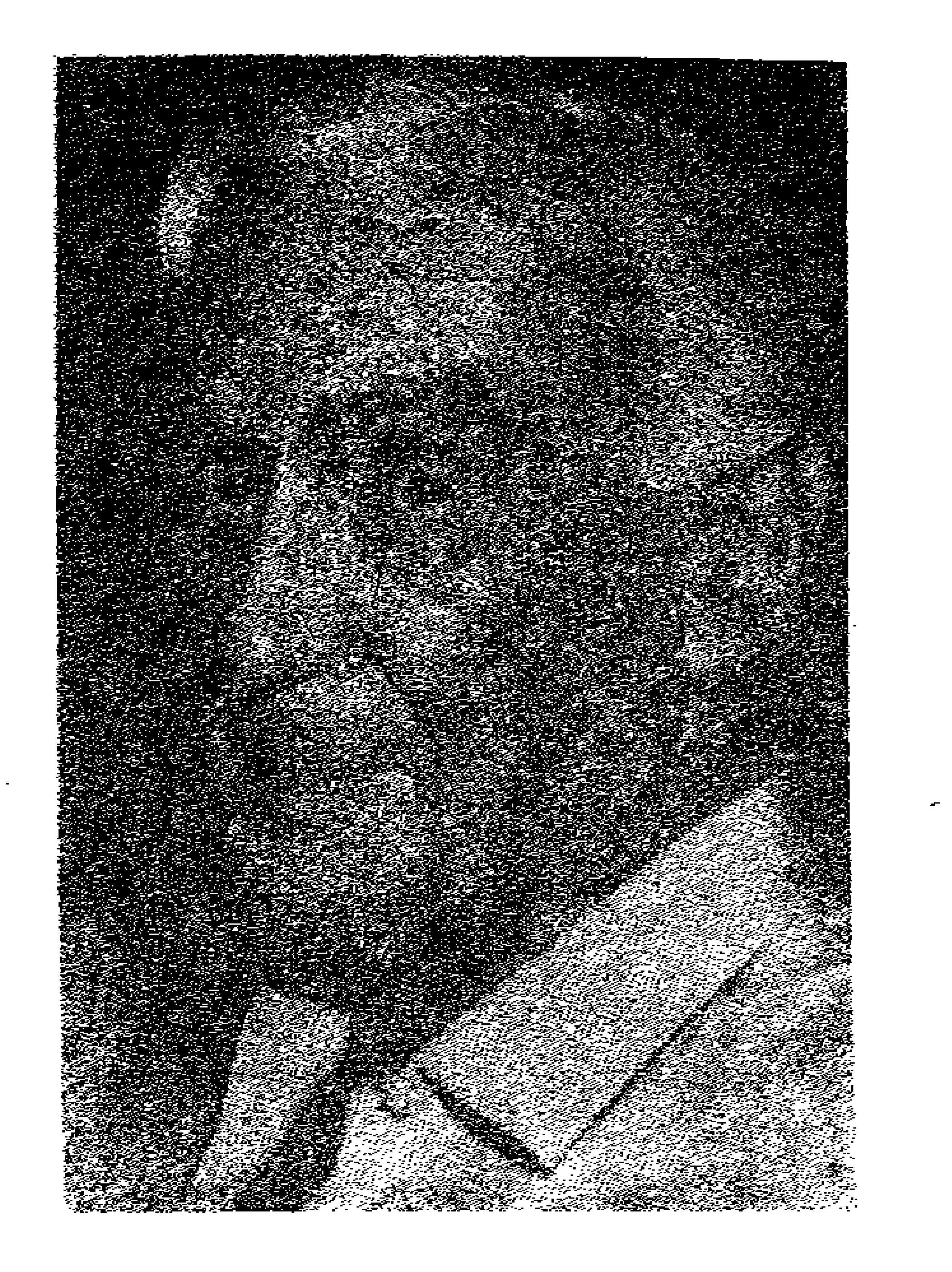
إلى اليسار : افراهام هيتفو عمل مديراً لجهاز الشين بيت
من ١٩٧٤ إلى ١٩٨١
وإلى اليمين : مناحم بيجيم رئيس الوزراء السابق



شاوول افيغور
مؤسس وأول رئيس لمكتب الارتباط
ومسؤول عن تهريب اليهود



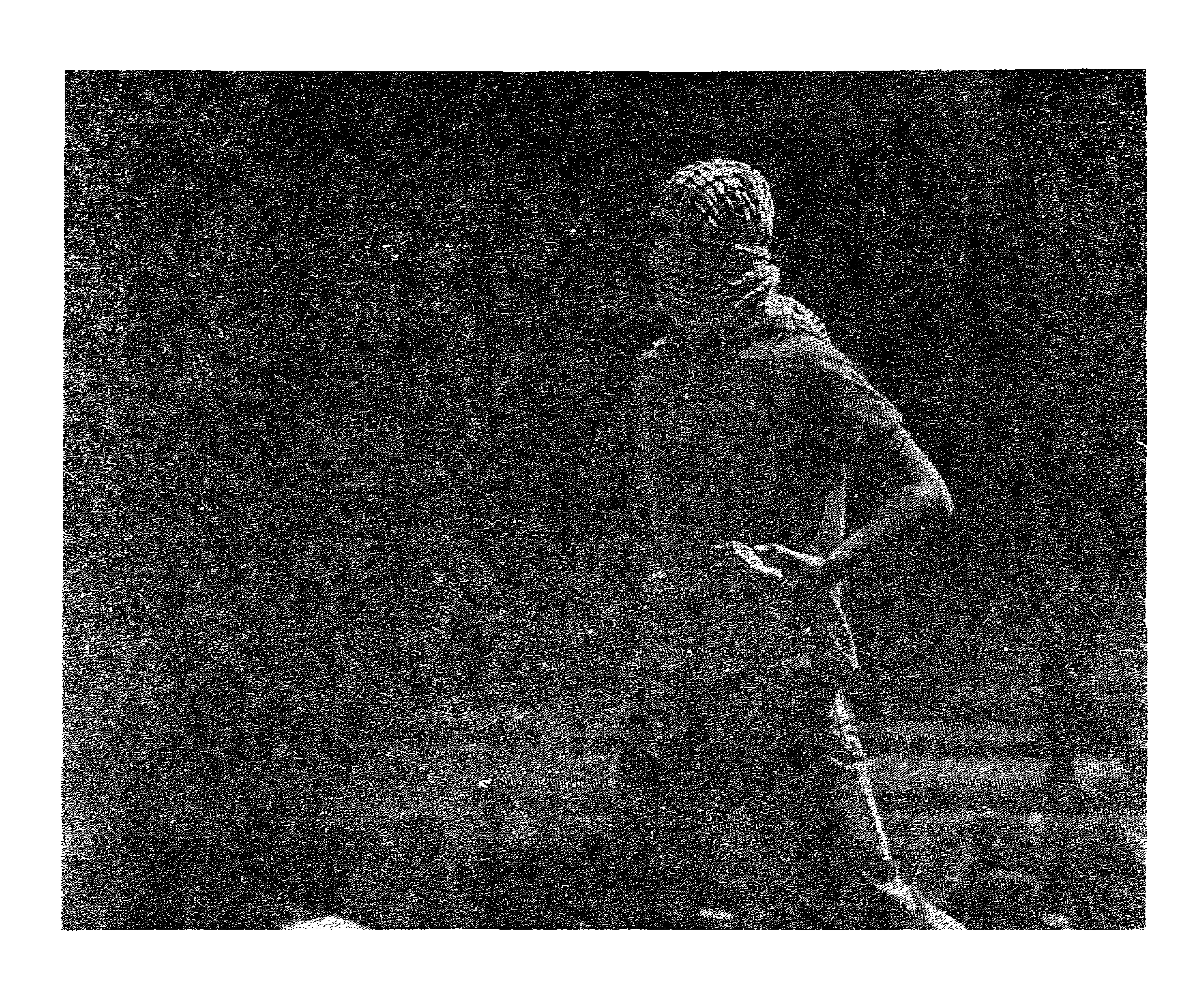
عاميرام نير
مراسل ومستشار الوزراء لشؤون الارهاب
وتوفى فى حادث تحطم طائرة غامض فى
المكسيك



يهوشافت هاركابي : صاحب أمر الاغتيالات الأولى (١٩٥٥ ـ ١٩٥٩)



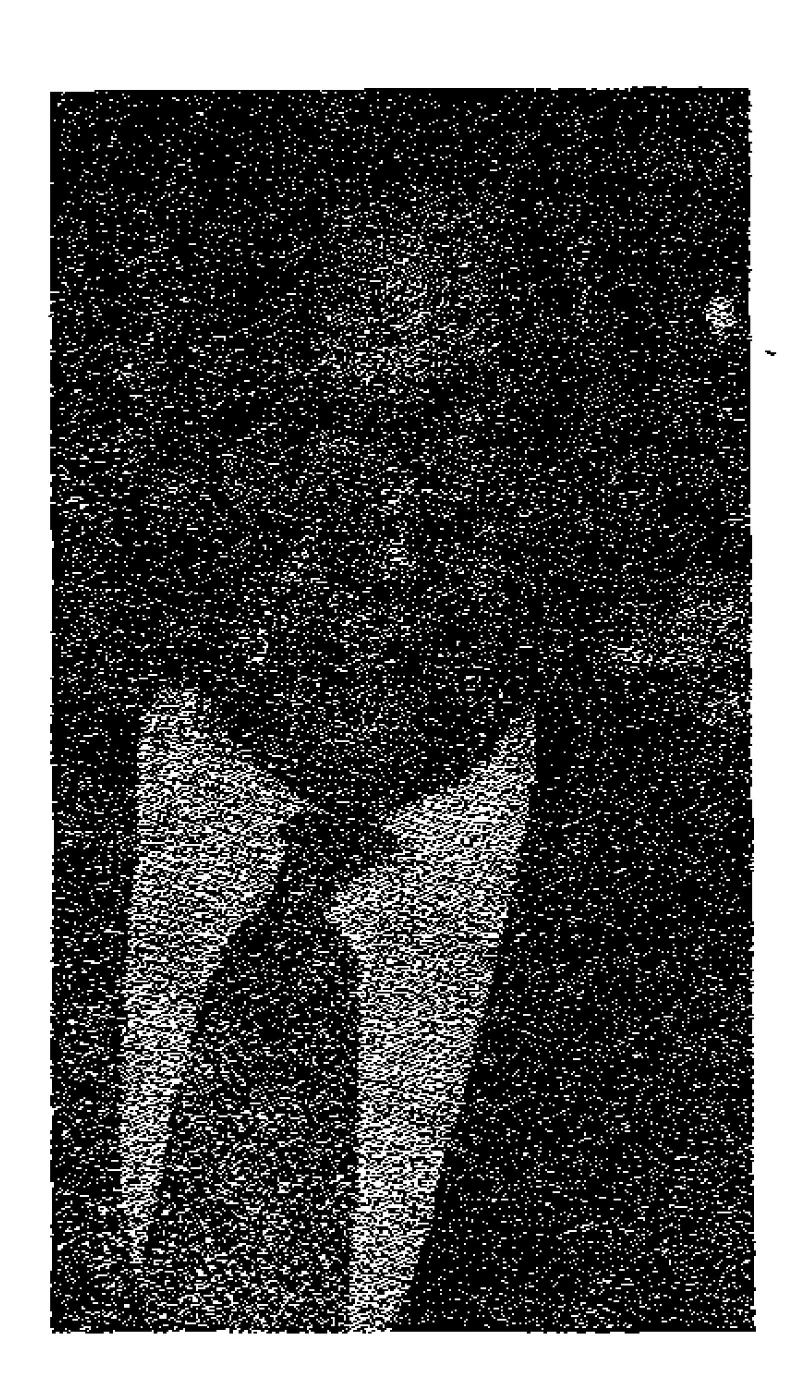
افراهام شالوم : أمر بقتل الفدائيين بعد أسرهم وأجبر على الاستقالة إثر ذلك



أطفال الانتفاضة الفلسطينية

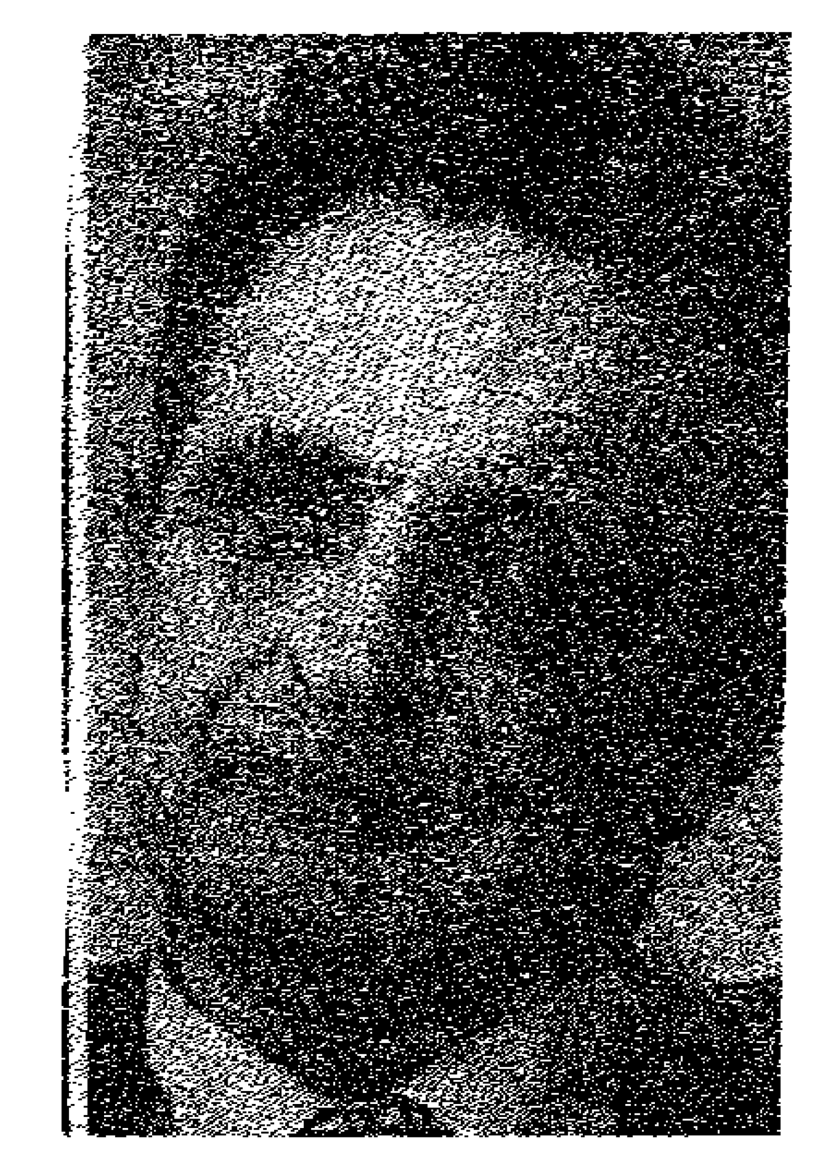


افراهام اهيتفو عمل مديراً لجهاز الشين بيت وتعرض لاشكالات مع بيجن بسبب عمليات ارهابية



آموس مانود

حصل على خطاب فورتشيف السرى عام ١٩٥٦

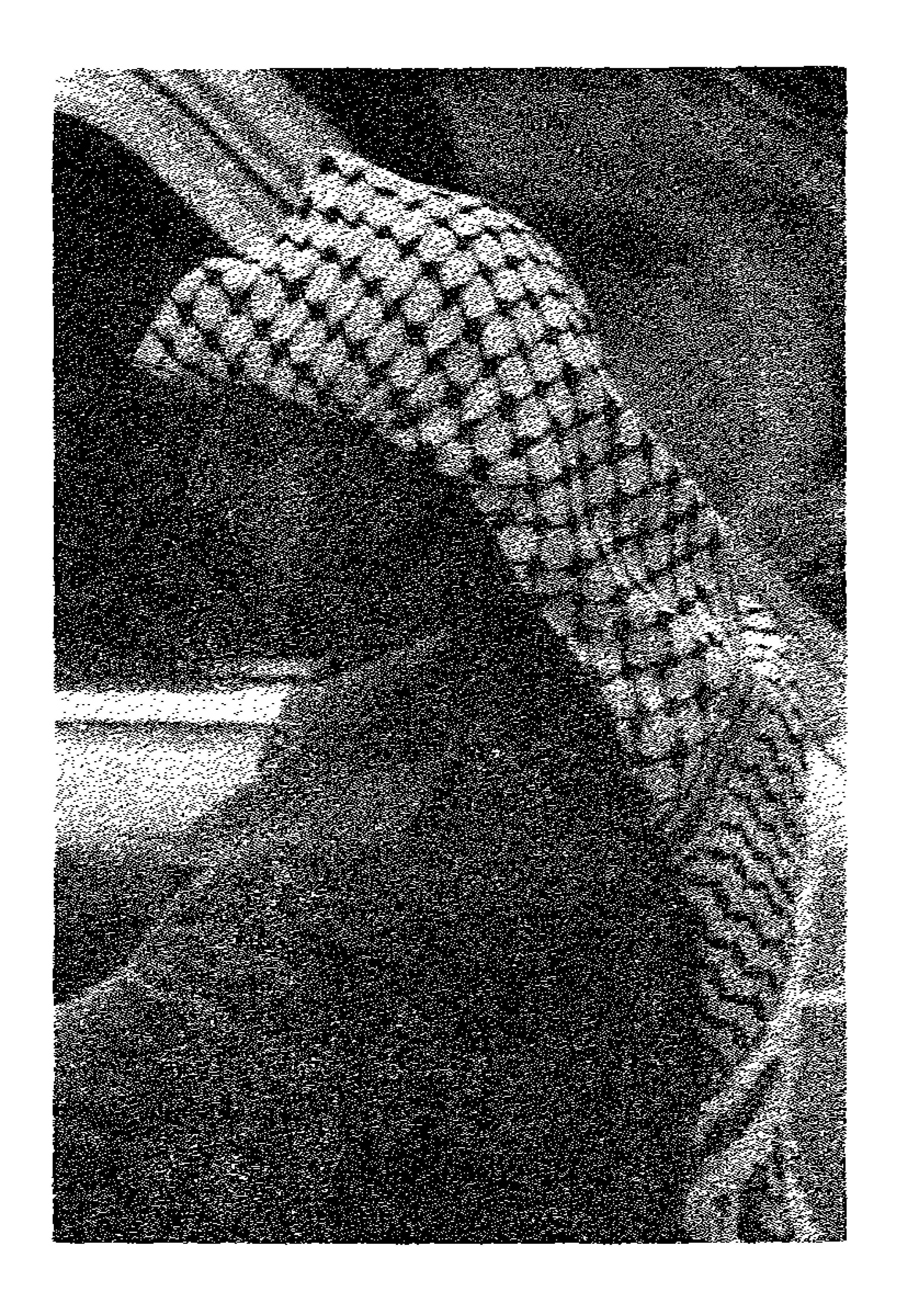


يوسف هارملين

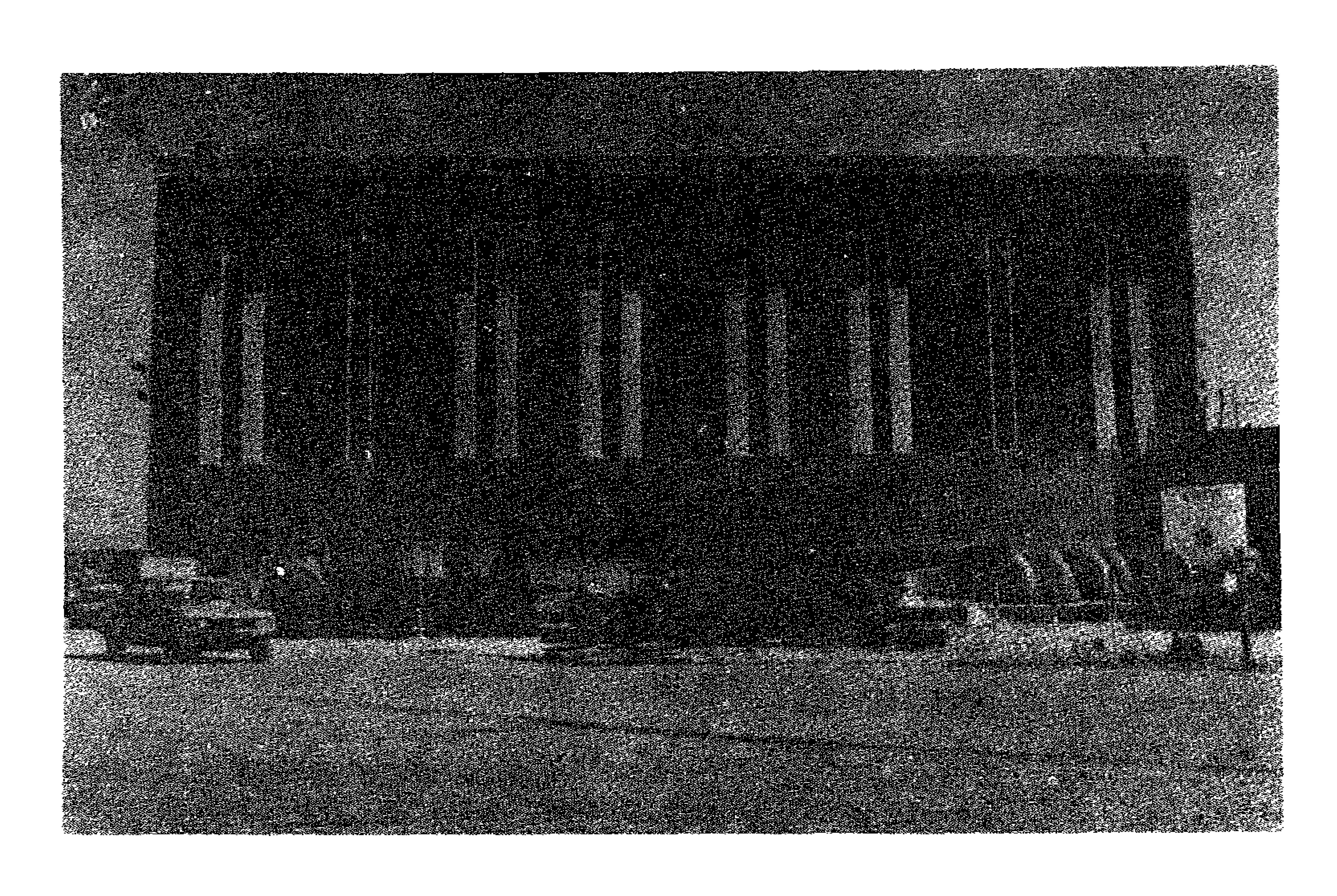
رئيس الشين بيت تميز بأدائه الشرس



موردخاى فعنونو : كشف أسرار اسرائيل النووية ولاحقه جهاز الموساد واختطفه فى سبتمبر ١٩٨٦



ياسر عرفات حاولت المخابرات الاسرائيلية التخلص منه



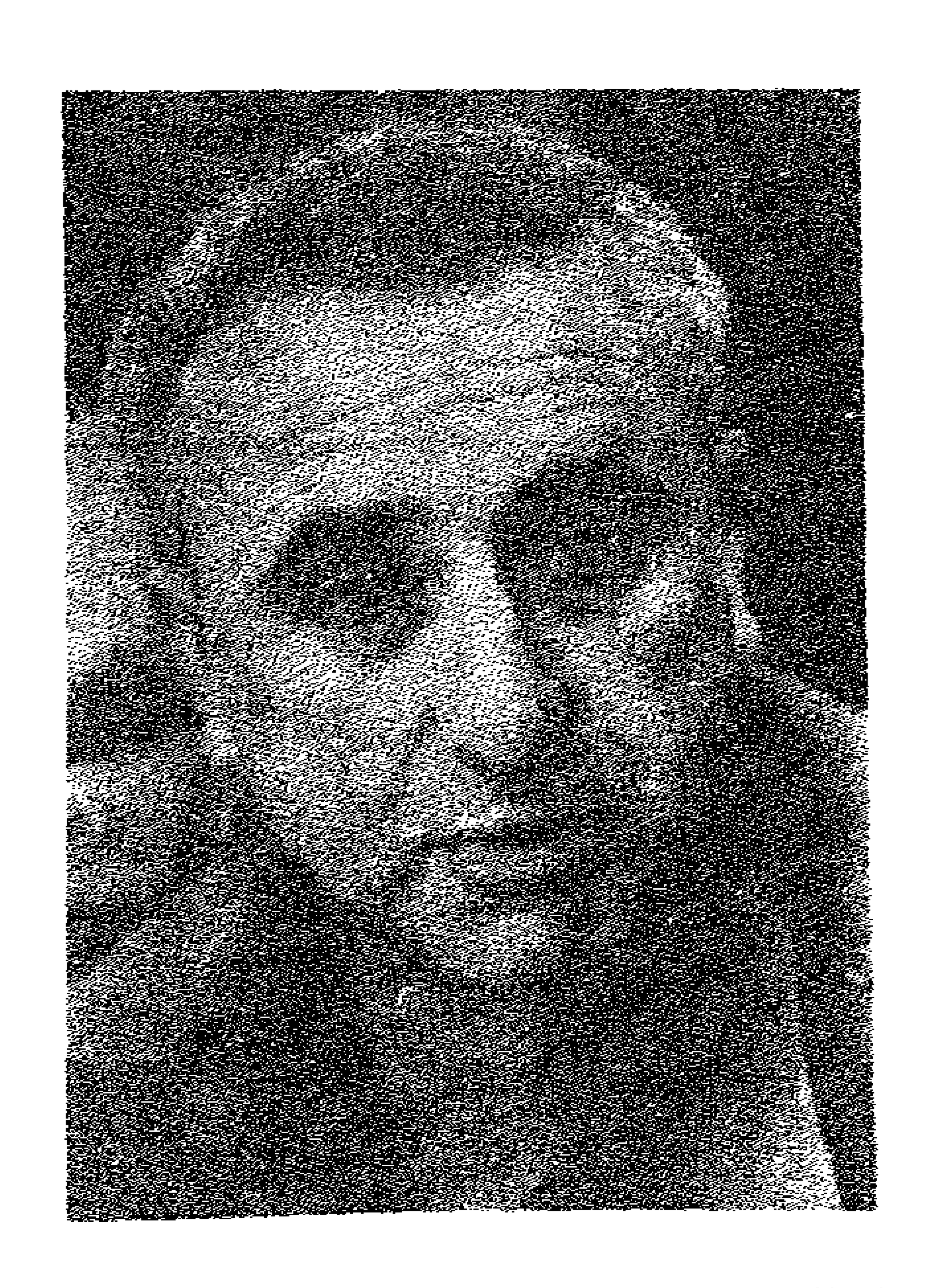
المخزن الذى احتوى الرؤوس النووية المرسلة إلى العراق



اهارون ياريف قائد جهاز امان ١٩٦٢ ـ ١٩٧٢ وكان مسئولاً عن
حرب ١٩٦٧



ايلي زيرا قائد جهاز امان اقصى من مهمته بسبب فشله في حرب
حرب اكتوبر ١٩٧٣



امنون شاحال قائد جهاز امان ١٩٨٦ والمسؤول عن الغارات ضد الفلسطينيين



شلوموغازيت قائد جهاز امان ١٩٧٤ فوجيء بمبادرة الرئيس أنور السادات

المحتويات — صفحة

■ الفصل الحادى عشر :

جرائم الموساد مع علماء الذرة العرب .

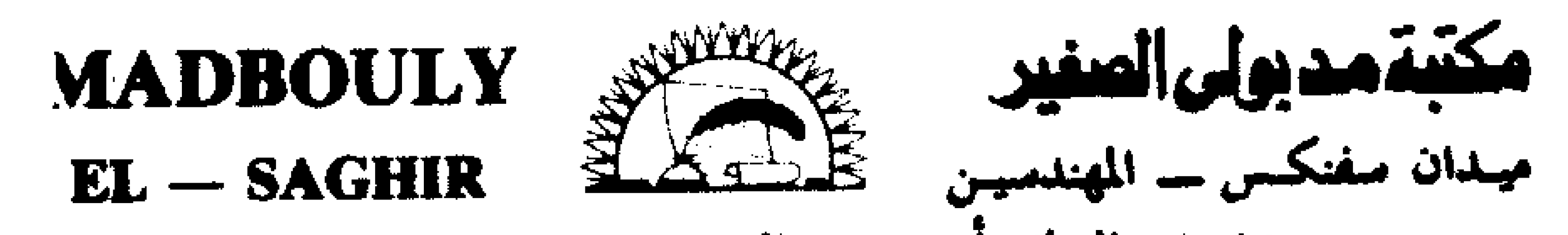
رقم الايداع : ٩٢/٤٠٤١
ISBN: 977-5193-08-7

عربية للطباعة والنشر
١٠،٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
ت: ٣٤١٩٠٩٨

الكتــاب .. والمؤلــف !

- كتاب « خيــار شمشون » هو كتاب المفاجآت والأسرار التى التهمها أكثر من مليون قارىء فى أوربا وأمريكا .. وأثار منذ اللحظات الأولى لطرحه فى الأسواق العديد من الأزمات وعلامات الاستفهام الدولية !! .. فهو يفضح بشكل سافر عن حقيقة الترسانة النووية الإسرائيلية بعد سنوات طويلة من الستائر الكثيفة التى كانت تحيط بها .. وتجعلها سراً مقدساً لا يمكن الاقتراب منه أو الكشف عنه أو تعريبه .. ولو فى أضيق الحدود ! .. يقدم لنا الكتاب . بالوثائق ، التى عجزت الموساد حتى الآن عن تكذيبها .. كيف تمكنت إسرائيل من انتاج مئات الرؤوس النووية التى تكفى لابادة العالم العربى فى لحظات .. وكيف استغل الموساد الإسرائيلى امبراطور الصحافة العالمية « ماكسويل » فى تحقيق أهدافه حتى اللحظة الأخيرة من عمر « ماكسويل » الذى تحول موته إلى لغز .. سارع الاسرائيليون إلى دفنه مع جثة ماكسويل تحت أشجار الزيتون فى تل أبيب (!) .. أما فضيحة « بولارد » الجاسوس الاسرائيلى الذى زرعته إسرائيل فى قلب الولايات المتحدة حليفتها الأولى فما زال سيمور هرش يتحدى بها أعتى أجهزة المخابرات العالمية ! .. وعلى نفس الخط يحقق سيمور هرش مؤلف هذا الكتاب ضربة قاضية أخرى عندما تسبب فى طرد أحد الصحفيين الأمريكان من جريدته حينما حاول أن يشك فى بعض معلومات « خيــار شمشون » .. الكتاب الذى يجب ألا تفوت قراءته كل عربى من المحيط للخليج .
- أما المؤلف فهو سيمور هرش صاحب نصيب الأسد فى جوائز الصحافة العالمية .. والمشهور عنه تدقيقه البالغ فى المعلومات والوثائق التى يخرس بها كل الألسنة .. حتى لو كان لسان هنرى كيسنجر داهية السياسة الأمريكية ! .. حصل هيرش على جائزة مؤسسة سيدنى هيلمان .. وجائزة لوس انجلوس تايمز .. وجائزة چورج بولك .. وجائزة چون بيتر زنجر .. وجائزة بوليترو .. وجائزة دور بيرسون .. والعديد من الجوائز الصحفية التى جعلت من سيمور هيرش كاتباً سياسياً موثوقاً فى قلمه .. على الدوام !

الناشــر



ميدان سفنكس — المهندسين
٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت : ٣٤٧٧٤١٠
ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت : ٣٤٦٣٥٣٥